جامعة الخرطوم
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الاسلام والعروبة فى الشعر السودانى

فى الفترة من ١٩٢٤-١٩٥٦م

رسالة ماجستير فى اللغة العربية

اعداد : النورانى الحاج عبدالمجيد الفكى على
اشراف : الدكتور الحبر يوسف نور الدائم

أبريل ١٩٨٦م
رجب ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى الامى العربى المبين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :-

فهذه دراسة أدبية بعنوان الاسلام والعروبة فى الشعر السودانى فى الفترة التى تقع بين عامى ١٩٢٤ - ١٩٥٦ للميلاد أتقدم بها لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الخرطوم وقد أخترت هذا الموضوع لاعتقادى أن للشعر العربى الإسلامى فى الفترة المشار اليها دوراً واضحا فى الحياة السودانية - فى هذه الفترة التى تعتبر من أحفل فترات الحياة السودانية بالكفاح والسعى للتحرير حتى اثمرت جهود السودانيين بتحرير بلادهم ونيلهم الاستقلال فى عام ١٩٥٦ .

وفى مقدمة هذا البحث اتقدم بالشكر لأساتذتى الاجلاء فى شعبة اللغة العربية - بالجامعة لما وجدته عندهم من مساعدات جمة وحسن توجيه - وأخص الأستاذ الفاضل الدكتور الحبر يوسف نور الدائم - الذى أولانى جزاه الله خيرا كثيرا من اهتمامه وأفادنى كثيرا بوافر علمه خلال إشرافه على هذا البحث ،

وأشكر كل الإخوة الذين مدونى بكتبهم ومخطوطاتهم النفيسة التى ما كنت لأحصل عليها لولا تفضلهم بها ، ومن هؤلاء الأستاذ مصطفى طيب الأسماء - والأستاذ ابراهيم محمد السيد - والشيخ عثمان محمد عبدالرحمن ، فقد وجدت فى مكتباتهم كتبا ومخطوطات قيمة .

والشكر للإخوة فى مكتبة السودان ومكتبة - دار الوثائق القومية ..

فلكل هؤلاء - الشكر والتقدير وجزاهم الله عنى خير الجزاء .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن اقدم له بتمهيد عن مسيرة العروبة والإسلام فى السودان مع إشارات موجزة عن نشأة وتطور الشعر العربى فى السودان منذ دولة الفونج الى نهاية عهد المهدية .

وأشرت إشارات سريعة لأهم المؤثرات السياسية والثقافية التى ساعدت على توجيه هذا الشعر وجهة اسلامية ، وأشرت الى دعوتهم الى الوحدة العربية الاسلامية ومؤازرتهم لحركات التحرير الإسلامية .

ولأهمية العلاقات التى تجمع بين مصر والسودان أفردت فصلا كاملا عن مصر فى شعرهم - تحدثت فيه عن تلك الوشائج القوية التى تربط بلادهم بمصر واستشهدت بنماذج من شعرهم فى ذلك - وتعرضت لعتابهم لمصر عتابا نمّ عن صدق ونصح تفرضه تلك العلاقة التى لا بد لها من نصح يكشف الطريق لمسيرة الكفاح المشترك بين القطرين ، وأوردت نماذج لذلك .

وتحدثت عن المناسبات الدينية وأثرها فى شحذ الهمم لاعادة مجد شبيه بمجد المسلمين الاوائل .

وتحدثت حديثاً مفصلاً عن المديح النبوي وخصائصه مثل حبهم الصادق للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومثل ربطهم بين هذا المديح - وبين الحال التي وصلت اليها بلادهم وشكواهم من ذلك - واستغاثتهم بالرسول ليرفع الله شأن بلادهم ويعز أمتهم .

وتحدثت الدراسة بعد ذلك عن أهم مميزات هذا الشعر ، من حيث اقتفاء معظم شعرائه للشعراء الأقدمين في صياغتهم وفي معانيهم وأخيلتهم وتحدثت عن الجزالة في شعرهم وأسبابها وبينت ما في شعر بعضهم من ركاكة في الصياغة وضعف في المعاني

وانني لآمل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ،

وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

النوراني الحاج عبدالمجيد

الموضـــــــوع : رسالة ماجستير في اللغة العربية من جامعـــة الخـــرطوم .

اعـــــــداد : النوراني الحاج عبدالمجيـــد [الفكي] علـــي .

اشراف : الدكتور/ الحبر يوســـف نور الدائـــم .

خطة البحث التمهيـــدية :

(١) دخـول العرب والاســـلام السـودان .

(٢) أهـم المؤثـرات الثقـافية والسـياسية والاجتماعيـة فـــي المجتمع السوداني في تلـك الحقبـــة .

(٣) ـ أ ـ الجامعـــة الاســـلامية .

ـ ب ـ القوميـــة العربيـــة .

الفصـــل الأول :

(١) الدعوة الى القومية السودانية وعلاقتها بمفهوم الاســـلام والعـــروبة في شـــعرهم .

(٢) الوحـدة العربيـة والاســـلامية في شـــعرهم .

(٣) موآزراتهم لقضايا التحرير في العالم الاســـلامي .

(٤) القيم والأخـــلاق الاســـلامية في شـــعرهم .

الفصـــل الثاني :

(١) تشابه الظروف السياسية بين مصـر والسودان .

(٢) تصورهم لروابط الدين ـ اللغـة ـ الجـــوار .

الباب الاول

التمهيد :-

الاسلام والعروبة في السودان

أطلقت العرب اسم السودان على الشعوب السوداء التي تسكن المنطقة الواقعة غرب البحر الأحمر ، والممتدة غربا الى الصحراء الكبرى . ويرى ابن خلدون ان سكان هذه المناطق يسمون بالحبشة والزنج والسودان - وهذه المسميات عنده مترادفات تطلق على الامم المتميزة بالسواد (١) ويرى نعوم شقير ان العرب اطلقت اسم السودان بعد الاسلام على الممالك الاسلامية الافريقية وتشمل بلادا كثيرة منها :- سنار ودارفور ووداي وبرنو وبلبتو (٢) ويحدد بلاد السودان بمعناه الحديث بأنها البلاد الواقعة غرب البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا والغابات الاستوائية جنوبا (٣) .

وتسكن هذه البلاد الشاسعة سلالات مختلفة منهم النوبة والبجة والزنج الى جانب العرب الذين نزحوا الى تلك البلاد ولما كان لون السواد هو اللون الغالب على هذه المجموعات أطلق عليها اسم السودان .

---

(١) ابن خلدون المقدمة الجزء الثاني ص ٥٦٥ .

(٢) مقدمة شقير ص ٩ .

(٣) يوسف فضل حسن . دراسات في تاريخ السودان ص ٣٠ .

ولم تعرف الكلمة بمدلولها الجغرافي الحديث الا في بداية هذا القرن العشرين حيث فرضت على هذه البلاد سلطة سياسية وحدتها تحت حدودها الحالية . وهي سلطة الحكم التركي المصري (١) وتلتها في الحكم المهدية ثم دولة الحكم الثنائي " الانجليزي المصري " إلى أن نالت البلاد استقلالها في عام١٩٥٦. وعرفت بجمهورية السودان .

ولما كان هذا البحث يتناول شعر العروبة والإسلام في السودان . أرى أنه من المفيد ان اتحدث عن مفهوم العروبة : فهي تعني تلك الأمم والشعوب التي تدين بالاسلام وتتحدث العربية مهما اختلفت ألوانها وأجناسها . وهذا المعنى لم تبرز سماته واضحة الا بعد الإسلام . فقد ظهرت العروبة بعده كيانا متحدا ذا شكل عليها . وحد بينها الإسلام وربطتها الثقافة العربية الاسلامية خلافا لما يراه دعاة القومية العربية الحديثة يقول أحد كتابهم ... ولكن لا الدين ولا الدولة تدخل في مقوّمات الأمة الأساسية (٢) وسأوضح هذه الفكرة بقدر اوفى في صفحات لاحقة من هذا البحث ان شاء الله .

هذه لمحات سريعة عن العروبة في السودان .

فمتى عرفت بلاد السودان العروبة والإســـلام ؟

---

(١) محمد عوض الصياد . ومحمد عبدالغني ـ السودان دراسة جغرافية ص ٩ .

(٢) ساطع الحصري ـ مقومات القومية العربية ص ٢٦ .

يبدو أن السودان عرف العروبة فى ازمان سابقة للإسلام عندما هاجرت جماعات عربية من شبه الجزيرة العربية الى الحبشة ايـــــام السبئيين ووصل توغلهم غربا الى وادى النيل ومن المرجح أن يكون بعضهم قد استقر فى تلك البلاد (١) كما هاجرت جماعات أخرى من الحميريين عبر باب المندب واستقر بعضهم فى بلاد الحبشـــة بينما توغل نفر منهم عن طريق النيل الأزرق ونهر عطبرة ليصلـــوا الى بلاد النوبة(٢) وتوالت هذه الهجرات المبكرة فتوالت افواج القحطانيين والعدنانيين عبر البحر الأحمر منتشرة فى آجزاء متفرقـــة فى شرق السودان او غربه او شماله واحترف معظم هذه القبائـــل الرعى (٣) .

بيد أن هذه القبائل المهاجرة الى بلاد السودان لم يكـــن لها اثر واضح فى نشر الثقافة العربية فى تلك الحقب . فلـــم تكون وحدة لغوية كما لم تكون وحدة قومية فتفرقوا فى بلاد افريقيا، لا تشعر اى قبيلة بصلة قوية تربطها بسائر القبائل العربية وممـــا يوءيد هذا الرأى أننا لم نظفر بنص أدبى يرجع تاريخه الى تلـــك الحقب تظهر فيه سمات الثقافة العربية (٤) .

---

(١) مصطفى مسعد - الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق - ويوسف فضل حسن ص ٢٤ .

(٣) مصطفى مسعد ص ١٤١ . ومحمد عوض السودان الشمالـــى سكانه وقبائله ص ١٥٧ .

(٤) عبدالمجيد عابدين دراسات سودانية ص ١٩ .

ولم يظهر لتلك الثقافة العربية أثر الا بعد أن استنارت هذه القبائل العربية بنور الاسلام . فالعروبة الجاهلية كما تمثلت فـــي السودان فكانت العرق لا تقوم على وحدة لغوية ولا شعـــور قومـــي عام ـ ولم يظهر ذلك الا عندما تمت الهجرات الإسلامية وقام رباط اللغة المستمد من الدين الاسلامي ـ الذى ركز فيهم مفاهيم التعاون والتآخي (١) ولا ريب أن سر ذلك التماسك اللغـــوى هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ولقد بدأت هذه الهجرات الإسلامية بعد ظهور الإسلام مباشرة وأولها هجرة المسلمين الى الحبشة فرارا بدينهم من جبروت كفـــار مكة حيث قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (لو خرجتم الـــى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي ارض صـــدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه .) .

فخرج عند ذلك المسلمون الى ارض الحبشة فرارا بدينهم الـــى الله فكانت أول هجرة فـــي الإسلام (٢) .

ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب قد بعث بحملات عسكريـــة لرد هجمات الأحباش ـ وأن الصحابي الجليل ابا محجن الثقفي قـــد غـــرّب الى ميناء باضع عام ٦٣٦م (٣) .

---

(١) عبدالمجيد عابدين ـ دراسات سودانية ص ٢٠ .

(٢) محمد عبدالملك بن هشام ـ السيرة الجزء الاول ص ٣٤٣ .

(٣) يوسف فضل حسن

ورغم تعدد هذه الحملات والهجرات الإسلامية الصغيرة التى كانت تتم عبر البحر الأحمر لم نجد لها آثارها كبيرة فى نشر الثقافة الإسلامية فى بلاد السودان فإن آثارها فيما يبدو لم تزد على أن أولئك المهاجرين الاوائل كانوا يؤدون صلواتهم ويبنون بعض المساجد لاداء تلك الشعائر الدينية كما سنرى .

أما الأثر الثقافى العربى الإسلامى فقد كان مرتبطا بالحملة التى أمر بها سيدنا عمر بن الخطاب واليه على مصر عمرو بن العاص لرد هجمات النوبة

حيث غزا عمرو تلك البلاد بجيش قوى أبلى جنوده بلاء حسنا فى المعارك التى دارت بينهم والنوبيين رغم البسالة التى أبداها النوبيون .

وقد أكمل تلك الفتوحات عبدالله بن أبى السرح والى مصر الجديد . وكان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان (١) ولقد توغلت جنود ابن أبى السرح فى بلاد النوبة حتى وصلت عاصمة مملكتهم دنقلة .

ورغم ما أبداه النوبيون من بسالة وقدرات فائقة فى الرمى بالنبال حتى لقبوا برماة الحدق . رغم كل ذلك فإن المسلمين صبروا على القتال ورموا النوبة بالمنجنيق الذى كان جديدا عليهم . وانتهت تلك المعارك بأن أقر الطرفان صلحا عرف فيما بعد باتفاقية (البقط)

---

(١) المسعودى - مروج الذهب ص ٤٤١ .

ويعلق الدكتور يوسف فضل على هذا الصلح قائلا : (وفي رأي أن المسلمين مالوا الى قبول الصلح بعد أن لاقوا قتالا شديدا وهم بعيدون عن ديارهم) (١) .

ويبدو لي أن ثمة سببا جوهريا لعله يتقدم السبب الذي ذكره الدكتور في ميل المسلمين الى قبول الصلح . وهو أن تعاليم الدين الإسلامي تلزمهم بقبول الصلح متى حقق لهم ما يريدون من إعزاز لدين الله . والقرآن الكريم في ذلك صريح يقول تعالى :- (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) (٢) . وما أحسب أن بعدهم عن ديارهم وما لاقوه من قتال شديد يكفي لقبول الصلح . ولكن تلك الاتفاقية حققت لهم نصرا مكنهم من نشر الدين الإسلامي في بلاد النوبة .

ولابد لي من عرض بعض شروط تلك الاتفاقية الفوائد التي جناها المسلمون . بل وإن معنى الاتفاقية يشير الى ما أملاه المسلمون على النوبة من ضرائب الكلمة بقط (PUCT) معناها ضريبة وتعطي تلك الاتفاقية .

(١) ان يدفع النوبة للمسلمين ٣٦٠ رأسا من الرقيق سنويا من اواسط رقيقهم على ان يدفع المسلمون للنوبة مقابل ذلك مواد غذائية

---

(١) يوسف فضل حسن دراسات في تاريخ السودان ص ٣٦

(٢) الآية ٦٠ من سورة الانفال .

(٢) أن يدخل المسلمون بلاد النوبه غير مقيمين ويسمح للنوبه بالتجول في مصـــر .

(٣) أن يحمى النوبه المسجد الذى بناه المسلمون بدنقله وأن يسرجوه وينظفوه (١) .

وأهم ما يميز هذه الاتفاقية أنها حققت للمسلمين حرية التنقل فتمكنوا من نشر عقيدتهم حيث حلوا كما ضمنت لهم حماية مسجدهـــم الكبير بدنقله لاداء شعائرهم والتشاور فيما يهم شئون المسلمين .

إن هذه الاتفاقية فيما يبدو قد فتحت الطريق لتدفق مجموعـــة عربية كبيرة . توغلت في بلاد السودان ناشرة فيها تعاليمهـــــا الإسلامية . ولعلها هي المجموعات التي كان لها القدح المعلـــــى في نشر الثقافة العربية والإسلامية بعد استقرارها على شواطئ النيل .

والى جانب هذه الهجرات التي جاءت عن طريق الشمـــال فلقد عرفت السودان الهجرة العربية المسلمة عن طريق الشرق حيث دخلـــت جماعات عربية بلاد البجه عن طريق البحر الأحمر هي قبائل جهينـــة وهوازن ـ الى جانب القبائل التي وجدت على تلك المناطق فـــرارا من بطش العباسيين بعد أن سقطت دولة بني أمية .

ولقد كان لمعادن الذهب التي اشتهرت بها بلاد البجـــه اثر في نزوح كثير من القبائل العربية اليها (٢) .

---

(١) مصطفى مسعد ـ الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ١٢١ .
(٢) مكي شبيكة السودان عبر القرون ص ٢٧ .

ومهما يكن فإن كل الدلائل تشير الى أن بلاد البجة عرفت الاسلام فى وقت مبكر بدليل أن الاتفاقية التى وقعها معهم عبد الله ابن ابى السرح انتهت بحلف كان من شروطه :-

(١) أن يحترم البجه الإسلام.

(٢) والا يهدموا شيئا من المساجد التى بناها المسلمون فى بلادهم (١) .

وواضح أن الاتفاقية نصت على احترام البجه الإسلام وحفظ مساجد المسلمين وفى ذلك اشارة الى قدم عهد المسلمين بتلك البلاد .

ولقد اتسع انتشار الإسلام فى بلاد البجه فى القرن العاشر وما بعده حتى اعتنقه معظم البجه وما كان لهم من محيص من أن يتأثروا بالإسلام وبالثقافة العربية حتى اصبحوا مسلمين لا يدينون بدين سوى الإسلام (٢) .

والى جانب الطريقين الشمالى والشرقى فلقد عرفت بلاد السودان العروبة والإسلام عن الطريق الغربى . الليبى - الذى كان منفذا لكثير من الهجرات العربية قديما وحديثا . ولعل هذا الباب لم يكن له اثر كبير فى نشر الثقافة العربية الإسلامية الا بعد الاسلام (٣) .

---

(١) مكى شبيكه - السودان عبر القرون ص ٢٨ .

(٢) محمد عوض - السودان الشمالى سكانه وقبائله ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٠ .

واعتقد أن اثره فى نشر هذه الثقافة لم يكن كبيرا حتى بعد الاسلام اذا ما قورن بالطريقين الشمالى والشرقى . وإن مجمل القول فى تتابع هجرات العرب المسلمين لبلاد السودان . أنها ظلت تزداد مع الايام ـ وخاصة بعد أن سقطت دولة النوبة المسيحية مقرة ـ حيث أصبح الطريق للسودان سهلا ـ فتدفقت جموع العرب المسلمين نحو بلاد السودان حتى بلغوا ارض البطانة والجزيرة وعبروا النيل الى كردفان ودارفور .

ولقد ادى هذا الوجود العربى الكبير الى تآزر تلك العناصر العربية حتى اسقطت دولة علوة وخربت عاصمتها سوبا وأسست دولة عربية اسلامية عرفت فى التاريخ بدولة الفونج (١)

وإن تلك الحقب الطوال التى سبقت تأسيس دولة الفونج لم تكن ذات أثر كبير فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فلم نقرأ لهم آثارا تدل على قدراتهم البيانية شعرا او نثرا . ولعل دخولهم لهذه البلاد رعاة وتجارا ومنقبين عن الذهب فرض عليهم حياة يغلب عليها التجوال مما حال دونهم والتعليم الدينى المنظم الذى ينشأ غالبا مع الاستقرار وذلك ما لم يتسن لهم فيما يبدو الا بعد قيام دولتهم الإسلامية الجديدة ـ دولة الفونج .

---

(١) يوسف فضل حسن ـ ص ٣٥ ومكى شبيكة ص ١٥ .

ولقد كان اولئك الفونج الذين أسسوا دولة عربية اسلامية محل نظر عند الكثير من المؤرخين . من أى جنس هم ؟ ومن أى الجهات أتوا ليقيموا هذه الدولة الإسلامية ؟ . إن كثيرا من الباحثين يرون أنهم سلالات عربية أموية وفدوا الى بلاد السودان عن طريق مصر بعد أن انتهى آخر ملك من ملوك بنى أمية مروان بن محمد جاءوا فارين من بطش العباسيين (١) .

وأرى أن هذا الاحتمال قريب خاصة اذا عرفنا أن هؤلاء الأمويين الفارين من بطش العباسيين استطاعوا أن يقيموا دولة عربية اسلامية فى بلاد الأندلس . فما الذى يمنع اخوانهم أن يقيموا دولة شبيهة بها فى السودان ؟ . وتروى لنا كتب التاريخ أنهم أقاموا هذه الدولة بموازرة عرب من قبيلة القواسمة عرفوا بالعبدلاب . تم تأسيس تلك الدولة حوالى عام ٩٠٤هـ بزعامة عماره دونقس (٢) .

وتعتبر هذه الدولة بداية حقيقية لنشر الثقافة الإسلامية المنظمة .

ويعتبر كتاب محمد نور بن ضيف الله المعروف بالطبقات المرجع الهام لتاريخ الثقافة الإسلامية فى دولة الفونج . يقول صاحب الطبقات عن تلك الدولة (إعلم أن الفونج ملكت ارض النوبة وتغلبت عليها

---

(١) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٥٥

(٢) نفس المرجع ص ٥٦ .

فى أول القرن العاشر ستة عشر بعد التسعمائة ، وخلت مدينة سنار - خطاها عمارة دونقس ، ويصف احوال تلك البلاد قائلا - ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن) ويقال إن الرجل كان يتزوج المرأة ويطلقها ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس العدة) (١) .

يلاحظ من هذا الوصف أن دائرة العلوم أخذت تتسع ويورد أن هذه الثقافة الدينية كانت تأتى غالبا من الازهر مصحوبة بإنتشار الصوفية حيث كان معظم المشائخ يجمعون بين العلوم الشرعية والتصوف فكانوا يسلكون الشيخ الطريقة الصوفية ويعلمونه العلوم الشرعية كما كان يفعل الشيخ التلمسانى المغربى مع الشيخ محمد ود عيسى حيث علمه علوم القرآن من تجويد وروايات ونحو ذلك (٢) .

وثمة وسيلة أخرى لنشر هذه العلوم وهى أن الشيخ قد يتلقى العلم والولاية من غير شيخ كولاية الشيخ ادريس ود الارباب الذى يقال إنه اخذ العلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة - وكولاية الشيخ حسن ود حسونة (٣) .

---

(١) محمد نور - ود ضيف الله ص ٤ .

(٢) الطبقات ص ٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٦٢ .

فى هذا الجو المفعم بالروح الصوفى يوالى ود ضيف الله الحديث عن العلوم الدينية والصوفية فى سرد يشبه فى كثير من الاحيان شطحاتهم الصوفية ولا غرو فالكتاب أساسا حديث عن الاولياء وكراماتهم أكثر منه كتاب تاريخ ملتزم بالسرد التاريخى المنهجى .

ومجمل القول فى أمر هذه الثقافة الإسلامية فى دولة الفونج أنها نشأت على ذلك التلاقح بين العلوم الدينية والصوفية ولعلها فى هذا المجال ساعدت كثيرا فى نشر العلوم الدينية اذ كان الناس يجلون اولئك العلماء الذين كانوا يجمعون بين الولاية والفقه بل إن المساجد كانت مكانا للنشاط الدينى لبث العلوم ومحلا للتعبد . ومن حولها الخلاوى مكان اشعاع روحى وثقافى وتعبدى (١) .

ونشير هنا فى ايجاز الى أن المعارف الدينية التى شاعت فى ذلك العهد كانت النواة الاولى التى قامت على أساسها الثقافة العربية الإسلامية فى العصر الحديث .

وإن اول ما عرفوه من التعليم الدينى العظام القرآن الكريم حيث قدم الشيخ غلام الله بن عايد اليمنى الى دنقلا وعمر المسجد وقرأ القرآن وعلم العلوم مباشرة لأولاده وأولاد المسلمين (٢) .

---

(١) يوسف فضل ص ٨٢

(٢) المرجع السابق ص ٦٦ .

كما عرفوا قدرا من الفقه على المذهب المالكي على يد بعض العلماء أمثال الشيخ محمود العركي وابراهيم بولاد بن جابر - ودخلت البلاد تعاليم الفقه على المذهب المالكي عام ١٥٦٣م على الشيخ محمد ابن علي بن حرم الشافعي (١) كما عرفوا شيئا من علوم القرآن وعلم الكلام وعلم الفرائض وشيئا من النحو والمنطق .

وفي ترجمات ود ضيف الله لبعض العلماء اشارات لالمامهم ببعض من هذه العلوم مثل ترجمته لضيف الله بن علي الفضلي الجعلي - يقول عنه قرأ خليل والرسالة والتوحيد والنحو (٢) .
وفي ترجمته لعبد الله الصابوني يقول عنه : حفظ القرآن وبرع في فنون النحو والصرف والفقه والمعاني والبديع وعلم العروض وكان شاعرا ماهرا .

واذا كانت هذه العلوم الدينية والعربية تمتزج عندهم في تلقيها وتعليمها بالتعاليم الصوفية ، فهذا لا يعني أن العلماء ذابوا في هذا المد الصوفي تماما بل يلاحظ أن بعض العلماء وقفوا بصلابة امام المبالغات التي

---

(١) يوسف فضل ، دراسات في تاريخ السودان ص ٦٧ .

(٢) الطبقات ص [illegible] ، ص ٢٩٤ .

كانت وليدة الشطحات الصوفية التى تطبعها فى كثير من الأحيـــان حالات روحية أشبه بالجذب فتأتى آراؤها مخالفة لصريح نصــوص الشريعة الإسلامية .

ومن أشهر هذه الوقفات الضيئة فى تاريخ هؤلاء العلمـــاء موقف الشيخ دشين الذى كان يلقب بقاضى العدالة لوقوفه أمـــام أحد مشائخ الصوفية وهو الشيخ محمد الهميم عندما زاد فى عـــدد زوجاته على العدد الذى يبيحه الشرع فجعلهن خمسا فقسخ الزيجـــة الغامضة (١) .

وفى هذه الحادثة يقول الشيخ فرح ود تكتوك فى رثائه :

أين دشين قاضى العدالة	الما بميل بالضلالـــة
نسله نجم السلالـــة	والاوقدوا نار الرسالـــة (٢)

والمعنى أين مضى ذلك القاضى الذى اشتهر بالعدل بين الناس وبالثبات على الحق والبعد عن الميل مع الهوى الضال وأكــرم بنسله الذى سار على نهجه وأوقدوا نار القرآن الكريم - ليعلمــوا

---

(١) الطبقات ص ٢١٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٢١٤

الناس الدين وليحملوا رسالة والدعم القائمة على إحياء الرسالة المحمدية المتمسكة بالعدل ، المائلة عن الهوى .

وبعد :- فأرجو أن يكون هذا الحديث الموجز عن دولة الفونج ومحاربها الاسلامية ساعدنا على ضوء/ الحديث عن الشعر العربي الاسلامي لهذه الفترة فاذا عرفنا أن ما يمده صاحب الطبقات من أشعاره أتت معظمها في ذكر كرامات الاولياء والصالحين أدركنا أن الشعر الإسلامي كان أسبق اغراض الشعر العربي في السودان . ويرى الدكتور عبدالمجيد عابدين أن هذا الشعر العربي نشأ في السودان نشأة دارجة ثم ظهرت بعد ذلك في العصور التالية المحاولات الفصيحة (١) .

بينما يرى الأستاذ محمد محمد علي أن هذا فرض لا يسنده الواقع ولا تراعي الاحوال اذ ليس من طبيعة الاشياء أن الناس في السودان ظلوا منذ أن صاروا عربا الى العهد التركي لا يعرفون من الشعر الا ما كان منه شعبيا او صوفيا (٢) .

ومهما اختلفت وجهات النظر حول نشأة هذا الشعر فإن وجهة نظر الدكتور عبدالمجيد عابدين تبدو اقرب للواقع حيث إن النصوص التي بين ايدينا لا تثبت غير ذلك الشعر الدارج بداية

---

(١) عبدالمجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٨٦.

(٢) محمد محمد علي - الشعر السوداني في المعارك السياسية ص ٥٥.

للشعر العربي في السودان بل إن المؤلفات النثرية في ذلك العصر كانت أقرب الى الدارجية منها الى الفصيحة خاصة اذا أخذنا اللغة التي ألف بها كتاب الطبقات نفسه لأعطت فكرة عن غلبة العامية في لغة الكتاب إبان ذلك .

وإذا اعتبرنا أن الشعر الدارجي هو البداية الثابتة بين أيدينا فما هي الموضوعات الغالبة عليه ؟ .

لا ريب أنهم كتبوا الشعر في أغراض شتى لكن الذي عني به صاحب الطبقات هو شعر مدح به الأولياء والصالحون وقد لاحظ بعض الباحثين أن تلك النماذج التي وصلت الينا من ذلك الشعر الديني في هذا الشعر تخلو من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم متخذة بدلا عنه مدح الأولياء والصالحين (١) .

ولعله من البديهي أن هذا شيء طبيعي إذا عرفنا أن هذه النماذج التي وردت الينا كانت من مختارات طبقات ود ضيف الله . وهو كتاب ألف في ذكر الأولياء والصالحين . وسياقه الحديث للشعر الذي نظم فيهم ومع ذلك فقد وردت في الكتاب اشارات لمدحهم الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول مثلا في ترجمته لاسماعيل صاحب الربابة : (وله شرح على قصيدته في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم) وهي قوله :-

اني رأيت نبي ليلتي في منامي * خير البرية ضاحكا مستبشرا (٢)

---

(١) الدكتور [illegible] : الأدب الصوفي في السودان ص [illegible] .

(٢) الطبقات ص ٧٨ .

وهذا أمر بديهي اذ ليس من المعقول أن يمدحوا مشائخهم ويتركوا سيد البشر الذي بــه يتوسل هؤلاء المشائخ الى ربهم .

وقد غلب على هذا النمط من الشعر الديني امتداح الزهـد والتقوى والاستعداد للدار الآخرة .

ومن ذلك قول أحدهم يمدح الشيخ حمد النحلان :-

الدنيا أم قدود طلقهـا * فى سابع السموات علقهـا

فيها ما بدور ابسره ولا محلقها * والعقد المقدها مع ربه فكهـا (١)

والمعنى : انه زاهد فى الدنيا ، لقد شاء أن يطلقها فالقى بها بعيدا ، كبعد الأرض من جو السماء فهو غير راغب فى أقـل مقدار منها ولو بمقدار ابرة مكتفيا بتوثيق العهد الذى يربطه بربه غير منفك ولا منفصم عنه . ويزداد هذا المعنى الزهدى عند الشيخ مكـى الدقاقى عمقا ويقترب من الأداء الشعرى المؤثر مع أخذه من صحـة العبارة وسلامتها للنص ، يقول :-

الله لى عدة فى كل نائبة أيضـا
أقول فى كل حال حسبى اللـه

يا ذاكرا بالمعاصى عند خلوتـه
أما علمت بأن الشاهد اللـه

ءان الذنوب التى قدمتها كتبـت
ءان كنت ناسيها لم ينسها اللـه

---

(١) [illegible] ص [illegible] .

والى متى أنت في لهو وفي لعب ؟

فما مقالك فيما يعلم اللـــه

فما مقالك والأســرار ظاهـــرة

والنار بارزة والحاكم اللـــه

تب يا بن آدم أنت اليوم في مهـل

واستغفر الله ان الغافر اللـه (١)

والأبيات كما أرى جيدة اذا ما قيست بمعايير الشعر في زمانهـا وصدقها الى جانب سلامة الصياغة واستقامة الوزن هذه النبـــرات الصادقة التي تنم عن ايمانه بالله واعتماده عليه وحده في كل الشدائد كما نلاحظ صيغ الطلب مثل النداء وأساليب الاستفهام والأمــــر والنهي وفي كل ذلك من خصائص لغة الشعر ما لا يخفى ومن جميـــل المعاني التي صورها الشاعر تصويرا مؤثرا فيه من أسلوب الاستفهـــام ما يزجر العاقل حيث عرض الشاعر صورا مخيفة في الهوى ترعوي لهـا النفس المؤمنة .

فما مقالـــك والأسرار ظاهـــرة × والنار بارزة والحاكم اللـــه ؟

ولكن أخذ عليه بعض النقاد تكرار لفظ الجلالة في القافية (٢) ومما يبدو لي أن الشاعر كرر لفظ الجلالة تعمدا لما في ذكـــر

---

(١) المرجع السابق ص [illegible] .

(٢) عبد المجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص [illegible] .

افق البلاد من جمال وجلال يملآن النفس بهجة وعظمة ودهشة ـ

كما يقول التيجاني يوسف :ـ

(١)

هذه طبيعة في صباها الأول ... * ... بعد ما في الوجود من أسماء

وهذه إشارة سريعة للشعر الإسلامي في دولة الفونج كانت

نتيجة لما نال في تلك الدولة من التعاليم الإسلامية والفضل في

ذلك يعود إلى بعض ملوكها الذين اهتدوا بالتعاليم الاسلامية حتى

عرفوا بذلك فمدحهم الشاعرون على هذا المنهج . واشهر تلك

المدائح تلك الرائية الشهيرة التي ... الشيخ ... الحاريـن

احد علماء الازهر ـ يمدح بها بادى احد ملوك الفونج ومنها قوله :

الى ... ... ان الملك الذى * حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر

... للاسلام والملك حارسا * أباد به جمع الطواغيت والكفر

... في الله حق جهاده * وفاز بانواع المثوبة والاجر

ويلاحظ انه يمتدح جهود الملك بادى في حمى الإسلام وحرصه

على ابادة طواغيت الكفر وجهاده في الله جهادا حقا فاز به

بثواب الله واجره .

وإن كانت لهذه الابيات من قيمة غير مدح بادى فإنها تعطي

القارئ فكرة عن ازدهار مملكة الفونج الإسلامية واتجاهاتها المشهورة

الى بناء صرح الإسلام في هذه العلوم .

... الى ذلك يشير محمد سعيد العباسي في قصيدة سنار

نادرة اولئك الملوك يقول مخاطبا سنار :

---

(١) التيجاني يوسف بشير ـ اشراقة ص ١٢ .

لهف نفسي فقدت بالقبابة الخيـ ـر كهولا صحوا حصـالا ومردا

أنت مثوى للأكرمين ومهـــدا أنـا رضيا لخيلهم ومنـــدى

وربابا [illegible] زينة وتبابـــا زان أرجاءها عليك مفـــدى

عاش ما عاش وهو [illegible] أبـــي لم يذعن لغير مولاه عبـــدا

ولقد شهدت تلك الدولة الإسلامية الأولى نهضة الشعر العربي الإسلامي في العصور التالية لهذا العصر وسنقف وقفات سريعة عند أحوال الشعر العربي الإسلامي في هذه العصور حتى بداية العصر الذي نبحث فيه .

---

(١) محمد سعيد العباسي ص [illegible]

عصـــر الاتـــراك

بعد تلك الاشارات السريعة لمسيرة العروبة والإسلام منـــذ دخول العرب والإسلام السودان حتى نهاية دولة الفونج : لعله من المفيد أن نلقي بعض الاضواء على اهم سمات عصر العروبة والإسلام في عهد الاتراك .

لقد استولى الاتراك على مقاليد الحكم في السودان فـــي عام ١٨٢١م وامتدت فترة حكمهم الى عام ١٨٨٥م. ولم تواجه جيوشهم مقاومة كبيرة سوى تلك الوقفة التي وقفها المواطنون في منطقـــة الشايقية . والتي عرفت بموقعة ((كورتي)) . وإن هـــي الا ساعات قلائل حتى انجلت المعركة لصالح الاتراك لتفوقهم في العتـــاد الذى كان للسلاح النارى الذى اعطوه الاثر البالغ فى انتصارهم (١).

ويبدو أن هذه الجيوش التي قادها اسماعيل باشا كانت تهـــدف من وراء فتح السودان للاستفادة من خيراته واتساع الاراضي الزراعيـــة الوافرة وتوفر سبل الري ، الى جانب ما عرفت به من وجود معـــادن الذهب ويضاف الى ذلك رغبة محمد على نفسه في تأمين حـــدود مصـــر الجنوبيـــة (٢) .

---

(١) ضرار صالح ضرار - تاريخ السودان الحديث ص ٢٢ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها ومكي شبيكة ص ١٢ .

وفي سبيل تكوين دولة عصرية في هذه البلاد عمد محمد علي الى فتح بعض المدارس لاعداد مصريين يديرون مقاليد الأمور التي تحتاج الى الخط الكتابي والاداري ونحو ذلك . مما لا بد منه لادارة الحكم فأنشأ لذلك خمس مدارس في عواصم الاقاليم وهي بربر والخرطوم ودنقلا والابيض وكسلا . وكان منهج التعليم يجـــري على نسق المدارس المتوسطة فــي مصــر - ويرى الدكتور مكي شبيكه أن تلك المدارس قد احدثت نهضة في الثقافة والآداب في ربـــوع السودان (١) . ولم تكن لتلك المدارس آثار واضحة في ازدهار الحركة الادبية كما يرى الدكتور مكي شبيكة (٢) ويبدو لــــــــي أن ذلك التحسن الذي طرأ على اساليب الادب ومعانيه . مرجعه الى جهود علماء الأزهر الذين جاءوا مع الفتح لامر الناس بطاعـــة أمير المؤمنين (٣) والى جهود العلماء السودانيين الذين تلقوا العلم في الأزهـــر ثم عادوا للبلاد . حيث نشطت جهود هؤلاء العلماء في تعليم الناس أمور دينهم . وتعليمهم شيئا من العربية ومما يؤكد أن بداية النهضة الادبية في السودان تمت علــــــــى ايدي هــؤلاء العلماء انا لا نكاد نجد نصا شعريا فصيحا لغيرهم في تلك الحقبة . ومما يزيد هذا الرأي قوة ووضوحا أن موضوعات

---

(١) مكي شبيكه : السودان عبر القرون ص ١٥٠

(٢) محمد محمد علي : الشعر السياسي في المعارك

(٣) مكي شبيكة ـ ص [illegible] .

ذلك الشعر تغلب عليها الاغراض الدينيه الإسلامية : كما سنرى .

وقد لاحظ الدكتور عبدالمجيد عابدين أن اثر هؤلاء العلماء في الشعر كان واضحا - حتى إن اسلوبه تظهر فيه العبـــارات الفقهية (١)

ومن روافد الثقافة العربية الإسلامية في عصر الأتراك هـــذا الأثر البارز الذي صحب حركة السيد أحمد بن ادريس الفاسي وكان مصلحا دينيا بارزا في مكة حيث أرسل احد اتباعه لبلاد السودان وهو السيد محمد عثمان الميرغني لنشر الإسلام فشملت دعوته بلاد السودان من دنقله الى كردفان وتبعه أناس كثيرون (٢) .

ونشر طريقته الختمية وكان يصحب اورادها تعليم قراءة المولد والاذكار والمدائح النبوية الشريفة .

ونخلص من هذه الاشارات الى شيوع التعليم الديني في عصـــر الأتراك . الا أن غلبة الأغراض الدينية في الشعر السوداني فـــي ذلك العهد كانت نتيجة طبيعية لجهود هؤلاء العلماء والمشائخ .

حتى عاب بعض النقاد عليهم حصر انفسهم في المدح الديـــني وتركهم تصوير ما يضج به مجتمعهم من مشكلات ، وعدم تصديهم لظلم الأتراك واستبدادهم . ولو التفتوا بهذه الصيحة الى جانب جهدهـــم الديني لكان للشعر موقع آخر في نفوس الناس فـــي عصرهم (٣) .

---

(١) عبدالمجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٦١
(٢) المرجع نفســـه
(٣) محي الدين الطيب - شعراء الوطنية في السودان ص ٨٥ .

واذا كان الشعر الديني هو الموضوع الغالب على أغراض الشعر في زمانهم - فانهم أكثروا من المديح النبوي الشريف .

وعاب عليهم بعض الدارسين أن معانيهم في هذا المضمار جاءت معادة ومكرورة . فلا يجد الشاعر من الصفات ما يخلعه على الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أنه نور الله - وهو عدتنا وذخيرتنا وأن النساء لم يلدن مثله (١) .

ولعل هذا الباحث قد اشتط في هذا الحكم . فان تلك الصفات التي ذكرها من أبعد ما وصف به المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي لا تصاغ في قالب العبارة بقدر ما تحمل في ثناياها حبهم وشوقهم للرسول الكريم ولعلهم في ذلك يمثلون صورة من صور الشعر العربي في عصرهم اذ كانت سمات التقليد واضحة في الشعر العربي عامة ولم تأت نهضة التجديد الا بعد البارودي .

ويمضي هذا الناقد في اطلاق احكامه على هذا الشعر ايضا عندما يقول (انهم تأثروا بأخبار الرواة وبالاسرائيليات التي تنسب الى الرسول معجزات خارقة) (٢) .

ولست ادري كيف تفهم المعجزة إن لم تكن أمرا خارقا للعادة يقول ابن حجر - في شرح البخاري - ويشترط أن يكون التحدي

---

(١) محمد ابراهيم الشوش : الشعر الحديث في السودان ص ٤٤ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

به مما يعجز البشر عنه في العادة وسميت المعجزة معجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها (١) .

ومن الغريب أن يورد هذا الباحث بعض المعجزات الثابتة التي صاغها شعراء هذا العصر شعرا ويرى أنها من نسج الرواة مثل انشقاق القمر - وانطفاء نار كسرى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وابراءه المرضى - ونبع الماء من كفه الشريفة ومما أورده في ذلك قول الشاعر : الشيخ عمر الأزهري :

أضحت منكسة في يوم مولده * الاصنام والشرك قد أمسى بخسران

والنار بأرض الفرس خامدة * من غير ما علة تعزى لذي جان

وإن كل تلك المعجزات التي تحدث عنها الكاتب ونسبها للرواة صحيحة وردت في الكتب الموثوق بها ومنها - فتح الباري للبخاري (٢) والشفاء للقاضي عياض (٣) .

وإذا تجاوزنا ذكرهم معجزاته نجدهم عبروا تعبيرا صادقا عن حبهم له صلى الله عليه وسلم في شعر لا يخلو من زفرات وجد وشوق ظاهرين : ومن ذلك قصيدة للشيخ عمر الأزهري يفتتحها بغزل صوفي فيقول :

---

(١) ابن حجر في شرح البخاري : الجزء السادس ص ٥٨٣ .

(٢) البخاري الجزء السادس ص ٥٨٤ .

(٣) الشفا للقاضي عياض ص ٢١٠ .

باد هواك وزاد خفقانـــه * صب تفرق بالنوى اقرانـــه

فجرت بوادر مقلتيه لما جـــرى * جمرا وحن الى الوصال جنانه

قد كان يأمن التصبر بعدما * بانوا وقرحت البكا اجفانـه

لم يدر قبل البين ان فـــؤاده * رهن لمن ، وأيقن ردانـه

ويستوحي الشاعر في ارسال هذه اللواعج التي ران ناتجهـا التجربة الذاتية في الصياغة . اسمعه اطلقت من بث أشواقـــه حارة صادقة . ومن أجمل ما فيها مطلعها الذي يذاب فيه نفســـه قائلا : ان قلبه شوقا وصبابة إثر اولئك الأقران والأصحـــاب الذين فرقتهم يد النوى .

باد هواه وزاد خفقانــه ... صبّ تفرق بالنوى اقرانـــه

ويتخلص من هذه المقدمة الغزلية ليمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويحدد من صفاته الباهرة ، يحدد كل ذلك في صـــــور شعرية جميلة .

جمعت خصال المرسلينا له كما * جمع الذى فى كتبهم فرقانـــه

متواضع والزهد فيه سجيـــة * يأوى ويوصب والاوان اوانه

يمشى ويكنس داره ويخيط ثو * بـا قد عفا ـ والمفخ ذلك شأنه

ولا يفوت على القارئ المتذوق جمال التشبيه في جعلـــه الرسول يحوى كل صفات الرسل الكرام ـ كما حوى قرآنه كل مـــا جاءت به كتبهم .

وتجرى القصيدة على هذا النسق فيها كثير من الصور الشعرية الجميلة وقد يصل به حبه للرسول (ص) الى بعض ما يسمى عنـــد الصوفية بالشطح ـ مثل قولـه :

لولاه ما كان الوجود ولم يكن * بل ولا طه ولا اعوانه

حتى ولم يك آدم كلا ولا شيث * ولا نوح ولا طوفانه

وقد وضع الدكتور محمد ابراهيم الشوش ضمن مثل هذا الشطح الذى يجرى كثيرا على لسان الشعراء المتصوفين ـ سماه بتأليه الرسول (١) .

وشتان بين التأليه وبين هذا اللون من الشعر الذى يتفانى صاحبه ويذوب فى حب معشوقه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

هذه لمحات عن شعر المديح النبوى فى عصر الأتراك ولقد عاب ـ كما أسلفت النقاد هذا العصر لوقوفه بمنأى عن القضايا الوطنية والاجتماعية . ونفوا الطرف عن كل ما أنتجه أولئك الشعراء من شعر يمكن أن يضم هذه اتجاه دينى فيه لمحات من شعر الجهاد الإسلامى وأرى أن قصيدة الشيخ يحيى السلاوى التى مر عليها مخاصمهم واصفين اياها بأنها شعر مدح : فيها معنى أعمق من المدح : بل هو فيما يبدو لى تمثل اللبنة الأولى لاتجاه الشعر الدينى الداعى لمؤازرة المسلمين .

فلقد كتبت القصيدة تأييدا للثورة العرابية . ونشرت فى مصر كما يقول صاحب نفثات اليراع كتبت بماء الذهب ووزعت على الناس وكان ذلك عام ١٨٨٢ (٢) .

---

(١) محمد ابراهيم الشوش ص ٢١

(٢) محمد عبد الرحيم : نفثات اليراع ٨٢

يقـول فيهـا :

شغل العدا بتشتت الأحـــزاب * والله ناصرنا بسيف عرابـــى
والقطر فيه من الرجال كفــاءة * للحادثـات فهم أولو الألباب
وحمية الاسلام تقضـى بالوفــا * حتما على كل امرئ أواب
وحمية الوطن العزيز تحثهـم * والفتح اذن باتبـاع صـواب
والمشركون خواسر فى سعيهـم * هزموا وقد نكصوا على الأعقاب
هيا بنا يا أهل مصر الى الرضا * والفوز فى العقبى بغير حساب (١)

والأبيات فى رأى شعر اسلامى لحما ودما ـ تتجلى فيها دعـوة الشاعر الى الجهاد واضحة ، وفيها حث المسلمين على جمع كلمتهـم . وأن النصر باذن الله سيتم على يد هذا القائد الاسلامى عرابـى ، ولم لا ينصره المسلمون ولا يؤازروا ثورته وهم مسلمـون .

وحمية الاسلام تقضى بالوفا * حتما على كل امرئ أواب

ولا يخفى المعنى الإسلامى أن المسلمين كالبنيان يشد بعضـه بعضا ـ وتعجبنى جدا ـ كلمة حتما ـ فى هذا البيت إذ يرى الشاعر أن نصرة المسلم لأخيه المسلم ليست عملا من قبيل المجاملة ولكنهـا شئ حتمى تحتمه عليه عقيدته . إن كان يرجو الله واليوم الآخر .

أقول إن هذه القصيدة مرّ بها النقاد ـ ووضعوها تحت شعـر المديح فى العصر التركى ، وهى بلا ريب شعر وإن جاء فى سيـاق المدح . إلا يخفى ما فيه من بواعث القصيدة الإسلامية وهل مـدح قادة المسلمين وزعمائهم يخرج الشعر من دائرة الشعر الاسلامى ؟!

---

(١) محمد عبد الرحيم : نفثات اليراع ٨٣

وأدل من هذا الى أن الشعر العربى الإسلامى فى العصر التركى كان الى حد كبير يشبه الشعر العربى فى سائر الاقطار العربية . وإن روح الجهاد التى ترى فيه ضعيفة - لم تكن تعنى أنهم جميعا كانوا موالين للأتراك كما يتوهم بعضهم ولعل فى اشارات الشيخ محمد شريف الى ظلم الاتراك وضرائبهم الباهظة ما يشير الى أنهم كتبوا شعرا فى هذا المضمار . ومن الذى يدرى فقد تكون قسوة الاتراك وجبروتهم حال دون نشره .

يقول الشيخ محمد شريف فى معرض هجائه للمهدى :-

وما أبت السودان حكم حكومة
الى أن أتى ضعف المطالب من مصر

فالثلث والثلثين للميرى وحده
وللشيخ والنظار أضعافه فساعدى

بضرب شديد ثم كتف مؤلم
ومن بعده الالقاء فى الشمس والحر

وأوتاد ذى الأوتاد من بعض فعلهم
وأشنع من ذلك كله عمل الهر (١)

---

(١) نجوم شقير ج ٣ ص ١١ .

الشعر العربي الاسلامي

عصر المهدية

كان عهد الأتراك كما أشرت فيه كثير من سمات الظلم ومظاهر الاستبداد والفساد الخلقي ، والانشغال عن تلبية أوامر الله ونواهيه والى ذلك يشير الشاعر محمد عمر البنا في دعوته المهدي لفتح الخرطوم .

فانهض الى الخرطوم إن بسوحه

أهل الغواية والمفاسد باتوا

نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم

عن دينهم شغلتهم الشهوات

ولعل ذلك مما هيأ الناس لقبول دعوة المهدي فتوسموا فيها العدل في الحكم ـ كما تاقت نفوسهم الى كبح مظاهر الفساد الخلقي : والسودانيون ميالون الى الدين (١) .

لذا جاءت الثورة ترجمانا لمشاعرهم وانتصارا لموضوعهم الديني فتجاوب معها الكثيرون منهم ، وان أهم الأسباب التي جعلتهم يتفاعلون معها ويتغنون بانتصاراتها ، أنها ارتكزت على مبادئ الإسلام اذ أن المهدي أعلن الناس أنه هو المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا ، وأنه سيقيم مجتمعا اسلاميا مشابها لمجتمع

---

(١) ضرار صالح ضرار ١١٦ .

المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويضاف الى هـــذه المبادئ الإسلامية الواضحة أن المهدى نفسه كان رجلا متدينـــا ، تبلورت شخصيته الدينية منذ صباه (١) .

فلقد سعى محمد أحمد ـ الذى عرف بعد ذلك بالمهدى الـــى منابع العلوم الدينية ومشاربها منذ صباه متنقلا بين الخلاوى والمساجد يقرأ القرآن الكريم ويدرس علوم الشريعة ويتزود بالنفحات الصوفية .

وكان أشهر تلك الرحلات رحلته لمسجد الغبش حيث تلقى علـــوم الشرع على الشيخ محمد الخير

حيث نهل من علوم الشريعة على ذلك الشيخ العالم . وأدرك بثاقب حسه أن العلوم الشرعية وحدها لا تكفيه من نفوس الناس فـــى بلاد تشرب أهلها بالروح الصوفى منذ أزمان طوال .

ومن ثم رحل للشيخ العارف بالله ـ محمد شريف نور الدائـــم حفيد الشيخ الطيب مؤسس الطريقة السمانية بالسودان فـزادت تلقاءاته بهذا الشيخ معارفه الشرعية ، وشحذت روحه الدينى بمد صوفى نفحه به شيخه محمد شريـــف .

وظل يواصل تلقى العلوم الدينية . ويتشرب بهذا المد الصوفـــى الروحى . حتى آنس فى نفسه القدرة على القيام بثورة دينية تصلـــح مظاهر الفساد السياسى والخلقى الذى استشرى فى أواخر حكم الأتراك .

---

(١) ضرار صالح ضرار

لذا تبلورت فى ذهنه فكرة المهدية وهى فكرة معروفة فى تاريخ الإسلام . وإن كان علماء الإسلام لم يجمعوا على صحة الأحداث التى تؤيدها ـ الا أنها رسخت فى أذهان جمهور المسلمين على مر القرون باعتبارها ثورة خلاص من مظاهر الاستبداد السياسى والفساد الخلقى ـ وكانت ظروف السودان فى تلك الفترة شبيهة بهذه الحال . ورأى المهدى أنه مهيأ للقيام بهذا العمل الجليل ـ من حيث كونه عالما وعارفا ويدعى أنه من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وكل ذلك من مقومات المهدى .

ولقد اقتفى المهدى أثر الرسول فى اعلان دعوته حيث بدأها سرا فكاتب العلماء تلميحا فقبل بعضهم وأعرض آخرون وصرح بعد ذلك بالدعوة ـ فكاتب رجال الدين يدعوهم لتصديقه بما جاء به من مهدية كبرى خصه الله بها (١)

ووصف لهم أمره بأنه نبى موجه لبناء مجتمع منظم وموجه (٢)

وأتخذت الدعوة المهدية مبادئ الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة وحدهما نهجا لها كما كان حال الدعوة الاسلامية فى عهدها الأول . وهو يرمى بذلك الى تنقية المجتمع الإسلامى مما قد يكون علق به من شوائب مخالفة للكتاب والسنة . ويرى أن ذلك يوحد كلمة المسلمين ـ فمن ثم نشر مذهبه القائم على الكتاب والسنة ومنع تداول كتب الفقه ـ على المذاهب لما يراه فيها من إختلاف فى وجهات النظر قد يتبعه فى

---

(١) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٣٦

(٢) محمد ابراهيم أبو سليم : الحركة الفكرية فى المهدية ص ٤٩

فيه اختلاف فى آراء المسلمين واضعاف وحدتهم ، وأمر الناس أن يتركوا توجهاتهم الصوفية المختلفة ، لما يراه فيها أيضا من اختـــلاف مشاعر المسلمين واختلاف كلمتهـــم .

وفى سبيل هذه الأفكار الدينية أمر باغلاق المدارس القائمة علـــى أساس منهج التعليم التركى وأبقى خلاوى القرآن .

وأشرف بنفسه على حضور مجالس العلم - وكان يعلم الناس ويشـــرح لهم فكرته الدينية .

ولعل ذلك مما جعل الخلاف بينه وبين بعض العلماء يمتد فأنكر كثير منهم أمر مهديته .

غير أنه لم يترك لهم مجالا للاستدلال على بطلان مهديته فقـــد أعلن أنه مؤيد من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن أقواله فى ذلك : (وقد أخبرنى سيد الوجود صلى اللـــه عليه وسلم بأن من شك فى مهديتى فقد كفر بالله ورسوله وأنـــــه أخبرنى صلى الله عليه وسلم يقظة فى حال الصحة خاليا من الموانـــع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون) (١) .

وهذا أمر لا يجعل لأولئك العلماء حجة تقوم على دليل شرعـــى أو عقلى والمهم فى هذا أن هذه الدعوة لقيت قبولا عند العامـــــة فضلا على أصوات معارضيه من العلماء - مما مكنه من القيام بنشـــاط ذى طابع عسكرى وسياسى ودينى غير وجهة الحياة فى الســـــودان (٢)

---

(١) منشورات المهدية [illegible]

(٢) محمد محمد على : الشعر السودانى فى المعارك السياسية ص [illegible]

وإن ما خاضته تلك الثورة من معارك وما أحرزته من انتصارات باهرة قد عبر تراثه شعرائها بشعر يتدفق حماسة يتغنى بانتصاراتها ويمجد ابداعها . وكانت شخصية المهدى هى الموحية لهم بكثير من هذه الانتصارات والابداعات .

ولا غرو فالرجل كان عالما بالدين وله قدرة على الاستدلال بآيات القرآن الكريم . وكان قائدا ماهرا منتصرا بالتدبير والإيمان على السلاح الحديث ، وكان له قدرة فى نقل إيمانه هذا الى نفوس أصحابه . وكان زاهدا زهدا جعل أنصاره يؤثرون الشهادة أو النصر (١)

وإن هذه العواطف أنطقت هؤلاء الشعراء بشعر حماسي امتزجت فيه عواطفهم الدينية بعواطفهم الوطنية ، ومن ثم رأوا أعداءهم الأعداء أعداء الدينهم ولوطنهم .

وقد لاحظت أن بعض الباحثين يتحاشون أن يعلنوا صراحة أن تلك الحماسة التى ظهرت سماتها على الشعر العربى فى المهدية كانت فى جوهرها حماسة دينية فجرتها انتصارات المسلمين بقياداتهم التى أبلت أحسن بلاء فى تلك الحروب الإسلامية .

يقول أحد هؤلاء الباحثين المحدثين (ان المهدية أدخلت فى نفوس أولئك الشعراء عنصر الحماس والتغنى بالبطولة والشجاعة ، وهى دفعة قربت الشعر الفصيح الى الشعر العامى حيث عبر عن حياة

---

(١) محمد محمد على ـ المرجع السابق ص ٦٠ .

الناس والاعصم (١)

وواضح من كلام هذا الناقد أنه أغفل العقيدة وأثرها في شحذ هذه المجموعات المسلمة المقاتلة المنتصرة لعقيدتها وما أحسب أن الوطنية وحدها كافية لاخراج مثل هذا الشعر حارّ العاطفة ، ذلك الشعر الذى غلبت عليه مشاعر الشعر الإسلامي الذى قيل في الجهاد .

ومثال ذلك قول البنا :

الحرب صبر واللقاء ثبـــات * والموت في شأن الاله حيـاة

ولا يخفى ما في هذا البيت من المعانى السامية التى أشار إليها الإسلام في الجهاد ، وأن للاستشهاد ثوابه الجنة .

وفى هذا تلمح معنى قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلـــوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٢)

ومثل هذه الآراء النقدية التى ترى أن الشعر في عصر المهدية كان سياسيا فحسب آراء كثيرة في النقد الأدبى الحديث - ومـــن ذلك قول أحدهم - إن المهدية أدبا تقوم فكرته على أساس رومانسى حالم (٣)

ومهما يكن من أمر هذه الآراء النقدية التى لم يحالفها التوفيـق

---

(١) محمد ابراهيم الشوش - ص ٣٠

(٢) الآية ١٦٨ : آل عمـــران

(٣) محمد ابراهيم الشوش المرجـع السابق

في تقويم هذا الشعر الحربي الإسلامي في عهد المهدية كان الصرء يحس فيه الحماسة الدينية - التي أملتها عليهم عقيدتهم الاسلامية ، وتلك التعاليم التي غرسها المهدي في أنصاره ، ومنها الدعوة الى الجهاد ، لاحراز إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة .

ولعلهم قد أعجبوا بهذا الصوت الذي يجهر ويجأر بالدعوة الى الجهاد - وقد غاب عن بلاد الإسلام مثل هذا الصوت منذ أزمان ليست بالقليلة - وليس صحيحا - أن روح الوطنية وحدها كانت الباعث لهذه الحماسة الدينية كما يرى الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، .

بل إن العقيدة الإسلامية هي التي ملأت نفوسهم بحب الجهاد وساعدهم على ذلك أن المهدي نفسه كان شخصية إسلامية أثرت فيهم بانتصاراتها - هذه الحماسة وارتبطت معاني الجهاد عندهم بالوطنية . فكأنهم إن هم حاربوا المستعمرين انما يلبون نداء الله الى الجهاد -

واعتقد أن هذا الشعر في عصر المهدية كان دفعة جديدة للقصيدة العربية نحو مزيد من التجويد في الصياغة والنأي عن الركاكة ولعل للحماسة الدينية دورها الفعال في إعطاء الشعراء احساسا قويا جعلهم يكتبون شعرا صادق الإحساس ، جياشًا بمعاني ما كانوا يعرفونها مثل الحث على الاستشهاد والتغني بالبطولات .

أهـــم المؤثــــرات السياسيــــة
في شعرهم العربي الإسلامـــي

شهدت البلاد أحداثا سياسية كانت ذات أثر فعال جدا فـــي توجيه الشعر العربي الإسلامي في تلك الحقبة ، ولقد كانت الأحـــداث السياسية خارج السودان ـ في مصر بصفة خاصة ذات أثر كبيـر فـــي هذا الشعر ـ يبدأ أثر تلك الأحداث قبل الفترة التي نـــدرس شعرها ـ بثورة عرابي ـ وكانت ذات طابع عربي إسلامي وقد قدمـــت نصا للشيخ يحيى السلاوى ـ يؤيد فيه جهاد عرابي ولعله كان النواة الأولى لشعر النضال الوطني ذي الطابع الاسلامي في السودان ـ وكان أيضا لأحداث ثورة ١٩ دورها الهام في إذكاء الشعور الوطني نحـــو مصر ، مما حدا بالانجليز أن يقيموا الحواجز أمام السودانيين الشماليين كي لا يدخلوا اقليم دارفور والجنوب خوفا من آثار تلك الثورة العربية الإسلاميـــة . (١)

ويشير الباحثان محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد الى آثار الثورة المصرية في السودان قائلين : (وكانت الثورة المصرية على أشدها وشعراء مصر أمثال شوقي وحافظ يسجلون تلك الوقائع بشعر رصين ونحن في السودان نلتهمه إلتهاما) (٢)

---

(١) ابراهيم العدوى يقظة السودان ـ ص ٦٤

(٢) [illegible] نفسه ـ ص [illegible]

والى جانب هذه الأحداث فى مصر كانت داخل السودان تجرى أحداث سياسية كان لها الأثر الأكبر فى توجيه مسار الشعر العربى الإسلامى فى السودان ، .

ولعل من أهم تلك الأحداث ثورة ١٩٢٤ لقد كان السودانيون رغم إشتراك مصر الاسمى فى حكم السودان يحسون بأنها مغلوبة على أمرها وأن الحاكم الحقيقى هو الانجليز .ومن ثم ظلوا يتجاوبون مع كل حدث سياسى فى مصروالسودان مؤيدين موقف مصر المؤيد للسودان ، حيث بدأت الأحداث بظهور جمعية اللواء الأبيض ـ التى يدعو زعماؤها للتعاون مع مصر لتحرير مصر والسودان من ربقة الاستعمار الانجليزى فأنشأت الجمعيات السرية لهذا الغرض وهاجر عدد من السودانيين لتلقى العلم بمصر ـ وتلاحقت الأحداث حتى قامت ثورة ١٩٢٤ (١) ومن أهم أسباب ثورة ١٩٢٤ ـ أن الانجليز طالبوا باخراج الجيش المصرى من السودان اثر اغتيال استاك القائد الانجليزى الذى اغتيل فى القاهرة ـ ورفض المصريون هذا الطلب وآزرهم فى ذلك السودانيون ـ وتطورت الأمور الى معركة مسلحة جرت على شواطئ النيل بالخرطوم بين الجيش الانجليزى وبعض الضباط والجنود السودانيين ـ وأبلى السودانيون بلاء حسنا حتى استشهد القائد عبد الفضيل ألماظ (٢)

---

(١) مكى شبيكة السودان عبر القرون ٤٩٤

(٢) مكى شبيكة ص ٥٠٥

وما كان لهذه الثورة لتصل الى هذا العمل المسلح الذى يستشهد فيه الأبطال لولا إيمان السودانيين بضرورة الوقوف بجانب مصر فى هذه القضية التى يرونها - بداية الكفاح المسلح ضد المستعمرين - وقد استغل الانجليز هذه الأحداث فعمدوا الى اضعاف الروابط بين السودان ومصر - وعمدوا الى عزل جنوب السودان الذى تغلب فيه الوثنية عن شماله المسلم ، كما شجعوا رجال التبشير المسيحى على نشر المسيحية.(١)

غير أن هذه السياسة لم تزد السودانيين الا إيمانا بوقوفهم مع مصر - فاشتدت أسباب الصلات السياسية والثقافية بين القطرين وعلا صوت الدعوة لتقوية روابط الاخاء الحربى الإسلامى والاستفادة من ماضى المسلمين المشرق فى اذكاء نار الكفاح الوطنى (٢)

وما زالت أسباب الترابط السياسى بين مصر والسودان تقوى حتى جاء مؤتمر الخريجين العام وقد نشأت فكرته عن الجمعية الأدبية بواد مدنى عام ١٩٣٨ بدأ بالخدمات الخيرية - وكان يهدف من وراء ذلك الى قيام تنظيم سياسى .

الى أن أسفر المؤتمر عن وجهه السياسى واضحا بالمذكرة التى قدمها للحاكم العام مطالبين باعطاء السودان بحدوده الجغرافية

---

(١) ضرار صالح ضرار ٢٤٣ وما يليها .

(٢) مكى شبيكة ٥٢٧

حق تقرير المصير والغاء قانون المناطق المقفولة وتحديد الجنسية السودانية ووقف اعانات الارساليات وتوحيد برامج التعليم بين الشمال والجنوب (١)

ورفضت الحكومة هذه المطالب ، ودب بين أعضاء المؤتمر خلاف حول رد الحكومة منهم من يرى أن الحكومة ستشرك السودانيين في حكم البلاد - ومنهم من يرى أنها لن تفعل وأدى هذا الخلاف الى قيام حزبين كبيرين .

أحدهما يضم الموالين لمصر - وهم الأشقاء - رئيسهم اسماعيل الأزهري وتساندهم طائفة الختمية التي يرعاها السيد على الميرغني - وكان هؤلاء يرون أن يتحد السودان مع مصر - بينما يقود الحزب الثاني الذي يقوده الأنصار بزعامة السيد عبد الرحمن المهدي وهؤلاء ينادون بالاستقلال التام - ونشأت الى جانب هذين أحزاب سياسية أخرى صغيرة .

وظل هذا الصراع السياسي قائما الى أن وفق السودانيون جميعا في تحقيق استقلال بلادهم - وتكوين حكومة وطنية - ومن هذه الأحداث السياسية جميعها تشرب الشعر العربي الإسلامي - وكان لشعراء الأشقاء القدح المعلى في حفز الناس لتحرير السودان ومصر واقامة دولة عربية إسلامية في وادي النيل ، ومن أبرز شعرائهم الشيخ عبد الله عبد الرحمن - ومحمد سعيد العباسي وحسن طه وغيرهم (٢)

---

(١) قرار صالح ضرار - ٢٦٩

(٢) ينظر في هذا ضرار صالح ضرار ٢٨٣

أهـــم المؤثرات الثقافيـــة

لقد كان واضحا من العرض الموجز الذى قدمته فى هذه الدراسة عن مسيرة العروبة والإسلام فى السودان منذ القدم الى عام ١٩٢٤ - أن أهم المؤثرات الثقافية فى المجتمع السودانى كانت التعليم الدينى الذى كان قوامه (الخلوة) التى يحفظ فيها الطلاب القرآن الكريـــم مع الالمام بشئ من العلوم الدينية على يد شيخ عارف يقتدى به فـــى كل سلوكه ، يجله تلاميذه وأهل القرية جميعا .

وليس صحيحا ما قاله الأستاذ محمد عمر بشير (أنهم جميعـــا أميون يجهلون أبسط فنون التربية ، وأنهم يسيطرو عليهم روح مـــن أشد ألوان التعصب بربرية . (١)

بل أنهم ورثوا عن آبائهم ومشائخهم التأدب بآداب الدين وكانوا فـــى كثير من الأحيان من المتصوفة الزاهدين فى الدنيا وليس صحيحا أن أصوات التلاميذ كانت تلتقى وسط الهذيان الذى يصم الآذان (٢)

بل أن شيخهم يلقى اليهم بالقرآن الكريم فى جمل قصيرة كل وفـــق قدراته وكان الشيخ فى كثير من الأحيان جيد الحفظ للقرآن الكريـــم حتى أنه يستطيع أن يملى تلاميذه كل منهم على حده وتسمى (الرمية) .

---

(١) محمد عمر بشير - تاريخ تطور التعليم فى السودان ص ٧٢

(٢) المرجع السابق نفس الصفحـــة

وما يأتيهم من أصواتهم العالية فكان هذا وقت الحفظ والقراءة الجهرية أدعى للحفظ كما هو معلوم .

يقول أحد الباحثين (وأسهمت الخلاوى فى الحفاظ على التقاليد الإسلامية ونشأت الناس على القرآن والسنة والاقتداء بالسلوك الصالح كما ساهمت فى الوحدة القومية فى السودان تحت راية الإسلام (١)

وقد ظلت الخلوة هى المكان المناسب الذى يطمئن اليه المواطنون فى تعليم أبنائهم القرآن الكريم وأصول الدين ومن ثم نفروا فى أول الأمر من المدارس التى صاحب انشاؤها كراهيتهم للانجليز .

ولم تكن كراهيتهم لتلك المدارس منبعثة من خوفهم على أرزاقهم كما يرى الأستاذ محمد عمر بشير (٢) فما كان التعليم عندهم مرتبطا بالوظيفة بل أن الشيخ يدرس القرآن الكريم فى خلوته ويقوم بما يقوم به الناس من الزراعة وغيرها من الحرف السائدة فى مجتمعهم .

ومهما يكن فان تلك الخلاوى كانت اللبنات الأولى لصرح التعليم فى السودان وتلتها المدارس الأولية وتطورت تلك المدارس حتى وصلت فى أعلى مراحلها فى عهد الانجليز الى كلية غردون وقد كان لتلك الكلية دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية . وكان الفضل

---

(١) المقدم أحمد الجعلى - الخلاوى فى السودان رسالة ماجستير من جامعة أمدرمان الاسلامية - المقدمة .

(٢) محمد عمر بشير ص ١٠٥

فى ذلك يرجع لاساتذتها المصريين والسودانيين الذين بدأت التدريس بهم .

والى جانب هذه الكلية أنشأ المعهد العلمى بأمدرمان لتدريس العلوم الشرعية والعربية .

وكان العلماء قبل انشاء المعهد يقومون بتدريس العلم فى المساجد وفى منازلهم وكان أشهرهم الشيخ محمد البدوى . الى أن جاء الشيخ أبو القاسم هاشم فجمعهم وكون منهم مشيخة علمية وأسس منها معهد أمدرمان العلمى ووضع لها لائحة منظمة على غرار ما كان يجرى فى الأزهر من نظام علمى .

وجمع التبرعات من التجار والمواطنين لبناء مسجد أمدرمان العتيق حيث قامت الدراسة به ، وما زاد من المال بنى به مستشفى أمدرمان وأسهم فى بناء كبرى أمدرمان (١) .

وشملت مناهج المعهد الى جانب العلوم العربية والشريعة الحساب والانشاء العربى .

وكانت الغاية الأولى لرسالة المعهد هى نشر العلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية وكان الكثير من أساتذته يتفرغون لنشر العلم بعد أن يمنحهم ما كان يعمل بالوظيفة .

وليست رسالته محصورة فى تخريج معلمين ليدرسوا بالخلاوى والوعظ بالمساجد فحسب (٢) .

---

(١) عبد الحميد أبو القاسم التماس فى احياء آثار الشيخ أبو القاسم ص [illegible]

(٢) محمد عمر بشير ص ١٠١

على أن نشاطهم شمل تدريس العلوم العربية والشرعية وأسهمـــوا في النهضة الأدبية والحياة السياسية واعتبره السودانيون الملاذ الخاص للثقافة العربية الإسلامية وكان حسبهم سادتنا كان المعهد يحمل تلـك الرسالة بحق، ورغم قلة الامكانات ورغم النظرة التي كان المستعمـــرون يولونها خريجيه فكانوا ينظرون لهم نظرة ارتياب ـ لأنهم لا يحملون ثقافـــة أفرنجيـــة .

ـ كان نشاطه الثقافي نشطا .

ومن أبرز ألوان النشاط الثقافي فيه ندوة الأربعاء التي كان يقيمها الشيخ أبو القاسم شيخ المعهد في منزله ويدور النقاش فيها عن السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين والرسائل الأدبية والتاريخية وكان لهذه الندوة أثرها الكبير في اثراء الحركة الأدبية والاسلامية في اعداد شباب متفع بالأدب والثقافة العربية وآدابها أمثال التجاني يوسف بشير ومحمد عبد الوهاب القاضي ولقد آل أمر ادارة هذه الجمعية لطلاب المعهد بعد وفاة الشيخ (١) .

ولقد تبع انشاء هذا المعهد انشاء معاهد أخرى في الأقاليـــم قامت على نمطه وكانت (وسطى وثانوية) بدأ انشاؤها منذ عـــام ١٩٣٢ على يد شيخ المعهد الشيخ أبو دقن ، ساهمت فـــــي تأسيس الثقافة العربية والإسلامية في الأقاليم ـ حيث كان العلمـــاء

---

(١) عبد الحميد أبو القاسم ص ٣١

يقيمون فى المساجد حلقات الدرس (١)

ولقد شهدنا نحن حلقات تلك المساجد ورأينا الدروس التى تقام فى المساجد فى الصباح للطلاب وفى المساء للجمهور (٢).

---

(١) سعاد عبد العزيز أحمد ، التعليم غير الحكومى فى شمال السودان رسالة ماجستير بجامعة الخرطوم

(٢) مثال لذلك الدروس التى كان يقيمها الشيخ عبد السلام العملى فى مسجد عابرة العلمى ١٩٤٨ وكان معه الشيخ الطيب أحمد .

مؤثرات ثقافية أخرى

إن الخلاوى والمعاهد وكلية غردون لم تكن وحدها روافد الثقافة العربية فى السودان فان ثمة روافد أخرى كانت تساعد على اذاعة التعاليم الإسلامية بين الناس مما كان له أثره فى دفع حركة الشعر العربى الإسلامى الى الأمام .

ومن تلك المؤثرات إن كثيرا من الشعراء ينحدرون من بيوت عرفت بسعة ثقافتها الإسلامية ومنهم من كان ينحدر من أسرة صوفية عرف أهلها بالشعر الصوفى وهم كثيرون ومن مشاهيرهم الشيخ محمد سعيد العباسى الذى ينتمى الى الأسرة الدينية المشهورة فى تاريخ الصوفية فى السودان ، ومنهم عبد الله الطيب ومحمد المهدى المجذوب وهما ينتميان الى أسرة المجاذيب ذات الأثر الدينى الصوفى الواضح ومنهم الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير وقد ورث العلم عن أجداده الخ هذه السلسلة ، وقد لاحظت أن الشعراء فى هذه الحقبة يغلب عليهم تشرب الثقافة العربية الإسلامية ، أما بالتخرج فى المعهد العلمى أو النبل من بيوت اسلامية دينية والى جانب ذلك كانت الصحافة تتجه نحو تعميق هذه المعانى ، ومن الاشارة لذلك ، كان ينشره المحجوب وعرفات ومحمد عشرى الصديق وغيرهم من الأبحاث التى تتأثر بالفكر الإسلامى فى بناء النهضة السودانية الحديثة

يقول المحجوب عن هذه الحركة ...... وإن تكون حركة فكرية تحترم شعائر الدين الإسلامى الحنيف وتعمل على هداه وأن تكون

عربية الطابع في نفسها وذوقها [١] وشهد المجتمع السوداني في السودان الى جانب هذا المد الفكري حركة أنصار السنة الداعيـــــة الى تحرير العقول مما قد يكون علق بها من أوشاب الجهل والخرافة التي غيرت نطاق العقيدة الاسلامية ، من الاعتماد على الله الـــــى اعتقادهم في من ينفع و يضـــر من غير اللـــــه .

---

(١) محجوب، ص ٣٦ ، ٣٧

الجامعــة الاسلامية

ومن المؤثرات التي كان لها دور هام في توجيه مسار الشعـــر السوداني وجهة إسلامية ، تلك الآراء التي كان يذيعها السيـــد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، والتي تبلـــورت في الدعوة ـ للجامعة الإسلامية ـ وكان أهم أهدافها إصلاح عقـــول المسلمين ثم إصلاح الحكومـــات (١)

ورغم أن الأفغاني عاش الى ١٨٩٧م

الا أن أفكاره الإسلامية الداعية لتحرير بلاد الإسلام من الاستعمـــار ظلت سائدة بعده وكان لها أثرها الواضح في عصرنا الحديث ـ ومـــن آراء الأفغاني أن المسلمين عزوا بالإسلام ولا سبيل لاستعادة تلـــك العزة الا بالرجوع للإسلام ، ومن آرائه الدعوة الى أن يتصدى العالم الإسلامي لمكائد الانجليز في الشرق الإسلامي ولمحاولاتهم الدائمة الى غرس روح اليأس ـ ليقضوا بعد ذلك على كل حركة من حركـــات الاصلاح (٢)

ودعا الأفغاني الى نبذ العصبيات والقوميات لأنها لا تجعل مـــن تعاليم الدين هاديا يقول (وكل فخار تكسبه الانساب لم يجعـــل

---

(١) أحمد أمين ـ زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ٩٥

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠

له الشارع أثرا فى رد الحقوق وحماية الأرواح والأموال والأعراض (١)

ويقول فى هذا المعنى (إن تاريخ المسلمين يرينا أنه تسند ولى أمورهم من لا شرف له فى جنسه وما رفعه لذلك المنصب الا مزاياه على الشرع ولم يأنف المسلمون أن يتولى أمورهم مسلم أيا كان جنسه (٢)

وبين الكاتب بين هذه المعانى - وبين حرصه على دعم أى حركة سياسية إسلامية - من ذلك دعوته للمصريين أن يدعموا الثورة المهدية لان المستعمر إن تمكن من تطويقها كما يقول الأفغانى (يصعب بعد ذلك تعويقه قدره وايقافه عند حده (٣) وقد كان لهذه الآراء الداعية لاعزاز المسلمين وربطهم برباط الإسلام وجعله لهم وطنا واحدا - كان لها أثرها فى الشعر السودانى - ونقرأ للشيخ عبد الله عبد الرحمن شعرا ينشر ويذيع مثل هذه المبادئ من قصيدة له بعنوان الإسلام والسودان :

فليس سوى الاسلام من وطن لنا
ولا غير أهليه أعد صحابا
كفى بقبيل الله جنسا ومذهبا
وبالله ربا والكتاب كتابا

---

(١) مجلة العروة الوثقى - ص ٢٩

(٢) نفس المرجع - ص ١٠

(٣) نفس المرجع - ص ١٢٥

والمصطفى المختار صفوة خلقه

نبيا زكا فى العالمين نصابها (١)

ويقول فى قصيدة أخرى فيها نفس هذه المعانى :-

بنى الشرق والاسلام فى كل موطن

يحييكم منى على النأى مسلم

تعالوا نجدد عهودا تصرمت

وما الشأن فى عهد الكرام التصرم

ونفزع الى التنزيل نبنى نفوسنا

فليس لما يبنى الكتاب مهدم (٢)

ويقول : فى قصيدة دالية فى نفس هذه المعانى :

أحب بلادى حب مجنون عامر

وأذكر ميثاقا لها وعهودا

وما بلدى الا الحنيف وأهله

بنفسى آباء به وجدودا

هو الدار لا دار سواها لقاطن

ولا غيرها وان يطيب ورودا

ومن الأصوات التى تظهر فترة الأفغانى الداعية لجمع المسلمين

قول العباسى يدعو لجمع المسلمين وأخذ الحذر من نكاية المستعمرين.

---

(١) عبد الله عبد الرحمن الفجر الصادق ص [illegible]

(٢) نفسه ص [illegible]

ووى لهذا الشرق نام بنوه عن

طلب العلا وتأخروا فتأخروا

فالقوم الأطماع حتى استبهموا

كبش الفدا والجزل من نار القرى

والبحر ان يرقى اللهيب أواره

شقيت به كف الصبى وما درا

والأبيات الى جانب ما فيها من جزالة تناسب هذه المعانى فيها يقظة الى دسائس المستعمرين ، ودعوة لقادة المسلمين ألا يركنوا الى مهادنة المستعمرين فلكم غدروا بهم جماعات وفرادى - ان هذه المعانى وأمثالها كثيرة فى هذا الشعر ومن قبلها - معانى مستقاة من الحضارة الإسلامية خلال عصورها المختلفة وأثر ما استفادوا منه - من هذه الحضارة الإسلامية دعوة الافغانى - هذه -

القوميــة العربيــــة

كان الإحساس بالانتماء الى الأمة العربية المسلمة من أقــوى المؤشرات في الشعر العربي الإسلامي في السودان . وقد وضحت تغنيهم بالعروبة والإسلام ، ودفاعهم عن الحضارة العربيـة الإسلامية ولم يكن احساسهم بتلك الأواصر العربية الإسلامية يتفق مع المعاني التي نشرها دعاة القومية العربية في العصر الحديث وهي دعــوة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر تدعو لجمع العرب تحت لــواء القومية العربية لمواجهة الظلم الذي تفشى على أيدي الحكـــام العثمانيين الاتراك - يقول أحد كتاب القومية العربية (عندمـــا بدأت اليقظة الفكرية في أوائل القرن التاسع عشر كان ينتظـــر أن تبدأ معها يقظة قومية تشعر أبناء العروبة بقوميتهم الخاصة وتحملهم على انقاذ الامة العربية بكل الوسائل)- الا أن ذلك تأخر لأن علماء الدين عارضوا الفكرة بكل الوسائل القوية لأنها في مفهومهم تعارض الاخوة الإسلامية . (١)

ويخلص هذا الباحث الى نتيجة تقول " ولكن لا الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية داخلة في مقومات القومية الاساسية وهي عنده تقوم على وحدة اللغة والتاريخ " (٢)

واذا كانت هذه المعاني القومية لقيت قبولا عند الاقليات العربية غير المسلمة - في لبنان وسوريا ، واتجه في هذه الدعوة بعض الكتاب المسلمين متوهمين أن هذه الدعوة اعزازا للعرب ، فأن هـــذه الدعوة لم تجد في الشعر السوداني رواجا كما سنوضح .

---

(١) ساطع الحصري / ما هي القومية ص ١٠٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٤

ولعله قد غاب على هؤلاء الباحثين أن العرب لم تكتمل عزتهم ويصبحوا أمة تقود الحضارة الانسانية الا بعد أن نزل القرآن وحملوا لواء الإسلام للعالم . وغاب عنهم أن الإسلام قد كفل لتلك الاقليات غير المسلمة التى تعيش فى كنف الدولة الإسلامية كفل لها حقوقها الاساسية من حرية العبادة وحرية العيش الكريم .

إن القول الذى يدعو لقامة مجد للعرب بدون الإسلام قول قاصر وإن الدعوة لتمييز العنصر العربى على غيره دعوة قاصرة .

لقد حدد الإسلام معنى العروبة - بأنها تعنى كل مسلم تكلم باللغة العربية - يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الحافظ ابن عساكر بسنده لمالك عن الزهرى عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن .

(جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى قال إن الأوس والخزرج قد نصروا هذا الرجل وهم قومه .

فما الذى يدعو الفارسى والرومى والحبشى الى نصرته فقام معاذ ابن جبل وأخذ بتلابيبه وجاء به الى الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته فقام النبى مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى الصلاة جامعة فقال صلى الله عليه وسلم (أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وان الدين واحد وليست العروبة لاحدكم من أم أو أب وانما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى) (١) .

---

(١) نقلا عن كتاب دراسات في ... العروبة لعبد الحميد ... ص ٢٢

إن هذه الدعوة الصريحة لمعنى العروبة - توضح بجلاء أن المعنى الذى جاء به الإسلام للعروبة معنى يتسع ليشمل كل المسلمين ، وبذلك يجمع شتاتهم تحت رايته التى لا تعرف الانتصار لعنصر دون عنصر آخر - الا بالتقوى كما جاء ذلك فى الحديث .

وان هذا المعنى الذى وضحه الحديث الشريف هو الذى ظهر معناه واضحا فى الشعر العربى الإسلامى فى السودان فهم لم يفخروا بمعنى عروبة لا تعتمد على الإسلام ، وكل شعرهم يدعو لجمع العرب والمسلمين تحت لواء الإسلام ، وهم يقتربون جدا من الحقيقة التى دعا لها من رد على دعاة القومية من المفكرين الإسلاميين - يقول الاستاذ سيد قطب ان أرض العرب كلها جزء من أرض الاسلام فاذا نحن حررنا جزء من الأرض العربية فانما نكون حررنا جزء من جسم الإسلام - ويقول فى مكان آخر - لا وطن للمسلم الا عقيدته التى تبحله عضوا فى الأمة المسلمة فى بلاد الإسلام (١) وسنجد مثل هذه المعانى فى شعرهم العربى الإسلامى فى السودان وبخاصة عند عبد الله عبد الرحمن - والعباسى .

---

(١) سيد قطب دراسات اسلامية ص ٢٢٢

الفصـــل الأول

الدعـوة الى القومية السودانيـــة وعلاقتها بمفهـوم الاسلام والعروبـة فـــى شعرهـــم

أدى تطور الأحداث السياسية بعد قيام مؤتمر الخريجين الـــى انقسام الخريجين كما رأينا بين مؤيد لفكرة الاتحاد مع مصر ، وداع الى الاستقلال عنها .

وتبع ذلك الانقسام السياسى انقسام فكرى حيث دعا الاستقلاليـــون الى قيام فكر قومى وأدب قومى يميز السودان عن سائر الشعوب العربية بما فيها مصر . (١)

بينما نظر دعاة فكرة وحدة وادى النيل الى فكرة الاستقلاليـــين برمتها نظرة ارتياب ووصفوها بأنها دعوة حق أريد بها باطـــل ، ورأوا أن فكرة الكيان السودانى المنفصل عن مصر ، تلك الفكرة الـــتى شجعها الانجليز انما هى جزء من سياسة ترمى من ورائها انجلـــترا الى تقسيم العالم العربى الى دويلات ضعيفة متنافرة وكانت تحـــول دون أى نوع من الاتحاد بين دولة عربية وأخرى ومن ذلك الاتحاد بـــين مصر والسودان (٢) وقد وجدت هذه الآراء المرتابة فى قلوب

---

(١) محمد أحمد محجوب ـ نحو الغد ١٧٦

(٢) أبراهيم الحردلـو ـ الرابط الثقافى بين مصر والسودان ص ٥٢

الاستقلاليين شيوعا وانتشارا وقبولا من معظم السودانيين .

إذ كانت الأغلبية تجاهر بعداء الانجليز وتشكك في خطواتهم ومنها مساندة الاستقلاليين في مساعيهم السياسية ، بل أن الاتحاديين اتهموا خصومهم بأنهم يسعون لهدم الرباط الثقافي بين شعوب العالم العربي الإسلامي ، وبذلك يخدمون مصالح الاستعمار البريطاني وبطبيعة الحال لم يقف دعاة القومية السودانية أمام هذه التهم مكتوفي الأيدي . يقول محمد أحمد محجوب رائد دعاة فكرة القومية السودانية :- وإني لأكرر في تأكد زائد أن أثر الدين الإسلامي والثقافة العربية سيظل ملازما لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد وما قامت فيها ثقافة (١)

ويشير الى المثل الأعلى للقومية السودانية (المثل الأعلى للحرية الفكرية في هذه البلاد ، أن تكون حرية تخدم شعائر الدين الإسلامي الحنيف وتعمل على هداه وأن تكون عربية المظهر في لغتها وذوقها مستلهمة في كل ذلك تاريخ هذه البلاد الماضي والحاضر مستعينة بطبيعتها وعادات أهلها متسامين بكل ذلك نحو ايجاد أدب قومي صحيح وتنقلب هذه الحركة الأدبية الى حركة سياسية تؤدي الى استقلال البلاد سياسيا واجتماعيا وفكريا .) (٢)

---

(١) المحجوب ـ نحو الغد ص ١٢٠

(٢) نفس المرجع ـ ص ٢٢٦

بيد أن هذه الأهداف التي أعلنها المحجوب نيابة عن رصفائه لم تكن خافية عند دعاة وحدة وادى النيل اذ ظلت دعوتهم الى الاتحاد مع مصر وتوطيد أركان الرباط الثقافي بين السودان ومصر ظلت قوية وما برحوا يرمون هذه القومية بأنها فكرة لقوم أشربوا حب الأعاجم ، ومن ثم أخذوا يتآمرون على اللغة العربية وتراثها العربي الإسلامي وشغلت جهودهم الفكرية ، وحربهم القوية لقيام هذه القومية وكان الشعر العربي في السودان دوره الواضح في لفت أنظار السودانيين وتحذيرهم من ويلات تلك الدعوة القومية .

وكان الشاعر محمد سعيد العباسي قائد شعراء العروبة والإسلام الداعين الى احياء وتقوية الروابط الثقافية بين مصر والسودان وسائر أنحاء العالم العربي والاسلامي يقول محذرا عن القومية السودانية التي لا تعدو أن تكون سرابا ، وإن هي الا دعوة لتفريق وتشتيت تباعد بين المسلمين في مصر والسودان .

وما تريدون من قومية هي في * رأى السراب على القيعان رقراقا

طلبتم الغرض الاسمى بتسمية * كأن بالاسم تحريرا واعتاقا

لقب أو اسم أقام الغافلون له * سوقا فأنشأت الأغراض أسواقا

وما أرادوا بحبيك الله اذ وضعوا * جمع الشتات ولا للحق احقاقا

ويوضح العباسي الشرور التي تأويها هذه الدعوة فهي تزرع بين المسلمين الاحن ليصبح النيل أقطارا ويصبح ساكنوه طوائف وأشياعا .

لذا فليمحص الناس هذه الفكرة ولا ينخدعوا بما فيها من معنى براق

فمحصوا الرأي لا ترضوا ببارعه
وان أصاب هوى منكم وان راقا

ولا تخدعوا ان في آيات ما ابتكروا
معنى بغيضا وتشتيتا وارهاقا

ليصبح النيل أقطارا موزعة
وساكنو النيل أشياعا وأذواقا

الى أن يقول مخاطبا أولئك القوميين

لا ترهقونا بما ظلنا نمارسه
دهرا كثيرا ما لقيناه وما لاقى

لسنا القطيع قطيع الضأن يزجره
الراعي كما شاء أشتاتا وأعراقا (١)

وتزداد فكرة العباسي الداعية الى وحدة الأمة العربية المسلمة ، تلك الفكرة التي تأبى أن تقطع وشائج الفكر بين مصر والسودان ويحذر من مغبة ذلك أن يرى فيه تلبية لأغراض الاستعمار الرامي لانابة حضارته الغربية مكان الحضارة الاسلامية ويرى أن أبرك رباط يجمع شمل المسلمين

---

(١) ديوان العباسي ص ١٠٠ - ١٠١

هو رباط الدين الإسلامي بقوله :-

وما تقطع الرتين شر وشر منه

أن تقطعوا بعصر العلاقة

ومتى رمتم التحرر فاسعوا

ان في السجن نيله واحاقة (١)

وانبذوا هذه التي زفها الغرب

لكم من حضارة براقة

هل نسيتم مطامع الغرب فيكم

أم جهلتم يا قومنا ارهاقه

أنا أدرى بحالهم من كثير

أعرف الناس بالهوى من ذاقه

لا تقولوا انا قليل ولا وسع

فجهد الرجال وسع وطاقة

وكفانا بالدين عروتنا الوثقى

والضاد لحمة وصداقة

وبهذا النيل المبارك والنيل

جميل من يسره الله ساقه

وقديما أظهر الله هذا الدين

والشرك قد أطال روافه (٢)

---

(١) ديوان العباسي ص ٨٤

(٢) ديوان العباسي ص ٨٤

وينعى الشاعر عبدالله عبدالرحمن - منعى العباسي في هذه النظرة المميتة لأغراض الاستعمار ومراميه ، ويشن حربا شعواء على دعاة القومية السودانية والأدب القومي ، ويرى أن في ذلك هدما للبناء العربي وتآمرا على الفصحى ، ويحذر الناس من الشرور التي ستجرها تلك الدعوة وراءها والتي إن لم يتدارك أمرها ستفتك بالعروبة والإسلام .

أرى الضاد في السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمست لها تتجهم
ونبئت في السودان قوما تآمروا
على اللغة الفصحى أساؤا وأجرموا
وبالأدب القومي قالوا سفاهة
وما لمحوا حقا ولكن توهموا
ألا نحن عرب مثل أن لعبت بنا
صروف الليالي والجهول المذمم
أما والليالي العشر والفجر والضحى
وما الفجر في الإسلام إلا المحرم
إذا لم تحوطوا داءها وهو فاتك
تموتوا وفي غير العروبة تدغموا (١)

---

(١) عبدالله عبدالرحمن - الفجر الصادق، ص ٨٠ .

وإذا أشاع دعاة القومية أنهم يجددون وأنهم سينهلون من الثقافة الغربية التي تفوق اللغة العربية وثقافتها بزعمهم رد عليهم بأنهم قوم تملكهم حب الأعاجم ، وأن العربية غنية بتراثها يقول :

وقد أشربوا حب الأعاجم فانبروا ... إلى هذه الفصحى سهاما تسدد

تواصوا بشر وهو كتمان فضلها ... وقالوا بأنا معشر لا نقلد

وقالوا لقد ضاقت عن العصر حاجها ... وفي وجهها باب الثقافة يوصد

وقالوا بأنا انجبتنا معاهد ... وأوحت إلينا يا بني العصر جددوا

وما تجديد فكير أمره ... ولكن دعاوي منهم وتزيد

ويشير التجاني يوسف بشير إلى أهمية الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، وهو الرباط الفكري الإسلامي ويسائل أولئك الداعين إلى فصل الفكر السوداني عن الفكر المصري في سخرية وتعجب :

ألسنا الغر سوى جمعتنا ... مصرية الفكر في أواصر كبرى

أفكانت إلا الأصول استقرت ... حيث كانت لنا ما استقرا

ثابتات هنالك تتسبب أسبابنا ... وتنمو من العلائق كثرا

مصر راشت وثقفت وأعدت ... منه شمسا وأطلعت منه بدرا

إلى أن يقول :

كيف ياقومنا نباعد من فكر ... بني هدا وساندا البحر ازرا

كيف قوملوا بجانب النيل شأنه
ويجرى على جوانب العسرى

كلما انشروا ثقافة مصر
كنت من صنعها يراعا وفكرا

ويدعو مصر ربما لأن توثق علائق الفكر بينها وبين السودان ولا تعنى بأى دعوة أخرى غير الفكر :-

قل لها أين صراحة الحق والحق
بأن يؤثر الصراحة الأخرى

وشتى من علائق الأدب الباقى
ولا تحفلى بأشياء أخرى

وثقى بالصلات من حيث لا تعرف
إلا مسالك الفكر مجرى

كل ما فى الورى عدا العلم لا
يكبر شيئا ولا يجد قاسرا (٤)

ولعله يتضح من هذه النماذج التى عرضتها لأبرز دعاة وحدة وادى النيل ووحدة الفكر العربى الإسلامى أن الشعر العربى فى السودان كان معظمه يتجه مع الفكر السياسى الداعى الى وحدة

---

(٤) إشراقة الطبعة الثانية ص ٨٠.

وادي النيل ، بعد إن الشعر اعمق مدى في فهمه للعلائق التي تربط بين السودان ومصر وسائر الشعوب العربية الإسلامية ومن ثم بدأت وتأته هذه ضد فكرة القومية السودانية باعتبارها دعوة فيها ملامح عنصرية عرقية تبعد عن منهج الفكر الاسلامي الداعي الى وحدة الفكر بين سائر المسلمين .

الوحدة العربية الاسلامية في شعرهم

لقد تأثر هؤلاء الشعراء في دعوتهم للوحدة العربية الإسلامية بما يجري حولهم من احداث سياسية ـ منها تلك الثورة العنيفة التي شملت العالم الإسلامي كله ـ تنادي بتحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار الغربي ، وقد لاحظنا اثر جمال الدين الافغاني في تأجيج نار تلك الثورة حين ابان للمسلمين سعي المستعمر الى تفتيت وحدتهم الإسلامية لاذلالهم وتقسيمهم الى دويلات لا تستطيع مساندة بعضها .

وكان لا بد لشعراء السودان في تلك الحقبة ان يعوا ما يدور حولهم من احداث ، ومن ثم سارعوا بضم اصواتهم الى أصوات المسلمين في الشرق الإسلامي كله واضعين نصب اعينهم قول الله تبارك وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

كما عرفوا مما يجري حولهم من احداث كيف كان شعراء مصر والشام والعراق يستخدمون ماضي العروبة والإسلام في محاربة الاستعمار . فأخذوا يخوضون المعركة ضده وعليهم درع من جلال الدين (١) .

وقد إتخذت دعوتهم الى الوحدة الإسلامية عدة أساليب :

---

(١) محمد محمد علي ـ الشعر السوداني في المعارك السياسية ص ١٠ .

(أ) منها التغني بماضي المسلمين التليد ، وبنوهوا على فضل الحضارة الإسلامية ، على الحضارة الغربية ، كما ركزوا على استنفار المسلمين ليقاوموا الاستعمار ، ثم تغنوا بأفضال اللغة العربية ، وبقائها رغم الشدائد عنوانا لعزة العرب وكبريائهم وتنبهوا الى ان الغض من شأنها انما يعني هدم كيان المسلمين في كل مكان ، ان اللغة هي لسان الله الذي به نزل قرآنه على عبده محمد صلى الله عليه وسلم . ولعل التغني بماضي المسلمين الاوائل ، والبكاء على ما أصاب تراثهم من كيد اعدائهم وتهاون ابنائهم لعل ذلك كان الغرض الرئيسي الذي اطالوا فيه القول ثم قرنوه بالحث والعزم على اعادة ذلك الماضي التليد في صورة حية جديدة تقوم على هدى الله ورسوله .

وليست دعوتهم هذه فترة رومانسية حالمة ترسم صورا وردية لماضي المسلمين الأوائل يهربون اليها عندما يحسون بالهوان والضعف ما حل بأمتهم - ليست هي كذلك كما يرى الدكتور محمد ابراهيم الشوش [1] ، بل ان القارئ ليحس في هذا الشعر - الثورة على حال المسلمين والدعوة الصريحة الى اعادة ذلك الماضي - وتتم ذلك بعرض صورة الزاهية ليتمثلها المسلمون ويعملوا على إحيائها .

وهذه نماذج من هذا الشعر أعرض فيها ما يمثل رغبتهم الاكيدة في إحياء مجدهم الإسلامي .

---

(١) محمد ابراهيم الشوش - الشعر الحديث في السودان ص ٩٨ .

يقول عبدالله محمد عمر البنا - متألما هلال المحرم وسائلا عن اسباب امته الغابرة :

خبر عن العصر الاولى لتضحكني * كان حديث هذا العصر يبكيني

ويهيب بهم قائلا :

احبتي ودعاء الحب مرحمة * لا يحزننكم بالنصح تلقيني

قرب تحول غليظ الالفاظ بانسه * رحمى ، ولين بفظ الروح مقرون

ترضون بالدون والعليا تقسم لا * تدين يوما لراضي النفس بالدون

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه * من الجبان ولا ينقاد بالهون (١)

ويعاتبهم قائلا :

تفرق وتوان واتباع هوى * ان الهوى لهوان غير مأمون

والحادثات تريكم كل اونة * ان التقاطع من شأنه المجانين

ويوجههم الى الطريقة المثلى التي بها تبنى دولتهم الاسلامية الحديثة :

فاحسنوا انه الاحسان واسطة * للعالمين به في كل تمكين

ثم انشروا من شريف العلم نفحه * فانما هو معنى كل تمدين

العلم زين وبالاخلاق رفعته * ان قارنته في خير تزيين

ان الخلائق ان طابت منابتها * كانت لكسب المعالي كالبراهين (٢)

---

(١) محمد عمر البنا - الديوان ص ٦٦ .

(٢) محمد عمر البنا - الديوان ص ٦٦ .

ويناديهم محمد سعيد العباسي الحريصين ، يحثهم على التمسك بتراث امتهم و كتاب الله ، ويسعون فيما يرضيه ويرضى اولئك الرجال الماضين الذين جبر الله بهم صدع الزمان عبر قرون طويلة .

يا بادية الدار وبيـــا * سر الزمان المنتظـــر

كونوا حديثا يقتـــنى * فالناس فى الدنيا سير

واتبعوا هدى الكتاب * ان نهى وان امـــر

واسعوا لما يرضى الا * له ونزارا ومضـــر

وهكذا كانوا وسيـــأ * روا بالمعاجب الكبـــر

قد جبر الله بهـــم * صدع الزمان فانجبـــر

لم يحفظ التاريخ نـــدا * لهم ابدا معاصـــر

فامضـــوا على اسم اللــه * تحدوكم بشائر الظفـــر (١)

وشبيه بهذا الصوت قوله فى مخاطبة امير الشعراء شوقـــى

قم ذكر القوم بالماضين ما فعلوا

واذكر لهم كيف كانت دولة العـــرب

واذكر امية واذكر مجدها شهبـــا

والمنجبين بنى حمدان فى حلـــب

من لا يبالون فى حال اذا قدروا

الا تغير منهم سورة الغضـــــب

فكانت بهم دولة الاسلام فى دعـــة

ومن عزائهم فى معقل أشـــب (٢)

---

(١) العباسى ص ٥٦ .

(٢) العباسى ص ٢٦٢ .

ويشير الى حضارتهم القوية التي لم تظلم احدا ولم تهـــن امام بطش البرابرة .

أيام قد بسطوا ظل الحضارة فـي الـد

نيا وجاءوا لهذا [الدهـر] بالعجـــب

حضارة ما أباحت لضعيف حمــى

ولا اجازت [بحال] عــزم منتهـــب

ويربط حديثه عن تلك الحضارة ـ بدعوة قوية الى الجد ، مشيرا الى الافتخار بغير جد ، بل ان الفخار الذى بغير الجد والتعب مآله للزوال والعطـــب .

هل من رسول الى قومي فيخبرهـــم

الا سبيـل الى العليـا بلا تعـــب

وان كل فخار لا يقام على دعائـــم

الجد عقباه الـــى العطـــب (١)

ويؤكد العباسي لقومه أن الأمم انما تبنى بالعلم ويشير فـــي أكثر من موضع الى التقدم العلمي لدولة الغرب محدثا قومه عـــن الوان ما وصلوا إليه من الفنون العسكرية ، في البحر والبـــر والجو ، مصلحا فـي حضارتهم تلك تقدمها العلمي هذا غير أنـــه فطن الى ما فيها من شرور تكيل بها الشعوب وتنشـــر بها الرعب .

---

(١) ديوان العباسي ص ١٦١ .

بقوله لشعبه

إن الشعوب بنور العلم مؤتلفا

سارت وتحت لواء العلم خفاقا

ويقول :

في الشرق والغرب تلقاهم وقد بسطوا

ظل الحضارة تقابيس اشراقا

لكنه سرعان ما يتحدث عن مآخذه عليها - فيقول :

يا حسنها لو حوت امنا وعاقية * لكنها قد حوت فتنا واحداقا

ويضع يده على أسباب الهوان ويشير الى الوحدة الإسلامية وهي أرجى السلام .

[illegible] وهن والعزائم تحت بسطه

هدت قوى الصبر ايعادا وابراقا

إن التحزب سم فاجعلوا ابدا

يا قوم منكم لهذا السم ترياقا (١)

وللشيخ عاشر البوشي غضبة على المسلمين في عصره لما ركنوا اليه من قعود عن الجهاد والكفاح حتى قبلوا بالذل وقبول الأمر الواقع ، فيلقي به الغضب متهاه حيث يراهم ، وكأنهم النساء .

---

(١) ديوان العباسي ص ٨٩ .

تقول الابيات التي يشير فيها الى هذه المعاني :

سلام على الدين الحنيف وفتية
على عهدهم ترعى النهى والمكارم
تبدل ماضينا ولم تبق سنــــة
وصار لنا ما تحمد المواسـم
اذا شئت يا ذات الثنايا تشاهدى
ينبيك على مر الليالي فباحم
اغاروا وقد انجدت لما تحولــوا
عن العهد واستولى التماد سواهم
تبينا هم للأمر والعرض سالـم
اذا بهم يغضون والانف راغـم
يقال رجال لا وربك انهـم
جديرون حقا ان يقال الفواطم (١)

الاما بعد الفرق من هؤلاء الرجال ومن المسلمين الأوائـل
ضراغم الغابات الذين جرى الدهر بأمرهم وأسلم لهم الاعاجم مقاليد
الأمور يحاربون متى شاءوا ويسالمون متى شاءوا وفق ما تطلبه
عليهم عزة المسلم في الشرق والغرب .

---

(١) شعراء السودان ص ٢١٨ .

أجل نأوا في من مضى من رعيلنا
فهم عند نساب الناقبات قراشم
تناس لهم عن امره الدهر خاشعا
وتسلم دولاب الحياة الاعاجم
رمى الحرب في ايديهم وزمانهم
حليف وان هم سالموا فسالم
واذا نال من في الغرب سوء تراكضت
سوابحه واهتز في الشرق عالم

ونابيه بهذه الصيحة الباكية على المجد الإسلامي صيحة الشيخ عثمان هاشم الذى أجال طرفه في العالم الاسلامي فوجد امته مبعثرة ، وعمهم سبات عميق والأحداث تجرى حولهم تذل شعوبهم فلا تدبير منهم ولا موآزر ، بل هم في تلامس لا يرى له الشاعر مبررا

واه على الاسلام اصبح غائصا
اودى به واماته الظلام
طرت به بدع الهوى وتعاظمت
في ظلها ان تنفذ الاحكام
بالامس كانت دولة الغر التي
صال الرشيد بها وصال هشام

واليوم أطفأ نورها وجلالها

والمسلمون مفرقون نيام

هذى الجزيرة وهى باكية أسى

والهند تندب حظها والشام

فى مصر أقوام يلاحن بعضهم

ففيم يتلاحى الاقوام ؟؟

والترك قد تركوا بغير صيانة

وهم الالى حاطوا الثغور وحاموا

قد كنت حاضرة فى عقر دارهم التى

هى للخلافة مركز ودعام

فإلى متى هذا التخاذل بينكم

هبوا فكم رد الحقوق حسام

ولعل أبرز ما فى هذه الابيات هذه النظرة الشاملة للمسلمين فى كل مكان لا فرق بين عربهم وتركهم ، وهندهم ، يؤنبهم على التخاذل والتكاسل وينعى عليهم الفرقة ، ويحثهم على نصرة بعضهم لاسيما تلك الدول التى حمت عن حياض الإسلام وزادت ويعنى بها تركيا ، ومع ما آلت اليه حال المسلمين لاييأس الشاعر من نهضة تعيد لهم مجدهم إن جدوا - (هبوا فكم رد الحقوق حسام) . بل إن فى هذا الشعر دعوة صريحة للثورة المسلحة ، ولست ادرى أين توجد تلك النظرة الضالة فى دعوتهم الإسلامية هذه وأين مظاهر الروطنسية

الحضارية التي يشير اليها الدكتور الشوش . ويبدو لي أن كثيرا من الباحثين لم يلتفتوا الى اصالة الثورة الإسلامية في الشعر السوداني منذ المهدية فمعظم الذين تعرضوا لهذا الشعر لم يشيروا لبذور تلك الثورة الإسلامية فبعضهم يسميها الوطنية والاخرون يسمونهـا دروبا ورحلة رومانسية ، وان النظرة الموضوعية تجعل القارئ لا يستغرب ان رأى اتجاها لبعث ماضي الإسلام في هذا الشعر فلا غرابة فهم مسلمون ، معظمهم مثقفون ثقافة إسلامية ، ورسخت فى قلوبهم العقيدة الإسلامية الداعية الى الجهاد ورفض الذل . فما الذى يحول دونهم والتعبير عن هذا .

ويتغنى الدرديري محمد عثمان بحضارة الشرق الإسلامي معجبا بهـا مشيرا الى اثرها في وحدة الامة الإسلامية عندما انبعث صوتهـا الاول من الجزيرة العربية ، فحوّل تلك الصحراء الى بلاد عامـرة بالإيمان .

صور بعضها يحركو مشى	من ضياء وبعضها فى انسياب
وهى بعث ووحدة لشعوب	واشتعال فى روحها الوثاب
من مطاوي ارض الجزيرة هبت	يقظة الفكر بعد طول احتجاب
شع من طيبها السماء سناهـا	فيباب الصحراء غير يبـاب

وهى الوان مختلفات من العلوم والفنون والآداب والفلسفـة ملأ الدنيا عمرانها - زينة وجلالا ابدع فيه مهندسوها ايما ابداع .

فان بناة تلك الحضارة حيثما حلوا في كل بلد اقاموا معالم حضارتهم العلمية والعمرانية .

هبطوا مهبط الملائكة الخضـــــر

فشادوا حضارة الاحقـــــاب

عطروا جوها بازكى التعاليـــم

ومدوا البساط للاداب

فزها العلم في عقول ابن رشد

وارتقى الفن في سمو زرياب

واذا طفت حول قرطبة تلق بهـــا

مسجدا كريم الرحـــــاب

ابدعوا ما بدا لهم فيه من حسـن

وجاءوا بكل فن عجـــاب

يملأ النفس روعة كل ما فيـــه

ويوحي بابلغ الاعجـــاب

وهذا الثورة عنده موطن الحزم ومكمنه ، كالنار تكمن خلـــف الثقاب ، فان عدت عليه العوادي فان صحائف مجده الطيبة بالعقيدة والجهاد لا تلبث ان تقدح روح الجهاد في الشباب المسلـــم المتوثب .

كمن الحزم في جوانب هذا الشرق

كالنار خلف عود الثقـــاب

قلعت ظفره وانيابه السـد ... نيبا غاص بخير الخز ونـساب

ممتد من عقيدة وجهاد ... تنفخ الروح فى حنايا الشبـاب (١)

وينتهى الشاعر بعد طيب الاسماء الى أن انقسام العرب بين موءيد للغرب ، وموءيد للشرق ، لا يزيده الا هوانا فكلهم أعـداء للاسلام والمسلمين ، لا فرق فى ذلك بين الغرب بجميع دوله وبين الكتلة الشيوعية .

يقول :

وفى الغرب البلاد الصور وفتنة ... على دم الاسلام تذكو فتحـرق

فرنسا لها فى المغرب شرق مجازر ... اباحت دم الاحرار وهى تنمـق

وفى الزوايا تعاف المدوى ... صنوف الرزايا فى حماها تصفـق

وفى سجون الطاغى عن الشعب عبرة ... تبجس من اعتداه دهم وتدلـق

وفى ثكنة الشرقية آمال راغـب ... مشيئه القطعا يمضى بلوغه ويسبـق

لها فى مجالنا عالة ومسـارب ... تسترعا فى طية وتمـق

---

(١) المرجع السابق ـ ابتهالات باقية ص ١١ .

وتمضي القصيدة في توضيح مواضع الضرب والشرق المشيئة وتوضح أن السبيل الى عزة المسلمين هو اتحادهم وبعدهم عن هذه المراطات السياسية التي لا تعود عليهم بنفع .

وما السبيل الحر عقل وقوة
وما كجماع الرأي حازم ومنطق

وما نال مجدا من تعزى بغيره
ومن يجتدى من غيره وهو مطلق

فمدوا وفاقا بينكم وتجمعوا
واقضوا حزازات النفوس ومزقوا

وشقوا صدورا ران فوق شغافها
ظلام وشايات واقبح منطق

وصونوا بقايا امة قد غلت بها
صروف الليالي واحتواها التفرق (١)

ولعل الشاعر في صدق دعوته الى اعزاز المسلمين يشير الى ضرورة الحياد ، من كل القوى المتصارعة ، لعله لا يعني به ما اعلن اخيرا مما سمي بالحياد الايجابي مؤخرا ، فانه كان ائتلاف بين امم لا يجمع بينها الإسلام ، ولو كان صريحا في اعلان حياد يجمع امم المسلمين ويوحد بين آمالها لكانت فكرته ارضى واجدى في رباط يجمع شمل المسلمين ، فقد جربنا الوانا من الاتفاقات

---

(١) مصطفى ابيب الاسماء - لحن وقتها ص ١١١ .

من الامم غير المسلمة فما دفعت عناصرا ، وقديما قيل ان الكفر ملة واحدة ، وان اتحد المسلمون فى رابطة تجمع شعوبهم هذا لا يمنعهم بعد ذلك من مناصرة الشعوب المغلوبة على امرها فدفع الشر عن الانسان من اوائل مبادئ الإسلام واقوالها .

وللشاعر محمد سعيد الكريبجي قصيدة بعنوان مالك الشرق يبدو فيها هذا المفتون الباكي على مجد الشرق الزائل المتحسر اوجه الحسارة فيه الداعي الى إحيائه من جديد .

مالك الشرق أين اليوم ماضينا
وأين مجد هدمناه بأيدينا
وأين ما كان سوى فى الأرض منبثقا
من الحجاز فضم الهند والصينا
وأين ما بثه فى الارض مصلحنا
وأين ما شاده فى الكون بانينا
كنا ملوك الورى والغرب يعرفنا
وسادة الغرب كانوا من موالينا
قد بنينا المثل الأعلى وشرعتنا
للانس والجن قد صارت قوانينا
لولا التفرق والأهواء ما أنزلقت
أقدامنا وهوينا فى مراقينا

يا بني الشرق هبوا من مضاجعكم

الله أكبر قد نادى مناديـنـا (١)

ثمة ملاحظة أخرى يلاحظها القارئ لشعر الوحدة الإسلاميـة عند هؤلاء الشعراء وهي أنهم صبغوا دعوتهم هذه برنة/عميقة حزن تفيض لوعة وأسى على ذلك الماضي حتى ليحس القارئ بما يشبه تبدد النفس عند بعضهم ولا غرو فالصدمة التي أحسوا بها عند ما أجالوا طرفهم في ماضيهم وحاضرهم كانت عنيفـة .

وهي من غير ريب دليل على يقظة مشاعرهم وبداية للوعي الوطني كما يقول محمد محمد على (٢) ولم يكن هذا الحزن سوى شرارة أوقدت فيهم الثورة على الظلم وألهبت مشاعرهم شوقا الى إحياء تراثهم ، فعبروا عن كل ذلك في زفرات من الشعر صادقة لعلها كانـت محاولة لما قيست بالشعر الإسلامي في العصر الذي عاشوا فيه ،كان صداه ـ يدنو هذا المعنى يشدو بالمجد الحربي القديم ويحث الناس على الكفاح .

أما الشاعر أبو طراف النميري ـ فانه يحث المسلمين على الاتحـاد تحت راية القرآن محتكمين اليه مقلبين صفحاته التي تنير لهم سبيـل

---

(١) ديوان الكريجي ص ١٢٦

(٢) الشعر السوداني في المعارك السياسية ص ٣٦

الرشاد ، ولا الى دساتير الغرب الضالة ، التى طالما أثارت سبيلا ، والتى تتسم بقصور النظر ... وهو يربط كل ذلك بامتشاق السيوف لاعلاء كلمة الله .

بنى الشرق فلا تهنوا وقوموا
فقد يرى الحمى سيل غزير
الا امتشقوا السيوف وجردوها
من الاغماد قد دوى النفير
كتاب الله هذا الكتاب تصفحوه
ففى صفحاته حكم ونور
فما فى شرعهم نور لساري
ولا للمدلجين به خبير
فما في ربعهم الا ضلال
وفى دستورهم دائما قصور (١)

وتلك النهضة الاسلامية التى يحث الشاعر المسلمين على دروبها انما تتحقق بالأخذ بوسائل التقدم العلمى الحديث من صناعة وازدهار تجارة ورقى آداب ، وقيام قوانين تكون لحمتها وسداها من الشريعة الإسلامية الحميدة وما من سبيل غير ذلك وثم يدعو الناس الى التجمل والفخار الى دروب العلياء بعين مبصرة ورؤية فى دروبها .

---

(١) ابو فراس النميرى ـ الينابيع ص ٢٨ .

على رسلك الأولى قالوا نهضنا

فليس المجد يمنح للقعود

ولكن في ذرا العليا أسس

ودون مناله خفق البنود

رويدكم فليس المجد نثرا

ولا نظما من الدر الفريد

****

ولكن دولة نهضت وقامت

دعائمها على أسس الجديد

ودور الصناعة شامخات

كأن أزيزها قصف الرعود

كأن سفائنها في الجو جون

تكاثف في الهبوط وفي الصعود

وأسواق التجارة شيدتها

سواعد ذلك الجيل الجديد

وآداب وقانون سداه

ولحمته من الشرع الحميد (١)

ويصور فيه ما آلت اليه حال المسلمين من نوم عميق والشعوب من حولهم تبني حياتها ، فيرسل صيحة قوية يستيقظهم بها من سباتهم ، ويحذرهم من أن هذا النوم العميق سيقتل الطموح في أمتهم

---

(١) نفسه – [illegible]

ويبصرهم بالطريق القويم متمثلا فى حمل سيف الدين لقتال أعدائهم ويوجههم بكتابهم القويم ، ان هم راموا التقدم ـ فصفحاته تحوى كل سبل الخير والتقدم ، فليجمعوا شتاتهم ، وليهذبوا أبناءهم بتعاليم هذا الكتاب وليجعلوه منهجا لحياتهم فى كل شئونها فذلك هو سبيل التقدم ان رادوه .

ألا أيها الشرق النؤوم الا استفق
فان عصر النوم سوف ينتهى

وهذا حسام الدين جرد صلتا
سيفصل بين الظالمين وبينكم

وهذا كتاب الله فيه هداية
لمن بات مخمولا اذا كان يعلم

ألا تلهوا بذى الصحائف انها
صحائف فيها للمروءة منهم

وفيها رضاء للأنام جميعهم
اذا اعتزلوا شرع الغواة وأسلموا

على منهج الاسلام أفضل منهج
اذا رمتم للمجد أن تتقدموا (١)

ومن الأساليب التى سلكوها لقيام هذه الوحدة العربية الاسلامية دعوتهم الى الحفاظ على اللغة العربية .

---

(١) المرجع السابق نفسه ص [illegible] .

[illegible] ان ال[illegible] عليها واجب تحتمه عقيدتهم فى لسانهم الذى به نزل قرآنهم وان كل المحاولات التى يبذلها المستعمرون ، ومن ركنوا الى تحديثهم فى التقليل من شأنها وقدرتها على الاعراب والافصاح ونقل الفكر الانسانى لم تنطل على هؤلاء الشعراء ، فشنوا حربا شعواء على دعاة الأدب القومى كما أشرت ، لأن دعوته كانت ترمى الى الاتجاه الى هدمها كلما كان المقام مناسبا .

وتكاد تكون نظرتهم لهؤلاء ومن نحا نحوهم ـ واحدة فان التجديد الذى يشكك فى قدرة العربية على حمل الفكر ان هو الا حرب على العروبة والاسلام ، ولعلهم تأثروا بصيحة الشاعر المصرى حافظ ابراهيم فى قصيدته الشهيرة اللغة العربية .

ومن أشهر الأصوات الداعية الى المحافظة على العربية المنافحة دونها ـ الشيخ عبد الله عبد الرحمن ، الذى يرى ان دعاة العجمة يحطون محاولتهم لهدم لغة الضاد لغة الترابط بين المسلمين [illegible]

بنى وأمى ان قمت للضاد داعيا
فانى أدعو للتى هى أقوم

فقد وثق الله الروابط بيننا
فلا تنقضوا بالله ما هو مبرم

أرى الضاد فى السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمست لها تتجهم

ونبئت في السودان قوما تآمروا

على الفصحى أساءوا وأجرموا (١)

ويصف في قصيدة أخرى أولئك الداعين الى التجديد من الفتيان بأنهم متمردون على لغتهم ، بل هم الطغام ـ الذين أشربوا حب الأعاجم المتواصين بالشر وهو كتمان فضل هذه اللغة ، ويرى الا تجديد انما التجديد الحقيقي هو بمعرفة علوم العربية وأسرار بيانها .

لقد منيت أم اللغات بفتية

الطغام على أعلامها تتمرد

وقد أشربوا حب الاعاجم فانبروا

الى هذه الفصحى سهامها تسدد

تواصوا بشر وهو كتمان فضلها

وقالوا بأنا معشر لا نقلد

وقالوا لقد ضاقت عن العصر حاجة

وفي وجهها باب الثقافة يوصد

وقالوا بأنا أتبعنا معاهد

وأوحت الينا يا بني العصر جددوا

وما هو تجديد فنكبر أمره

ولكن دعاوى منهم وتمرد

---

(١) الفجر الصادق ـ ص ٨

وهل ينبغي التجديد الا لعالم
له في علوم الضاد رأي مسدد

فتى زمنا في الدرس والبحث جاهدا
فاذعنت الفصحى لما هو مورد (١)

والأبيات وان كانت في سياق رده على دعاة القومية الا أنها تمثل وجهة نظره القائلة بالا وحدة بغير وحدة اللغة والابقاء عليها سائغة ،واذا كان عبدالله عبدالرحمن يلتزم بهذه الفكرة التزاما يمثل وجهة نظره السياسية في قيام الوحدة العربية الإسلامية فان صاحبه الأمين محمد سعيد العباسي يقف نفس الموقف وينفرد بحب عميق للعربية يبدو واضحا في جزالته وعذوبة صياغته مضافا الى ذلك شدوه بذات البيان العربي ، ففي اكثر من قصيدة ينافح عن العربية ويسمي نفسه شاديها ...

فمن شعره الذي يدعو فيه صراحة لنصرة الضاد ، ويربط نصحهم باشتداد عزمهم للضاد . قوله في استقبال مجلة الفجر التي كان يصدرها عرفات محمد عبدالله رحمه الله .

وقد طلع (الفجر) فاستقبلوا (٢)
ابرازا من الادب العامر

---

(١) الفجر الصادق ص ٨٦ .

(٢) يريد الفجر مجلة الفجر السودانية

(٣) [illegible]

وأوفوا بإرثكم شاكريـــــن

تنالوا به العون من قـــادر

وقد لا ترى العين فيما ترى

جمالا كنصر على شاكـــــر

وان تنصروا الضاد ينصرنكــــم

والا تكن صفقة الخاســـر (١)

ولا ريب ان نصرة الضاد عنده تعنى نصرة الوحدة العربيـــة الاسلامية التى ظل العباسى ينافح عنها ويدعو لها حتى لقى ربـــه وعنده ان الرابط الفكرى الذى يهتم به ويأبه له انما هـــو برابطة الدين ،ورابطة الادب ، والادب كما هو وانى يعنى به اللغة فكرا وعاطفة .

يقول فى قصيدته التى انشدها لتكريم امير الشعراء شوقى والتى مطلعها .

يا شاعر الضاد يا صناجة العــرب

اسلم لدولة اهل الفضل والادب

يقول عن تلك الاصرة غير المنفصمة

وحرمة الدين والاداب جامعــــة

ولا اعتبار لبعد الدار والنسب (٢)

---

(١) ديوان العباسى ص ١٢٢ .

(٢) ديوان العباسى ص ١٦٢ .

ومما اثرته هنا لحب العباسي لهذه اللغة العربية وجريانها منه مجرى الدم قوله مفتخرا بادبه وشدوه العذب به يناجي ورقاء شدت عليها فترحمت

ورقاء / قد استهتني حسنـــا (انساك)

ضبا اسمعي فضل انشائي وانشادى

انا نديمان في شرخ النوى فخذي

يا بنت ذي الطوق لحنا من بني الضاد

فربما تجمع الايام ان نزلـــت

ضدين في الشكل والاخلاق والعاد

لا تنكريني فالحس/ تـــرم (كلهـا)

لا يريبك اتهامي وانشـــادى (١)

وقريب من هذه قوله مفتخرا أيضا بادبه ، وشدوه في قصيدتـه التي انشدها في يوم التعليم .

خيرت هذا فتعالوا اليوم فاستمعوا

شعر الفواسي من تلحين اسماتـــا

هذا هو الادب العالي انسقـــه

كالدر عقـدا كالخيرى اطيافـــا

اجهو به أطلب من رقت شمائلـــه

منكم وبات الود الخلايا تواتـــا (٢)

---

(١) العباسي ص ٤٣ .

(٢) نفسه ص ٦٨

والشاعر عبدالله محمد عمر البنا لا تطيب له الحياة ما دامت العربية في هذا الهوان ، فإنه سيظل رافعا راياتها خفاقة فوق أعلامها وأبراجها دورها مفتحة للدارسين ، وحتى يرى سيف الحق يحطم الطاغية عدوها .

أم اللغات عويلي غير منقاح   حتى أرى الدهر عبدا من رعاياك

حتى أرى لك دارا لا تنام ولا   تأبى الا على مجد شرا بيــــاك

حتى أرى لك أبوابا مفتحــة   للطالبي الحلم تشفي داء مرضــاك

حتى أرى دوحا لك كالربيع اذا   شاب الزمان رعم الترب غرثــاك

حتى أرى السيف يخشى ان تخيب ولا   يراع فيه امرؤ بالغيب راعــاك (1)

ويختم هذه القصيدة بآمال في عودة مجدها ، في مصر والشام وسائر بلاد المسلمين .

ونختم الحديث عن اللغة واثرها في اثارة روح الدعوة الى الوحدة بالشاعر عبدالله الطيب المجذوب فله قصيدة في ديوان سقط الزند الجديد ، يرد فيها على اولئك الغاضين الذين حقها في السمو والرفعة ، الذين يرون انها لو لم ينزل بها كتاب الله لما كانت لغة ذات وزن أدبي ، يرد عليهم الدكتور بان العربية كانت في علم الله هي اللغة التي تسع كتاب الله ، وان الله شرفها بنزول هذا الكتاب الحكيم بها .

---

(1) ديوان البنا ص ٤٠ .

هذي هي الضاد ليس يخفضها ... تنكر وارث الأشياء طلتبـــب

نقل لمن كان انها لغـــة ... للدين لا للدنيا والحسـب

وانها اليوم انها خلـــدت ... بفضله في بنائها العـــرب

وبعد كل تخلد اللغات اذا ... لم يك فيها صبر على النـــوب (١)

وهكذا انها سايرت العصـــر ... الدهر فلم تنتقص ولم تغـــب

اذا انها بها نزل القـــرآن ... لا صانها من العطــــب

واختارها الله كي تكون لـــه ... حفظا فكانت قضية العـــرب (٢)

هذه فكرة موجزة عن الوحدة العربية الإسلامية في شعرهـــم تأخذ أكثر من أسلوب، ومجمل القول أنهم دعوا الى وحدة عربيـــة اسلامية، تجمع شتات المسلمين في كل بقاع الأرض ولم يعرفوا التعصب لجنس

---

(١) عبد الله الطيب المجذوب، سقط الزند الجديد ص

(٢) عبد الله الطيب، سقط الزند الجديد ص

دون آثار ودون الثمرات التي تجتمع منها رائعة القبلية لم يكتب لها في صدرهم الخلود ، فماتت فكرة الأدب القومي المنفصل عن تيار العروبة والإسلام ، كما ماتت فكرة الدعوة للقومية العربية القائمة على عزة الجنس العربي وادعاء أن له ميزة أو حضارة غير الحضارة العربية الإسلامية فلقد ذاب احساسهم بأي نزعة أخرى غير نزعة الإسلام ، داخل العروبة الإسلامية على خلاف ما يراه الباحث المصري الدكتور عبده بدوي حيث يقول : (ومهما يكن من شيء فنحن لا نقول إن احساسهم بالعروبة كان حادا كالاحساس بها في مصر لأن مصر اذا كانت قد ذوبت الشعور بالفرعونية لصالحها فإن السودان لم يستطع أن يذوّب الشعور بالقومية الافريقية) (١)

ولعل الدكتور يقصد أدباً آخر غير الأدب العربي الذي عرضنا منه نماذج واضحة فيها هذه العروبة الإسلامية ولست أدري كيف جاز له ان يطلق هذا الحكم العام وبين يديه دواوين العباسي وعبدالله عبدالرحمن - والبنا على سبيل المثال .

ثم على أي شيء اعتمد في ان مصر ذوبت فرعونيتها في الأدب العربي وكيف نفهم ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته التي مطلعها

همت الفلك واحتواها الماء * وحداها بمن تقل الرجاء

---

(١) عبده بدوي - الشعر الحديث في السودان ص ٤٤٣ .

والتي يقول فيها عن امجاد آبائه الفراعنة ومآثرهم :

بناها رصيد فكرة وتعالى   شيمة ان تخلد الاسمـاء

وبناها للاقبال مكانـا   لم ينله الامثال والنظـراء

يقول البروفسور عبدالله الطيب في معرض حديثه عن مزيات عند شوقي معلقا على معان هذه القصيدة : (وتجد نهج الحرث في الثار والعنجهية القبلية والجدل الذي لا يراد به رفع رايـة الإسلام وانما تمجيد الفراعنة ومدح بناة الاهرام ، والاشادة بالوطنية المصرية القديمة) (١) .

والذي اراه مقبولا في هذا المقام - ان نقول ان الشعـر العربي الإسلامي في السودان - شأنه شأن الشعر العربي فـي سائر انحاء الوطن العربي الإسلامي كان مضمخا بالروح الإسلامي توافقا الى بعث ذلك التراث متجاوبا مع الشعور العربي الإسلامي في تلك الحقبة ، وإن ظهور قصيدة هنا ، وهناك تبدو فيها ملامح من البيئة لا يغير النمط الذي سار فيه ذلك الشعر ولعله مـن حسن حظ الشعر العربي في السودان انه لم يجد امامه اطلالا اخرى تبعث اهله تتجاذبهم نعرات قبلية اخرى اذ ان الاختلاط العربي في السودان بالامم التي وجدوها كانت الغلبة فيه للديـن ولم يجد امامهم غير رعاة وزراع ، لا حظ لهم من الشعر او علـى

---

(١) عبدالله الطيب - المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها ص ٢٠٤ .

الاثل لم يصل الينا منهم مكتوب ، على خلاف اخواننا في العراق وسوريا ولبنان الذين ورثوا حضارات تعصب لها الكثيرون مثل الفرس والروم والفينيقيين .

مؤازرتهم لحركات التحرير في العالم الإسلامي

كان لإيمانهم الراسخ بقيام وحدة إسلامية تجمع شتات المسلمين تحت راية القرآن ، كان له أثره القوي في وقوفهم مع حركات التحرير التي خاضها اخوانهم المسلمون في مختلف بقاع العالم الإسلامي طلبا للحرية ورفضا للطغيان والإرهاب بمختلف أشكاله المعادية للإسلام والمسلمين

ولا غرو أن تأخذ الثورة الفلسطينية بجل اهتمامهم فان ما عاناه الشعب العربي المسلم في فلسطين من ألوان التعذيب على أيدي اليهود يوقظ كل ضمير حي ، ناهيك إن كان ذلك الضمير ، ضمير المسلم تربطه بأخيه المسلم العقيدة الإسلامية التي تفرض عليه مؤازرة أخيه المسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد كما جاء بذلك الحديث الشريف (فان اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) لذا جاءت أصواتهم المؤازرة لشعب فلسطين المسلم في محنته تحمل معاني الدعوة الى استنفار كل المسلمين ليذودوا عن تلك البقعة من الوطن الإسلامي الكبير وقد أشرنا الى أن كل البلاد العربية بلد واحد من الوطن الاسلامي الكبير فان تحرر منها بلد ذلك خطوة نحو تحرير سائر بلاد الاسلام لقد تحدث هؤلاء الشعراء عن فداحة الخطب الذي حلّ بفلسطين ، وتحدثوا عن وعد بلفور الذي وعد اليهود باعطائهم وطنا في فلسطين العربية المسلمة وفندوا مزاعم اليهود التي بنوها على ذلك الوعد البريطاني الغادر وحثوا المسلمين أن يتحدوا تحت راية الإسلام ليخوضوا هذه الحرب باسم الدين فان ذلك هو سبيل نجاحهم

وانتصارهم واستشهدوا ببطولات المسلمين على أرض فلسطين ووقفوا طويلا عند انتصارات صلاح الدين الأيوبى الذى حرر القدس فى حربه الإسلامية ضد الصليبية . كما شمل حديثهم التغنى بأمجاد الأمة العربية والتنويه ببطولاتها وحضارتها وربطوا كل ذلك بالقدس مدينة الأنبياء وأول قبلة للمسلمين ومعرج الهادى الأمين واستنفروا كل مسلم فى أى مكان أن يقاتل من أجل تحرير تلك البلاد الإسلامية وقد اتسم هذا الشعر بالحزن العميق على مجد المسلمين وظهرت فيه الدعوة الى الثورة المسلحة حتى تحرر هذه البقعة وسائر بلاد المسلمين التى تعانى من الاحتلال ، تلك الثورة التى لابد منها - بعد أن عرفوا من تجاربهم مع الانجليز والغرب بصفة عامة أنه لا عهد لهم وكلهم يتعاونون على المسلمين ، فلا وسيلة الا الحرب .

وان النماذج التى وردت فى شعرهم عن فلسطين كثيرة وطبلى أختار منها ما يصور المعانى التى أشرت اليها وغيرها مما يظهر فيه روح التعاون والدعوة للجهاد يقول الشاعر أحمد محمد صالح متحدثا عن خبر احتلال فلسطين :-

مشى يتحدى القدر
وينعى العدالة ذاك الخبر
وقالوا فلسطين قد روعت
وجار عليها ذئاب البشر
أباحوا العرين عرين الليوث
ولم يرهبوا نابها والظفر

وما وعد بلفور الا الشرارة

منها اللهيب بدأ يستعر (١)

ويعجب الشاعر من ركون المسلمين عموما والعرب خاصة للكسل والخور واخوانهم فى فلسطين يصليهم المستعمرون سعيرا بينما هم ينعمون بالعيش الهانئ الرغيد يجرون ذيول الهناء :-

وقل للمروءة أين السلاح

وكيف الكفاح وقيم الخور ؟

أتصلى فلسطين نار السعير

وننعم نحن بحلو الثمر

ويرسف فى الذل اخواننا

ونحن بخير عجر الأزر (٢)

ويدعو للثورة المسلحة فى بسالة وشجاعة حتى يسدوا على أعدائهم سبيل الظفر ، فان فى سيرة أبنائهم المسلمين أمثال خالد ، وعمر وصلاح الدين ما يشحذ هممهم فليمضوا على سبيلهم مستعذبين كل الصعاب ففى سبيل فلسطين يهون كل نفيس ، فإن لم يفعلوا ذلك فإنهم لا يستحقون الانتماء الى أولئك الأبطال الخالدين .

خذوهم بكل شديد المراس

وسدوا عليهم طريق الظفر

---

(١) أحمد محمد صالح - مع الأحرار ص ٤١

(٢) نفس المرجع ص ٤٢

وعدوا الحرى واذكروا خالـــدا

قريـح الظبى وفتاكـم عمـــر

وعهد صلاح الدين وعهد الرشيد

وأيامنا الذاهبـات الغــرر

ولستم لأحمد ان لم تصونــوا

تراث النبى وذاك الأثـــر

فهيا أبذلوا كل نفيـــس

فكل نفيس لهـــا يحتقـــر (١)

والدكتور عبد الله الطيب قصيدة سماها هموم فلسطـــين تظهر فيها رنات حزنه العميق على ما حلّ بالمسلمين فى فلسطـــين فهو أرق تنتابه الهموم وتدور بخلده صورهم المؤرقة وهم مشردون لا رجاء لهم الا ذلك الظلام الحالك الذى لا يعرف فجرا حتى يئسوا مـــن رحمة ، وها هم مشردون ودورهم أصبحت خالية لاسرائيل وهم وحدهم يغالبون الأقدار دون معين .

يقول الشاعر مخاطبا نفسه :-

ما بال همك جنح الليل منتابـــا

أم ما لدمعك لا ينفك صبابـــا

الى أن يقول عن أولئك الفلسطينيين :-

فى الشرق والغرب اخوان ألم بهم

صرف الزمان فانحى الظفر والنابا

---

(١) أحمد محمد صالح المرجع السابق ص ٦٦

مشردين بآفاق رجاؤهـــم

داج ألاح جبين الشمس أم غابا

كم فى فلسطين موتور وثاكلــة

ويائس شك فى الرحمن وارتابــا (١)

الدور صارت لاسرائيل خالصة

والمال غودر أنفالا وأسلابــا

وأصبح القوم فى دهياء جائحة

يغالبون من الأقدار غلابــا (٢)

والأبيات كما ترى تقطر لوعة وأسى على أولئك المشردين الذين أصابهم من صروف الدهر وأهوالها ما أصابهم ولم يكن الدكتـــور محمد مصطفى هداره . موضوعيا فى تحامله على هذه الأبيات ضمـــن النقد الذى وجهه لشعر عبد الله الطيب فى كتابه . تيارات الشعـــر العربى المعاصر فى السودان .

لقد وصف هذا الناقد ، الأبيات بالخلو من حرارة الانفعـــال والتعاطف القوى مع شعب فلسطين فهو مثلا يعلق على قول عبد اللـــه الطيـــب :-

فى الشرق والغرب اخوان ألم بهم

صرف الزمان فأنحى الظفر والنــابا

---

(١) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ص ٧٥ ٠

(٢) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ص ٧٥ ٠

ويرى في وصف محنة فلسطين بأنها صرف من صروف الزمان يراه وصفا لا يعطي القارئ انفعال الشاعر العاطفي بهذه الأحداث (١) وهذا اتهام فيما أحسب لا يقوم على دليل علمي ولا برهـــان مقنـــع - ومهما يكن من وقع تلك الكروب التي حلت بفلسطين فهـــي تنطوي تحت مفهوم صروف الزمان - والذي يراه الدكتور هداره تعبيرا قاصـــرا .

وينحو الشاعر محمد المهدي مجذوب منحى آخر - في الحديـــث عن قضية شعب فلسطين فيربط اعتداء اليهود على هذا الشعـــب العربي المسلم بما جبل عليه اليهود من الغدر والكيد . وقد عرفوا بذلك منذ أن اعتدوا على المسيح عليه السلام وزعموا أنهم صلبـــوه - وهم الذين خادعوا الرسول صلى الله عليه وسلم - وقاتلوا شرعـــه - يقول الشاعر في تصوير هذه المعاني :-

جاش منها الدم الجديد كما جاش البراكين باللهب المتيد
شفق مات في البطاح كما مات غروب على عباب شـــرود
في فلسطين دولة لليهود ! أو عاد ابن مريم للوجـــود
ان يكونوا هم الألى قتلوا عيسى وحيدا على جلال وحيـــد
ثم أعلوا صليبه ذا جناحين كزغب معلق بوليـــــد
فهم راضوا شريعة يس وهموا بصلبهـــا مـــن جديـــد (٢)

---

(١) محمد مصطفى هداره - تيارات الشعر العربي في السودان ص ١٠٥
(٢) محمد المهدي المجذوب - نار المجاذيب ص ٩٥

يقـــول :-

يا خليلى عاونانى فللشجو حقوق على فؤادى العميد

نبئا قبة يثرب ما نال فلسطين من عذاب شديد

وأرقا مكة على أمنها الطهر ومسّا ترابها بالخدود

واذا ما الحجيج أمعن فى الذكرى وأضحى على خشوع مديد

فادعو كل مسلم عبد الله وألقى جبينه للسجود

أفلسطين قبلة المسلم الأول فى لهفة الخبن العريد (١)

ويسأل المسلمين - كيف نسوا أمجادهم الماضية وركنوا للخنوع - ناسين أن الدين الاسلامى دين يرفض الخنوع والاستكانة : وكلا فهو ليس حلة يلبسها الضعفاء الخائفون .

أنسيتم كتابكم أيها الناس وضاعت مخلدات العهود

واذا المسلمون باتوا على الذل فما الدين حلية للعبيد

أصلاح على فلسطين قبر واجم بين حسرة ونفود

عرب المجد والمروءة ما بين عروف على الشجا وكميد

أذكروا فاتحا عقدنا له النصر فجازى وفاءنا بالجحود (٢)

والأبيات كما نرى تقطر أسى على ما أصاب المسلمين من نسيان كتابهم وما فيه من دعوة للتضحية والفداء - حتى آلت حالهم

---

(١) محمد المهدى المجذوب - نار المجاذيب ص ٦١

(٢) نفس المرجع

الى ما دعا اليه - من قبل - ، منبهاً الى غدر الغرب بالمسلمين حتى لا يركنوا له ثانية .

ويختم الشاعر . هذه الدالية الجيدة - بصوت يدوى داعيا لثورة لا تبقى ولا تذر ،

ويتساءل غاضبا ساخرا كيف يشرق الصبح على الدنيا وبلاد المسلمين تسيل دماؤها ، وأبناؤها يتخطفهم الظلام ويغمرهم ويأكلهم ، فلتعصف الخطوب هدرا ولهبا وليدوى صوت المعركة عاليا .

يقــول :-

أيها الصبح كيف تبسم والدنيا دماء ترقرقت فى الصعيد
أعلى غير هذه الأرض أشرقت وأطليت من سناك المشيد
تورث اليأس والجنون رياض وروها من جوانح وكبود
اعصفى يا خطوب سودا وحمرا ثم قيدى على عواء الحقود
واتركى خلفك السكون يسمع الذيب لم يلق أمره من وجود (١)

أما الشاعر أبو طراف النميرى فانه يدعو الى الثورة المسلحة لاسترداد حقوقهم فى فلسطين - متحدين غير منصتين الى الأراجيف التى تشككهم فى قدراتهم على القتال - يدعوهم للاقدام دون رهبة ولا خوف من عدوهم ولا يلتفتون الى اشاعات الأعداء - فهذه هى الرماح بأيديهم تكشف لهم غياهب الظلمات .

---

(١) محمد المهدى المجذوب ٦٢

يقـــول

ضموا الصفوف ووحدوا الآراء * واستلهموا الكبرياء مضــاء

لا ترهبوا الطغيان بين أكفكم * بيض الأسنة تكشــف الظلماء

ودعوا كلام المرجفين وحطموا * تلك الهياكل قــد غدت أسماء (١)

ويوجه الحديث للأمة الاسلامية يذكرها بتلك العواصف الهوجاء التى حلت بقبلة المسلمين الأولى ، ذهبت بحضارتهم - وعصفت بالأشبال والصبية والنساء فلا عاش فى ديار المسلمين خائن يساعد الطغيـــان

يقول أبو طراف فى هذه المعانى

فى القبلة الأولى مذابح لم تزل

بين البلاء عواصف هوجـــــاء

ذهبت بأرجاء الحضارة ما لهـــا

ومشت عليهم غلظـــة وجفـــاء

عصفت بأشبال الحمى وليوثـــه

وطفت ولن ، عليهـــم صبيـــة ونســـاء

الى أن يقـــول :-

يا رهط أحمد فى الحياة لقيتمو

من عسف طغيان اليهـــود بـــلاء

لا عاش فى أرض العروبة خائـــن

قد ظاهر الطغيـــان والأعـداء (٢)

---

(١) أبو طراف النميرى - الينابيـــع

(٢) أبو طراف النميرى - ديوان الينابيع ص ٦٠

وقد أتت بذهن الشاعر – محمد سعيد القرشي الكهربجي صـــور عديدة من أمجاد فلسطين أرض الديانات ومسرى الرسول الكريـــم ، وأرقه أن يراها تحت هذا الظلم اليهودي اللئيم ، فأخذ يبكي ذلـك المجد مصورا ألوانه الزاهية ، عبر القرون حاثا الأمة الاسلامية علـى استرجاعـه ، صاغ هذه المعاني في قصيدة طويلة تبلغ أبياتها سبعـة وسبعين ومائة بيت ، يبدأها بهذه الزفرة الحزينة :-

أرى النار في مثوى البنين تضرم

وفي كل بيت قام للحـرب مأتـم

أرى مهد عيسى يستخف وقـــاره

أرى مهبط الانجيل بالويل يهـدم

أرى أمة التوراة في القدس مثلت

فظائع ما كنـا بها نتوهـــــم

أرى أمة الفرقان راحت ضحيـــة

على مذبـح الغايات والناس تحلم

أرى أمة الأعراب تفنى وأمـــة

بملك سليمان بن داود تحلــــم

ودهشة ويؤرقه أن ترتكب كل تلك الفظائع التي حلت بشعـــب فلسطين من أجل وعد قاله بلفور لليهود في أرض لا يملكها اليهـود بحق .

أمن أجل ذلك الوعد يضرب المسلمون والمسيحيون على الســـواء بأبشع ألوان الدمار والخراب بما وصلت اليه وسائل الدمار الحديثة ؟

أمن أجل بلفور وتحقيق وعده

يئن مسيحي ويصرخ مسلم

أمن أجل بلفور وتحقيق وعده

ترى العرب تبنى والفرنجة تهدم

فلسطين ضاعت فتية وكهولة

وعم نواحيها الخراب المعمم

ويمثل الشاعر هذه اللوحة لشعوب الشرق الإسلامي مبديا لهم لوعات فلسطين مما حل بها لعلهم يستيقظون من نومهم .

فلسطين أمست في عناء وشدة

وأضحت على حال يهيج ويؤلم

الى عالم الاسلام تبدي توجعا

وفي عالم الاسلام سحر منوم

وتشكو لأهل الشرق والغرب حزنها

فلا الشرق يجديها ولا الغرب يرحم

يهان بها حق العروبة كلما

ويكرم قوم ما لها الله مكرم

فيا آل قحطان أغيثوا جريحة

من البحر تصلى أو من الجو ترجم

ورغم كل الاحن التي حلت بفلسطين ورغم ما قد يظهر للغريب من ضعف الشرق فان الشاعر لا يستكين ولا يعرف اليأس طريقه لأمله في اعادة مجد الإسلام .

لذا فهو يحذر هؤلاء الطغاة من وثبة الشرق وغضبته يقول :-

حذار فان الشرق قد يستفــــزه

على المستبد الدين والحصم والسدم

وان وراء القدس عينا بصـــيرة

وانا الى أخبـــاره تتنســــــم

الى أن يقــول :-

فلليل من بعد [illegible] نهــــاره

وليلته من ظلمة الشك أظلــــم

ولا بد من يوم الحقوق لأهلها

يقوم بغير السيف لا تتكلــــم

ويمضى الشاعر فى تذكير الغرب أن للشرق يوما سيأتـــى وأن الصمت الذى يرونه اليوم لا يعنى أنهم خلدوا للراحة كــــلا سيأتون وان الدوائر حتما ستدور على الباغى ،فان شواهد التاريـــخ على ذلك كثيرة ، فكم من ضعيف قد اشتد أزره وقـــوى وانتصــــر ، يقول الشاعر مصورا هذه المعانى :-

وما الصمت منا عن رضى وتخـــاذل

ولكن تزداد الفواجـــع ملجـــم

وما خطط الارهـــاب غير وخيمـــة

وعقبى هوان الشرق المغـــرب أوخم

تدور على الباغي الدوائر مثلما

على من رمى بالغدر ترتد أسهم

وهذا بلاغ منذر لوقائــــع

حقائقها من حكمة الشعر تلهم

فقد يصرع الضعف القوى وهو ثابت

ويرمى بمجهود الضريب فتهضم

وقد يصبح المغلوب والله غالب

على أمره والفصل بالفوز يختم

ومن الشعراء الذين أولوا قضية تحرير شعوب الإسلام في العالم العربي اهتمامهم - الشاعر ابراهيم مصطفى حجازى فنقرأ له صيحة قوية يستنكر فيها على المسلمين صمتهم والمسلمون في المغرب العربي يلاقون ألوان التعذيب على أيدى المستعمرين الفرنسيين والطليان .

ومن تلك الصيحة قوله مخاطبا جموع المسلمين في كل بلاد الله :

متعجبا من حالهم ، كيف رضوا بما وقع عليهم وعلى دينهم من ظلم حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت ، وما هي فرنسا وصيفتها في الطغيان ايطاليا وما زالتا سادرتين في طغيانهما - يوقعان صنوف البلاء بالمسلمين

يقول مصورا هذه المعانى :-

أيجمل أو يليق بنا العزاء

اذا ما الدين حاق به القضاء

مضى زمن وما ارتدعت فرنسا
ولم يعقب وقاحتها ارعواء

وجارت بعدها عنت أناس
من "الطليان" فارتوح البلاء

وتمضى القصيدة منبهة المسلمين الى أن يفطنوا لمقاصد هؤلاء المستعمرين - الرامية الى محو دينهم الاسلامى وتنصير الأمة وليس ثمة ما يدعو الى التقاعس والمسلمون يعتدى على حرماتهم

ألم يؤلمكم ما جاء أمس
(طرابلس) تراق بها الدماء

وحل بها من الأعداء ذل
وتنصير وخسف وازدراء

أرادوا محو دينكم انتهاكا
لحرمته وبالوصفات باءوا

فلبوا الموت واحتشدوا ، والا
فانتم والجماد اذا سواء

أ احياءا وجبنا بعد هذا ؟
وعم المسلمين الاعتداء (١)

ويستفز الشاعر حماة الاسلام مستثيرا فيهم نخوتهم الاسلامية

---

(١) ابراهيم محمد عبد الحافظ - ديوان الراوى ص ٧٨ وما يليها .

الغيرة على احقاق الحق والذود عنه ، فإنهم مالم يثوروا لحماية الدين ، فهم أدعياء - وإن الرسول صلى الله عليه وسلم بريء منهم .

يقول في هذه المعاني :-

حماة الدين ويلكم أراكم
لنصرته مالبكم بلاء
الأهل غيرة في الحق فيكم
الا أين التقى أين الوفاء
اذا لم تبذلوا الأرواح فيه
لعمر الحق أنتم أدعياء
ويغشى فيكم الخذلان جدا
وان محمدا منكم براء
أضعتم حرمة الاسلام لما
بنائركم تهوى فيها العماء (١)

ولكن نفس الشاعر مؤمنة بنصر الله لعباده ان هم عزموا على الجهاد ، فعليهم بالإتحاد ، والصمود أمام الشدائد ، دون خوف أو ذعر من الأقدار وماتجرى به فعل الله - يحدث أمرا ينصر به دينهم ويبرئ جراحاتهم ، فليتوكلوا عليه وليقدموا .

أباة الضيم حزما واتحادا
وان عرضت شدائد أو رخاء

---

(١) ابراهيم محمد عبد العاطي - ديوان الراووق - ص ٧٩

ولا يثنيكم في الحق ذعر
اذا ما جار أو عدل القضاء
لعل الله يحدث بعد أمرا
ويعقب جرح أمتنا الشفاء
عليه توكلوا واسعوا حثيثا
فلولا الله مانجح الدواء
ولولا الله لم يك من رسول
ولم تأت الخليقة أنبياء (١)

وفي قصيدة أخرى ينظر الشاعر للحياة نظرة تأمل تريه أن ما في الحياة من متع ولذائذ - يصرف الانسان عن جادة السبيل ، وأن الهداية الحقة - في اتباع الدين فهو الذى كفل للانسان سعادته عبر العصور . ومن ثم فهو يدعو المسلمين للتمسك به والذود عن حرماته .

يقول :-

ظللت الدهر في سرف وتيه
وكان اللهو يسلبني سوادي
فيممت (الهداية) ذات حين
فأصلحت الهداية من فسادي

---

(١) ابراهيم محمد عبد الهادي - ديوان الراووق - ص ٨١

علمت هداية الاسلام تدعـــو
وقامت للعلا جهرا تنـــادى
وأسسها على التقوى رجـــال
يرون المجد في حب الجهـاد
ويحفزهم لداعى الحق ديـــن
فعم هداهم أقصى البـــلاد
فما ألفيت للاسلام يومـــا
سوى نادى الهداية من عمـــاد (١)

ويفطن الشاعر الى ما يجرى حوله - من أحداث أرقت البـــلاد الاسلامية ، ويرى ألا سبيل الى اعادة كرامة المسلمين الا بالتـــآزر والاتحاد - فلكم عانت بلاد المسلمين من ألوان التعذيب :

أقومى سايروا واسعوا وبـــاروا
وحسبكم الركون الى الرقـــاد
فهذا الشرق فى قلق وجهـــد
وذل واحتقار واضطـــهاد (٢)
وكم لاقت حوادث مصر قهـــرا
وبالسودان كم عبثت أيـــادى

---

(١) ابراهيم محمد عبد الطلى - ديوان الراووق ص ٨٨
(٢) المرجع السابق ص ٨٩

وذاك المغرب الأقصى يعانـي

وخلت فيه كارثة الأعادي

دلفت أنظار المسلمين الى كيد الأعداء الاسلام من المنافقين الذين يصمون الاسلام زورا بكل ما يشين - حتى ضاق الاسلام ذرعا بهذه المكائد ، وليعلم المسلمون الا سبيل الى المجد الذي ينشدونه الا بالجد والاجتهاد .

يقـول :-

وكم وصم الحنيفة ذو نفـاق

وكانت ترتدي ثوب الحداد

وضاق الدين والاسلام ذرعـا

من المحن الروائح والغوادي

وأنتم تبتغون العز عفـوا

أليس لكل مطلب مبادي ؟ !

ودرك المجد من غير اجتهاد

عسير دونه خرط القتاد

وقد تأتي المقاصد بعد كـد

واقدام وصدق واتحاد (١)

---

(١) ابراهيم محمد عبد العاطي - ديوان الزاورق ص ٨٩

القيــــم والأخـــلاق الاسلاميـــة فـــى شعرهـــم

لقد حفل شعرهم بالعديد من القيم والأخلاق الإسلامية ولعله من العسير على المرء أن يحصى تلك الاشارات الكثيرة فى شعرهم التى تدعو الى أن يتصف الناس بما دعاهم اليه الدين من خلق ، بل أن الأخلاق الإسلامية ظهرت فى مواقفهم فى حياتهم فكثيرون منهم ظلوا على مبدأ ثابت فى الذود عن الحق .

ومن الشعراء الذين ظهرت الأخلاق الإسلامية فى شعرهم واضحة الشاعر محمد سعيد العباسى ، ولعل لنشأته فى بيت دين وتصوف أثرا كبيرا فى ذلك : وهو يشير الى هذا التراث الدينى الذى ورثه عن آبائه ومن القيم التى أورثوها له الجد وعدم التواكل - لينال احدى الحسنيين - العيش الحر أو موتة حر :

يقـــول :

أثقلت كاهلى مذاهب أشيـــاخ

كرام شم العرانين زهــــر

أرهفوا من حدى وقد علمونـــى

كيف أفرى لدى الصنائع وفـــرى

لا أمل السرى ولا أترك السعى

اتكالا على المقادير تجـــرى

ومرامى احدى اثنتين غامـــــا

عيش حـر أو لا فموتة حـر (١)

ومن ملامح الخلق الاسلامى الرفيع فى شعر العباس اعتمـــاده على نفسه ساعة الشدائد ولجوءه الى سيفه وكفى به خليلا وصديقا فهو الـــذى يحرق النفس من كيد الأعادى ـ وحسد الحســاد .

يقـــــول :ـ

كفى بذباب السيف خـلا فانــــه

لدى الروع أحفى من خليل مساعـد

يحز البرء من داء النفوس وربمـــا

يسل بحديه سخيمـــة حاقــــد

ويجدر بالمرء الكريم ادخــــاره

لاجلال ذى ود واذلال حاســـــد

فلا سلمت نفس الجبان وباركــــت

يد الله فى كــف الشجاع المجالـد (٢)

وفى الأبيات كما نرى احساس المسلم بعزة نفسه التى تأبـــــى الاذلال ويلمح فى الأبيات آثار تلك الثقافة الاسلامية منها البيـــت الثالث الذى يقـول

---

(١) ديوان العباس ص ٤

(٢) نفســــه ص ٥٥

ويجدر بالحر الكريم انضاره

لا جلال ذى ودّ واذلال وحاسد

يظهر فيه معنى قول أبى الطيب المتنبى - وهو ذو ثقافة عربية إسلامية .

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها

سرور محب أو اساءة مجرم

وفى بيت العباسى الذى يقول :-

فلاسلمت نفس الجبان وباركت

يد الله فى كف الشجاع المجالد

تظهر قولة سيدنا خالد بن الوليد المشهورة (لا نامت أعين الجبناء) ومن سمات القيم والأخلاق الإسلامية فى شعره حثه الناس على الصبر - مع علو الهمة فهما سبيل الظفر ويحذر من مغبة الضجر - ويرى أن طالب المعالى لا يضجر يقول :-

واصبر وكن ذا همة * ما فاز الا من صبر

ولا تضجرن فما العلا * كفء لها الرجل الضجر (١)

وإن حث الاسلام على الصبر جاء فى آيات عديدة من آيات القرآن الكريم - ومعلوم أن الله تبارك وتعالى (أقسم أن الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

---

(١) ديوان العباسى ص ٥٥

وقد ركز العباسي على الصبر على المكاره رغم بعد الشقة بينه وبين مطلبه في الحياة : يقول

هواي بنجد والمقام تهامة

وهيهات ما تدنو تهامة من نجد

هوى زاده كرّ الجد بعين جدة

سيبقى بقاء الوحي في الحجر الصلد (١)

وواضح أنه استعار نجدا وتهامة لبعد مرامه ، وفي البيت الأخير صورة جميلة حيث شبه بقاء سعيه ببقاء الكتابة في الحجر

وصفة أخرى نجدها في شعر العباسي هي أيضا من الخلق الاسلامي ، وأعني بها القناعة - والعفاف ، يدفعه لذلك إيمانه بالله الذي قسم الأرزاق - وحدد الأعمار بأجل لا يستقدم ساعة ولا يتأخر يقول ..

مهلا أيها الصبر لا تعجل فربك ...

سوى الخفيين أعمارا وأرزاقا

ما ذو القناعة في الدنيا بفائته

حظ ولا رد ذو الأطماع املاقا (٢)

وهو لهذا الخلق يعف عن العطايا والهبات التي يمنحها

---

(١) ديوان العباسي ص ١١٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٠

المصاودون الى حاجيهم - فان حباهم الله بالمال فهو الغنى بما حباه به الله تعالى من البيان العربى الذى كم حسده عليه الحاسدون .

يقـــول :-

لا تسقنى بكأس المادحين فهـــم
روّاد مرحمة عبّاد مقصـــود

أنا الغنى بما غيرى الفقير لـــه
لم يخب يوما ضيا عزمى ومعقود

فكيف ان ذكروا الاملاق أحـــذره
ان صح بالله ايمانى وتوحـــيدى (١)

وواضح أن الشاعر - يعتمد فى هذا المقام على قوة ايمانه بالله ذلك الايمان الذى لا يحذر منه إملاقا وفقرا .

ومن الخلق الإسلامى فى شعر العباسى - إباء الضيـــم وايثار الصعاب ... الحرمان على عطاء يذل كرامته . - وهو فى هذا قوى يدعو على نفسه ان هو قبل هذا اللون من العطاء .

---

(١) ديوان العباسى ص ١٠٢

يقـــــول

لا در دري ان رفعت للدنايا قدمــا
ما أرخص الحياة الا أن أرانـى مكرمــا
ثم عفت شهد الذل واستمرأت عنه العلقما
ما ذاك الا أنني أبيت الا أكرمـــــــا (١)

ومن القيم والأخلاق الإسلامية فى شعره تغنيه بالكرم وهو فـــى
شعره كثير : مثل قولــــه

فأفضل الخير ما استطعت تجده سببا

جاعلا مـن الحــــرّ عبــــدا

وقوله :ـ وأبذلوا المال فى العلوم فما حاز

بخيـل بالمـال مجـــــدا

وقوله :ـ فأقرضوا الله مما قد أنالــكم

يجزل ثوابا ويكسو العود ايراقا

ومثل قولــه :ـ

ولا أمنع المولى ولا ذا قرابــــة

ولا الطارق المعتر معروفى الجما

وفى شعر العباسى ملامح الخلق الإسلامى ـ نجده يحث الناس
على التقوى فى كل شئ ـ حتى الأدب نفسه يعتقد أنه يجـــــب
أن يخشى فيه وأن الأديب الحـــرّ عنــده مــــن يرضـــــى

---

(١) ديوان العباســى ص ١٢٠

بشعره خالقه قبل ارضاء الناس

يقـــول :-

سم شعوا ما يبغ للفرس الأسس

والا فقـل شعـار الحماقـــــة

و الأديب الأريب قبل رضاء الخلق

يرضى بشعـــره خـلاّقــــــــه (١)

ومن شعره الذى تظهر فيه تقواه ومخافتــه من الله قوله يخاطب اثنين من ذوى رحمه - بأن لمن يتقدم على هجائهما مراعـــاة لصلة الأرحام . - ولولا خوف الله فى هذه الأرحام لهتك بهجائه سترهما .

يقـــول :-

أبرمتمـا شرا فـرّق * الله ما أبرمتمـــا

انى أخاف الله فى * هجوكما والرحمـــا

لولاهما هتكـــت * بالتقريح من ستركمـا (٢)

- وله فى هذا المعنى قول صريح ينص على أنه لا يخـــاف الناس ،وانما خوفه من الله - فان كان هو الذى بيده كل شـئ فلا يخاف غيره - وسيظل يمضى سباقا للمعالى لا يأبه بمقال قائـل منــبـــوق .

---

(١) ديوان العباسى ص - ٨١

(٢) نفس الديوان ١٢٦

يقـــول :..

مالي أشوّق بالعباد وانمـــــا

أمري إلى الخلاق لا المخلـــوق

ما دمت حيا فليس بضائــــــرى

أبدا مقال مدقع مسبـــــــوق (١)

ومن الصفات والخلال الاسلامية فى شعر العباسى صفة الوفاء ، فهـــو الذى يرى أن الكفر بالنعمة داء عضال .

يقـــول :-

قد رعينا الجناب منكم خصيبـــا

ووردناه سلسبيلا زلالا

ورأينا فى عهدكم بارد العيـــــش

فكنتم رداء وكنتم ظـــلالا

ما كفرنا احسانكم وقديمــــــــا

كان داء الكفران داء عضالا (٢)

وهذا الوفاء عند العباسى خلق يرى أنه لن يتخلى عنه فيدعو نفسه بأن تشل يده ولا تمسك بعنان فرسه الأجرد ان هو تخلى عن هـــذا الوفاء والوداد .

---

(١) ديوان العباســى ١٤٠

(٢) نفس الديوان ٨٦

يقـول :ـ

ان حلت عن ولدى فـلا * أرض الكمال مشهدى

لا عرفته كفى فى الهيجا * عنـان الأجـرد

ولا أزدهت بقائم السيـف * ولا الرمح يـدى (١)

هذه الصفات والأخلاق الإسلامية التى عرضت بعض نماذجها مـن شعر العباسى ـ نجدها مبثوثة بنسب متفاوتات فى دواوين ـ هؤلاء الشعراء ، ـ وأعرض بعض هذه النماذج عرضا موجزا .

نقرأ للشاعر عبد الله محمد عمر البنا ـ حثه الناس على الجد فـى العمل والتحلى بالصبر ـ والصفح والكرم .

يقـول :ـ

الصبر يفتح كل باب مرتـج

والجد زين والهوان شقـاء

والصفح عن زور المقال مـروءة

تعلى الفتى وسكينـة وحيـاء

ومتى استطعتم أن يكون فقيركـم

مثل الغنى فانتم الكرمـاء (٢)

وله فى هذه المعانى قوله متحدثا عن فضائل ـ الصدق ، والكف عـن

---

(١) ديوان العباسى ص ١٠٨ .

(٢) ديوان البنا ـ ص ٧٥

قول الزور ـ والتحلى بالشجاعة ـ والكرم والتحلى بالمروءة : قولـــــه

ولقد رأيت الصدق أول واجـــــب

والكف عن زور المقالة أوجـــب

وأرى الشجاعة خلة مفقـــــودة

يسعى ليدركها الكريـــم ويدأب

كل المروءة فى ابتعاد المرء عـــن

سبل الهوان فانما هــى مطلب (١)

وقد يكون هذا الشعر ـ أشبه بالوعظ منه بالشعـــــر

المؤثر بالصحة الفنية ـ لكنه على كل حال شعر يحوى فى طياتـــه

القيم والخلق الاسلامية التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم ـ،

وينهج الشاعر عبد الله عبد الرحمن نهج صاحبيه العباسى والبنا

بل أنه ليعجب بالشعر الذى يصوغه شوقى ويبعث فيه الناس الى الرفيع

من الخلال ـ يقــول :ـ

يالله شوقى أى قـــولــــــى

قريض منه جيد الدهر حالـــى

فتى وقف اليراع علـــى بنــاء

المعالى والرفيع مــن الخـــلال (٢)

---

(١) ديوان البنا ص ٧٢

(٢) الفجر الصادق ـ ص ٤٨

ويشير عبد الله عبد الرحمن الى هذه الصفات الكريمة مجملة في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيذكر من صفاته الكريمة ما يفخر به القارئ ليتصف به الغير .

لعمرك ما النبي - فدته نفسي
بمنطلق اللسان ولا البذي

ولا هلع تزعزعه خطوب
ولا مبدي الملامة للمسيء

ولكن قد علمناه رءوفا
يرد عوادي الدهر الفتي

أتى بالملة السمحاء يدعو
الى الأخلاق والشرع السوي

فهو يحقق أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بمنطلق اللسان في ذم الناس وليس بالهلع أمام الشدائد ، ولا اللوام للمسيء ولكنه الرؤوف - العفو - ذو الأخلاق السوية .

ومن الأخلاق الإسلامية الواضحة في شعرهم - قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يؤثر الصراحة في القول ، ويزهد في صداقة كل خل يحتاج الى المواربة والمداراة ، وإن من صفاته وخلقه أنه أن رأى صديقا مال عن الجادة - يرى أن من المعروف له أن يسوى خلقه حتى يستقيم على الجادة : يقول :-

ليس المدارى أخاه يوم نائبة
لا بارك الله في خل تدار به

لكنى اذا رأيت البخل مذهبه

مال انبريت بمعروف أسويه (١)

وعلى هذه الأخلاق الإسلامية تجرى نتاجهم ومن ذلك قول أحمد محمد صالح يدعو قادة البلاد الى التحلى بالوحدة - والحزم - وأن يزينوا حكمهم بالأخلاق ويشيدوا نهضتهم على سنن يرضى الاله ويرضى عنهم الشعب والقمم .

يقول :-

صونوا اتحادكم من كل شائبة
تجرفى ذيلها الاخلاق والندما

وحصنوه بدرع من خلائقكم
والحزم مكتملا والفصل ملتئما

زينوا الثيابة بالحلم الصحيح
والرأى الصريح والخلق الذى عظما

وشيدوا النهضة الكبرى على سنن
يرضى الاله ويرضى الشعب والكرما (٢)

- هذا حديث مجمل عن القيم والأخلاق الإسلامية فى شعرهم يتناولوا فيه ما دعا له الدين من التحلى بالأخلاق مثل الصبر - والصدق - وإباء الذل ، والتسامح - والكرم وإن هذا اللون من الشعر

---

(١) المصرع ٩٤

(٢) مع الأحرار - ص ٦٢

كان له أثره في ذلك الزمان وأحسب أننا مازلنا نحتاج الى الاتصاف بما دعوا اليه سواء في سلوكنا الفردي أو في سلوكنا نحو الآخرين .

الباب الثاني

الفصل الثاني

مصر في شعر دهم:

١/ تشابه الظروف السياسية والثقافية بين البلدين

أن العلاقة بين مصر والسودان ، علاقة قديمة ، ما تزال ممتدة منذ أزمان بعيدة ، بل إن تاريخ السودان في مختلف عصوره ظل يتأثر بالحضارات والدول التي قامت في مصر ، وإن كل تغيير يحدث هناك يكون له تأثيره هنا في السودان ، وإن كثيرا من الآثار في جنوب مصر وشمال السودان ، لذات دلالة على قيام حضارة في هذه البقعة ، تتشابه سماتها وملامحها (١).
وقد تعمقت هذه الصلات عقب الهجرات العربية الإسلامية التي جاءت عن طريق مصر عقب توقيع اتفاقية البقط الشهيرة في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان من أهم بنودها : أن يسير المسلمون من مصر متجهين الى السودان جنوبا ، والا يمنعهم النوبة من أداء شعائرهم الدينيه ، بل عليهم أن يحرسوا مسجدهم بدنقلا ويحموه .
كانت هذه الاتفاقية هي البداية الأولى لتوطيد العلاقة بين مصر والسودان وظلت الوفود الإسلامية تتابع من مصر عبر القرون التي تلت تلك الحقبة ، وهي تقوى وجود المسلمين في السودان ، وكانت هذه الجماعات الإسلامية المهاجرة مع غيرها من العرب المسلمين الذين وصلوا الى بلاد السودان ، كانت اللّبنات التي قامت عليها دولة الفونج الإسلامية :
وهي دولة ذات ملامح إسلامية بحق ، عني حكامها بأمر الإسلام واعتمدوا في بعثهم الإسلامي هذا على مصر ، حيث وثقوا صلاتهم بالأزهر الشريف الذي ظل يوفد اليهم علماءه لنشر

---

(١) مكي شبيكه ــ السودان عبر القرون ص ٧

تعليم الدين الاسلامي ، وبلغت تلك العلاقات كما لاحظنا فى هذا البحث حدا ، جعل علماء الأزهر يمدحون ملك الفونج بمبادى الجهودة فى نصر الإسلام — يقول احدهم:

الى حضرة السلطان والملك الذى حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادى الذى له مناقب قد جلت عن العد والحصر

وظل هذا المد العربى الإسلامى منذ قيام دولة الفونج يتتابع حتى يومنا هذا ، وقد أشار الى هذه الحقيقة كثير من الباحثين وقد لفت نظرى حديث للاستاذ الدكتور الحبر يوسف نور الدائم عن موقع الإسلام فى الثقافة السودانية ، نشرته جريدة الصحافة السودانية ، أوجز منه ، اشارته الى أن تلك الصلات القديمة بين القطرين كثيرة منها الأزهر الشريف بأروقته منذ عهد الفونج وارسال مصر العلماء والكتب ، الدينية والعربية وتشجيع مصر للمعاهد الدينية التى قامت على غرار الازهر وأولها معهد أمدرمان العلمى ، وروافده .

ثم اشارته الى رواد النهضة الأدبية السودانية الحديثة وقد تأثروا بحركة المد الأدبى فى مصر ، مثل تأثرهم بالعقاد وطه حسين والرافعى ، واشارته الى أن حركة المد الإسلامى السياسى فى السودان كانت متأثرة بما يجرى فى مصر من مد سياسى مثل حركة الامام حسن البنا (١) ودعوتها الى غرس الإسلام فى نفوس الشباب لمجابهة الانحرافات الفكرية التى يقع فيها الشباب نتيجة ما يقرأونه من أفكار تغاير تعاليم الإسلام ثم دعوتها الى تطبيق الإسلام فى كافة حياة المسلمين ، فقد نشأت هذه الدعوة فى السودان مستفيدة من ذلك المد الإسلامى فى مصر .

---

(١) وهو يشير الى حركة الاخوان المسلمين وجهودها فى الدعوة الى تطبيق الشرع الاسلامى

لقد كان لكل هذه المدارس ـ الأدبية ، والفكرية ، قادتها ، وكان ما يذيعونه على العالم الإسلامي من أحاديث وكتب ومجلات ، يجد اذنا صاغية في السودان واهتماما بما يثار فيه من نقاش لمختلف الاراء (١) واذا كانت هذه الاشارة الموجزة لما ظل يحوى من الفكر الدينى الإسلامى ، تمثل اشارة موجزة لمد حضارى كثير العطاء ، متعدد الالوان ،

فان هذا المد ظل قويا في مختلف الظروف السياسية التي مرت بها البلاد منذ قيام دولة الفونج الى يومنا هذا فان دولة الفونج بعد أن زالت دولتها :

وقامت دولة الفونج دولة الأتراك ، ظل التيار الثقافي الإسلامي متصلا . حيث تتابع مد الأزهر الإسلامي الى جانب ما قام به الأتراك من انشاء مدارس في مدن السودان الكبرى على غرار المدارس في مصر .

وجاءت المهدية ... ورغم ما اشتهرت به من مناهضة مصر العداء السياسى الا أن المد الثقافى لم يتوقف .

وفي العصر الحديث ازدادت هذه العلاقات ترابطا ، عندما خضعت الدولتان الحكم البريطاني ، وأحس الشعبان بمرارة الاستعمار ، وأيقنا بضرورة تآزرهما للتحرر من ربقة ذلك الاستعمار .

ورغم أن مصر قد اشتركت اشتراكا اسميا في حكم السودان فأن السودانيين أيقنوا أن الحاكم الحقيقي هو الانجليز ، وأن مصر نفسها تعاني من هذا الظلم .

ومن ثم أيد السودانيون ثورة عرابى ، وثورة ١٩١٩ ايمانا منهم بأن تحرير مصر ، يساعد على تحرير السودان وغيره الأمر قاموا على ما فهمه

---

(١) انظر في ذلك جريده الصحافه السودانيه بتاريخ ٢٦ من محرم ذي الحجة ١٤٠٤ الموافق ٢٢/٨/١٩٨٤ .

الدكتور عبده بدوى من هذا التآزر ، عندما قال : أن السودانيين قد أحسوا أن بلادهم لن تتحرر الا على أيدى مصر ، وأن مصر بحكم وضعها فى السودان تستطيع أن تزعج الانجليز (١)٠

والصحيح أن ايمان السودانيين بضرورة تعاون شعبى مصر والسودان فى كفاحهما لتحرير وادى النيل بأسره ، جعل بعضهم يؤمن بقيام وحدة وادى النيل ، وليست القضية مرحلية أو وسيلة لغايتة فى تحرير بلادهم وحدها ، كما يوحى بذلك كلام الدكتور ٠

والدليل على صحة هذا أن السودانيين تجاوبوا تجاوبا قويا مع كل الاحداث التى جرت فى مصر والسودان ، والتى مست السيادة المصرية وأضرت بحقوق شعب مصر ، وأبرز تلك الأحداث ثورة ١٩٢٤ : التى أستشهد فيها عدد من السودانيين فى سبيل الذود عن مصر ، واحتجاجا على ابعاد الجيش المصرى عن السودان ٠

وكان لابد للشعر أن يصور ذلك المد السياسى والفكرى المتجه لمصر ، مؤازرا ومساندا ، ومتحدثا ، بها ٠

وقد استفاد الشعراء من عمق الصلات التاريخية والثقافية ، فأبرزوا ـ أهمية الرباط الدينى ، وعنوا باللغة ـ ونوهوا على حسن الجوار كما اشاروا لصلات النسب فكانت هذه المؤثرات سببا لهم فى دعم الكفاح المشترك بين الشعبين ، لإقامة دولة موحدة فوق أرض النيل عرفت الدعوة لها بدعوة (وحدة وادى النيل)٠

وكان الشعراء الذين يمثلون هذا الاتجاه هم الكثرة الغالبة من الشعراء سأتناول تناولا عاما : عددا منهم ٠

ثم أفرد دراسة لاربعة شعراء ـ أرى أنهم عنوا بمصر فى شعرهم أكثر من غيرهم من الشعراء ٠

---

(١) عبده بدوى الشعر الحديث فى السودان ص ٥٥١

هؤلاء الشعراء هم :

محمد سعيد العباسي — عبدالله عبدالرحمن

التجاني يوسف بشير — أحمد محمد صالح

وأبدأ بحديث عام عن مصر فى الشعر السودانى فى هذه الحقبة .

فقد تحدث الشعراء عن روابط الدين ، واللغة والنسب وحسن الجوار والمصير المشترك حديثا معبرا نم عن إيمانهم ، بهذه الروابط ، وبدورها الفعال فى دفع حركة تحرير وادى النيل .

يقول الشاعر الناصر قريب الله ، مؤكدا مساندة السودان لمصر فى البأساء والضراء ، داعيا الى الاعتصام بعصمة الدين التى لا مفر منها

ومصر والسودان صنو شقيق ... وهذا النيل شاهد حيث يجرى

فاقصموا ألسنة المكائد انا ... اخوة فى الهنا ومس الضر

عصمة الدين وحدتنا وما عن ... عصمة الدين وحدها من مفر (١)

ويرى الشاعر ادريس محمد جماع أن هذه الرابطة العربية الاسلامية بين مصر والسودان ، رابطة تجمع بينهما وسائر الشعوب العربية الإسلامية ، وعليهم أن يستميتوا لحمايتها ، وأن بلاده فى سبيل ذلك تقف بجانب مصر دفعا للظلم ونصرة للحق . وتوطيدا لأواصر هذه العلاقات ، يقول :

ما زلت يا مصر من راموك واعتسفوا ... ونحن بين شديد السخط والعجب

كل العروبة لما مس اخوتهم ... بأس المغير ، هبوا فى نخوة العرب

وهز ما رسخ التاريخ فى دمهم ... من البطولة والامجاد والحقب

عروبة وحدة الاحساس تجمعها ... كما التقت فى اتصال الأصل والحسب

ونحن يا مصر شعب من خلائقه ... بذل التفانى ورثناه أبا لأب ..

ولم يبد لك فى طاغى الكفاح بنت ... لنا الحياة فما ننساك فى كرب (٢)

---

(١) الناصر قريب الله — ديوان الناصريات ص ١١

(٢) ادريس محمد جماع — لحظات باقية ص ٤٢

والشاعر محمد محمد على يتحدث عن كفاح مصر ، ويرى أن الذود عن مصر ، واجب تحتمه تلك الأواصر العربية الإسلامية بل أن نصرة مصر واجب على كل بلد حر يعشق الحرية وأما بلاده ففيها رجال يعشقون الموت ان اعتدى جائر على حقوقها فالموت فى سبيلها ـ غاية سامية .

يامصر حقك فى ديارك	مثل ضوء الشمس ظاهر
فى كل أرض حرة لك من	يتبعها نصير ناصر ......
ومنا رجال يعشقون ..	الموت ان غاداك جائر ....
الموت فى حرم الكنانة	رغبة هزت مشاعر ....
الذود عن شطآنها	مما تحتمه الأواصر ...(١)

أما الشاعر محمد المهدى المجذوب فأنه ـ يؤكد حبه لمصر وشوقه الى ربوعها ، لأنها هى بلاد الإسلام التى تحفل بالمساجد تتراى مآذنها متجاورات ناهضن الأتراب وان الصلة بينها والسودان موصولة . بهذه الينابيع الدينية وبهذا النيل ، حيث ترتبط بذلك الأرحام رباطا لا انفصام له .

كم تمنيت فى شبابى لو ألقاك حتى أذوق معنى شبابى ....
جوهرة النيل غرة الفجر فى واديك شدو المآذن الاتراب ....
ألحم الله بالمنابع والنيلين أرحاما لذير انقضاب ....(٢)

ومصر هى هواه وانسه وبيته ، وكتابه ، وأن قومه يرلوتبها عميق حبهم ويستعجلون ذلك اليوم الذى يثبون فيه لنصرتها ، وهو رغم نأيه لا يرتاب ، ولا يشك فى عمق صلاتها بقومه ، فهو يشير بلقيا الاحباب ، لها .

---

(١) محمد محمد على ـ الحان وأشجان ص ..

(٢) محمد المهدى المجذوب ـ المنابر ، ص ..

يامصر

مصر/ياهواي وأنسي .. وبيتي فكرا وكتابي ....

خلف وطن الحقد ترمي .. يحبونك يستعجلون يوم الوثاب ..

ياحبيبتي أحبها بك لا ينسى .. وحاشاي من شكوك الغياب.(١)

وأن الشاعر المتيم في مصر يشير اللقاء للاحباب .

وأن هذا الحب يدفعه لان يدعو القوم في مصر والسودان الا يركنوا في سعيهم وكفاحهم لتلك الاكاذيب التي يلقيها المستعمرون ، في وعودهم الكاذبة — بالسلام . فليذهبوا وليذهب سلامهم — هذا موقتة مزيفة ، وليستعدوا لحرب تحرر هذين القطرين .

يقول الشاعر :

الى السيف شعب النيل ثوروا بحده .. صدور المنايا واحكموا في المصائر

دعوا السلم تذهب موقتة بعد مزقة .. فما السلم الا في لهيب المجازر

وواضح أن الشاعر لا يرفض السلم التي دعا الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجنح لها ان جنح لها الكفار وطلبوا الصلح ، لكنه يرفض الصلح الذي يقوم على اذلال الأمتين ويؤكد الشاعر هذا المعنى بأن الرسول الهادي أعمل السيف في وجه الطغيان حتى حمل لواء الدعوة ، وأنار بها مشاعر الكون ، فسوى دينه بين الناس ، حيث بقي الهدى والمآثر .

أما حمل الهادي الى القدس مكة .. وأعلى ضياء النار فوق المنائر

فيا موجة من غضبة النيل ثائرة .. تسابق صخرا مد لهم الأظافر

سوى لمعة الخلاق دوما وشارة .. وتترا حيث بقى الهدى والمآثر (٢)

ويتحدث عن مصر وصمودها أمام عوادي الزمان وخروجها ظافرة ، مشيدا بما أسدته من معارف ، أضاءت غياهب الجهل وروت تشوق كل التائقين الى العلم .

---

(١) محمد المهدي المجذوب — ديوان المنابر ص [illegible]

(٢) نفس المصدر ص [illegible]

يامصر يا أخت الخلود تحية — من جازع لك بالجزاء مواف
ان عقك الزمن الخئون اخذته — غصبا وثرت بلمحه الصداف
ينسى الزمان وما نسيت فإنه — أفضى اليك بسره الصراف
ما ئل سالفه فصنت قديمه — سفرا يدوم مجدد الألفاف (١)

ثم يتحدث عن وفائه لمصر ، وعن وفاء مصر له . فلكم أعنته عطاء من لا يرجو على عطائه تقريبه ولا اجرا ، فهو مروءة وعفاف من تداليه ، وهذا من غير ريب هو عطاء الأحرار ولكم أنصفته مصر حين أحبته حرا ، كما احبها حرة ، انها قريبة من قلبه رغم بعدها واتساع رمال الصحراء المترامية سدا منيعا بينها والسودان .

وان من دلائل وشائج القربى بينها وبين السودان ، هذه المساجد التي ترنو بمآذنها الى مصر مشفقة وباكيه ، ولعله قد اختار المساجد للوشائج الدينية التي تربطها بين القطرين ، ورمز بالمساجد لأيدي مصر من علوم ومعارف إسلامية .

يقول مخاطبا مصر:

ناجيت طيفك حادثا ولقيته — صبحا وليس كسائر الاطياف
الحق عنك أخذته لا تبتغي .. — اجرا عليه مروءتي وعفافي
أنصفت عقلي حرة وأثرتني .. — حرا أريد مقاتلا انصافي
ما حدك المتصور ملء رماله — أن يرتق قصة الارجاف ..
تلك المساجد في بلادي قبلة — وهم توشح قاصي الاطراف
عبرت اليك من الفلاة بناظرة — تبكي عليك بذوبها الحراف

ويشير الى هذه الوشائج التي يدعمها بعث مصر علومها ، وعوارفها في السودان الدكتور عبدالله الطيب ، لنشرهم العلوم ، والهدى وعن روابط الدم التي تتوشح مراسها ، وهناك فيقول :

---

(١) محمد المهدي المجذوب — منابر ص ١٠٢

ولا غرو اذ هم معدن العلم والهدى ... وفى ظلمات المشرقين مشاعل

ونحن تعلمنا المعارف منهم ... ومنا لديهم أبطن وقبائل (١)

وان هذه النزعات نحو مصر تتفاوت بين التأييد المادى والتعاطف القوى الجياش من شاعر لآخر ،

فبينما نراها عند بعضهم عاطفة هادئة مبعثها النظر الى تمسك الوشائج التى تربط بين الشعبين ، وضرورة الاعتداد بها فى بناء دولة النيل نراها عند بعضهم شعرا يتأجج عاطفة متقدة فى جوانحهم ، فيحرقهم نحو مصر حب عميق يأخذ عليهم أقطار أنفسهم ، حتى لا تجد فى شعر بعضهم شعرا فى غير مصر ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر حسن طه ـ الذى سمى ديوانه (هتاف الجماهير) مشتقة من هتاف تلك الجموع التى تهتف هادرة بموعها بتأييد مصر ، فى مواكبها السياسية ، ومن أهم الموضوعات التى حواها هذا الديوان شكوى الشاعر من مكائد ودسائس المستعمرين وأعوانهم ، التى طرحوا ينسجون خيوطها لتفريق وتشتيت وحدة وادى النيل ، وهو لا يرى هذين الشعبين الا شعبا واحدا : يقول :

من رسولى الى الكنانة أنبيها ... بكيد الدخيل للأوطان

لو رآنا نقول مصر تأذى .. وتحدى القلوب بالسلطان

لم يجد حجة سوى البطش .. بالأحرار أو منطقا سوى الطغيان

كلما قالت الوشائج شعب .. واحد قال انما شعبان (٢)

وأن وجهة نظره السياسية واضحة ، خلاصتها أنه يجب على شعبى مصر والسودان ، أن يعملا على تحرير الوادى من المستعمرين أولا ، أما بقية المشكلات فأنها سهلة ، وأن أمرها متروك لتسوية داخلية ، تتم بعد الجلاء ، فلا معنى عنده لهذه الخلافات السياسية

(١) أحمد المهدى ، المجذوب ص ١٠٢ (مخطوط)

(٢) حسن طه (هتاف الجماهير) ص ١٦٠

التى يحتفل الناس بها :

نيم الخلاود من النيل أمنية كبرى اذا كانت حانت مساعيه
فى الاجلاء من الوادى وثم لنا مع دولة النيل أمر قد نسويه

وتتضح أهمية الخطاب الحار التى يوجهها للناس ، فى انشغالهم عن اهم الامنيات ، وهى دولة النيل الكبرى ومتى كان أمرها ساعد على(١) تحقيق كل مسعى وهو مثل رفاقه يدعو لوحدة تقوم على ركائز الدين ، ويسعى لايجاد جيل يحلى جيد السودان العاطل بوجال مؤمنين أقوياء ليخطوا به نحو ذروة المجد :

واساس النهضة فى الشرق روح من حنو يزين بهاء الحديد
ما هو الشرق مثل الدين والسودان فى الشرق عاطل جيد
سنحليه فى غد برجال ونقاد وحدة وتجديد ..
ونخطو به الى ذروة العلياء أو نفح مجده المنشود ...(٢)

ويدعو الى حيث تقوية حمور البلاد من سلاسل الاستعمار ، فهو يمد يدا قوية يشد بها أزر المجاهدين فى ثقة ووفاء بالعهود .

حسبنا ذلك الركود الا هبوا سواها قلات حين ركود ....
وقياما الى النضال نحرر شعبنا من سلاسل وقيود
هذى يمناى فى يمناك يا هذا وما كنت خائنا لعهودى....

ومتى تحققت لأمته وحدة اسلامية الملامح فانه سيشدو فرحا بهذه الوحدة ، ويتغنى بها فى كل ناد داعيا أمجاد فخارها أن تعود .

سأغنى اذن بأغنية النيل أدى المهرجان فى كل عيد
مزدرى حلمة الحنينة فى النادى والوحدة الجليلة عودى ....

(١) المرجع حسن طه ــ مناة الجماهير ص ٨٤
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ وما بعدها

فاسمعوني في الزمان أغني   بالليالي البشر بالنصر عودي
واسمعوني مع الحداة أغني   باسماء الفخار بالنصر عودي (١)

ويلاحظ أن هؤلاء الشعراء وهم يدعون الى تحرير شعوب وادي النيل لا يغفلون عما يجرى حولهم من كفاح شعوب العالم الاسلامي ، وما يحيكه المستعمر من مكائد لتلك الشعوب ، وهم بذلك يشيرون لشعب وادي النيل الى أن العالم الاسلامي كل لا يتجزأ ، وان صورة التحرير يجب أن تصدر من كل [illegible] إسلامي لتحرير كل بلد إسلامي آخر ، ومن تلك المواقف التي تربط كفاح شعب وادي النيل بما يجرى في العالم الإسلامي من أحداث ما يراه أبيات الشاعر جعفر حامد البشير يذكر فيها الايرانيين بما يجرى من أحداث وما يجتاح ايران في عام ١٩٥١ ، وما تقاسيه شعوبها من بطش ، ثم انه يذكر بغدر المستعمر الذي لا يستثني بلدا مسلما دون آخر ، فتأخذه الحمية من هذا الذي يحل بإخواننا المسلمين هناك ، ومعلوم أن المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، كما يشير الى ذلك الحديث النبوي الشريف.

يقول الشاعر :

أقسمت ما هو أهل النيل أورثهم   بنودهم في الحق [illegible] ...
هذه أمس في ايران موطنه   وعبرة مالها في الدهر انكار ..
ياشعب مصر حبال النيل تربطنا   والذل والنكد المشئوم والعار ..
فانما اليوم نرجو أن نبوأهم   ديارنا بضريط [illegible] وننتصر .. (٢)

ويمضي الشاعر في حث هذه الامة على الجهاد ، متألما من [illegible] الوضع الذي أصبح ولا تزال تئن من ظلم المستعمرين ، وبلغت الاستهتار الى أن الشكوى لهيئة الأمم المتحده وما شابهها من هيئات يشرف عليها

(١) المرجع نفسه
(٢) جعفر حامد البشير ـ ديوانه [illegible] ص ٦١

ويدين أعداء الشعوب ، وهم الاستعمار نفسه أن هذا اللون من الكفاح الذي يعتمد على الشكوى بالخطابات ان هو الا تشهير .

ما أقرب اليوم قالت بان قد عقدا ... عزم الجهاد وعزم النصر يختار ....
يا طالما أن وادي النيل من ألم ... وطالما سمعت شكواه أقطار ....
وطالما أم دار العدل يقصده .. ... في صيغة أهلها الظلم أنصار ...
وأوفر اللورد فيها كان يقصده ... يا كم سخرت بالناس أقدار ؟..
فاليوم هل أدرك الوادي وقادته ... أن الكفاح على القرطاس إقصار ..(١)

لا ريب أن الكفاح على القرطاس وحده اقصار ، ومن ثم أمر المسلمون باعداد القوة !

ولايمان الشاعر ، بأن الكفاح على القرطاس وحده ، لا يحرر شعبا تراه يدعو شعبي وادي النيل ليخوضا حربا ضروسا في سبيل التحرير ، فما من أمة مستعبدة تحررت ورقت الى المجد الا اذا خضب شهداؤها بالدماء ، فليشعلوا نارا جذلة القرى على الأعداء .
يقول :

تعالوا نقم صف الجهاد موحدا ... فلا نفرق في الأحزاب شتى جهودهـا
تعالوا فما حرية النيل منحة ... اذا كان شعب النيل حقا يريدها
تعالوا فلن ترقى الى المجد أمة ... اذا لم يخضب بالدماء شهيدها
سلاما أشقاء النضال ورحمة .. ... ونارا على الأعداء جذلا وقودها (٢)

وأن النصر ليس ببعيد اذا زحف المجاهدون من جانبي النيل وحدت جموع النيل وجهودها لسحق الأعداء ،
أن هذا الزحف سيجعل الأعداء ينهارون أمام قوة الحق كما عرف الباطل والكفر ثباتا أمام جيوش المسلمين الموحدة .

---

(١) جعفر حامد البشير ـ ديوانه حرية وجمال ص ١٩
(٢) [illegible] الخواطر ص ٢٧

وإن في التاريخ أكثر من شاهد على فرار أجدادهم الكفار عندمـــا
هجمت عليهم جموع المجاهدين المسلمين •

يقول الشاعر في هذه المعاني :

وددت لو أن الحدوتين أتاحتا تيامُ زحوف لا يحين قعودهــا
وأن ديار النيل حيث تيوممــا وثارت لسحق الغاصبين جنودها
اذا سوف تدعو بالفرار عصابة تفنن في الفرار جدودهــا
ويدا اذا الأهداف كانت بعيدة لعمري فقد أضحى قريبا بعيدها (١)

وأما الشاعر أبو داراف النميري فإنه يؤسس وحدة وادي النيل على مبادئ
القرآن الكريم لتنتشر أضواؤه عندما وهداية تمحو ظلام الجهل فيتحــول
ليلها المظلم الى صباح منير •

يقول أبو داراف النميري في إحدى موشحاته : متحدثا عن نهضة وادي
النيل :

نعيش اليوم أوطانا ••••	فلا خلف ولا حقـــد •••
يؤلف بيننا النيــل ••••	وهذا الجزر والمــد •••
وقرآن رسالتـــه ••••••••	مدى الأيــام تمتـــد •••
فسوف نرى أشعتها ••••••	بليل ينقضي صبحــا •••(٢)

ويحمل الشاعر الدكتور سعد الدين فوزي، أصحابه المسافريــن
الى مصر أشواقه وحنينه الى مصر وشبابها ، ويتحسر على حظه الذي لم
يسعده بزيارتها ، فأمسى في ليل الكروب ، بينما سعد الرفاق وحققوا
أحلامهم ، في ديار العلم والأدب •

---

(١) هتاف الجماهير ص ٢٢
(٢) ابو داراف النميري / الينابيع / ص ٥٠

ذهب الرفاق الى الكنانه ... صرح الأدب الرحيب ....
كل يقول المفسر ... قد حققت مصر اذن مطلبى ....
حققت أحلام الشباب .. وجسدت فى روح الأديب .... (١)
فى كعبة العلم المباح لكل أبناء الجنوب
وأنا قعدت عن المسير وبت فى ليل الكروب

وتشوقه معالم مصر العظيمه ـ هرمها الشامخ ، وأزهرها المعمور بالعلوم وينابيع ثقافتها المصفاة من الأوشاب.

يقول مناجيا رفاقه :

يارفاقى اما رأيتم مصر فى ... ثوب قشيب
ورأيتم هرم الجلال يقوم ... متشامخ الضريب
وغشيتم فى الازهر المعمور ... فى ركب مهيب
ووردتم نبع الثقافة عذبا ... غير المشوب (٢)

يدعو الشاعر أصدقائه ، اذا طافوا بهذه المعالم الجميلة فى مصر أن يبلغوا مصر رسالة السودان وهى رسالة صادقة من القلوب الى القلوب ، وليحكوا لهم عن الشعب السودانى المتوثب الى المعالى وهو وان قيدته قيود الاستعمار ، لكنه شعب متوثب للمعالى ، وان رأوه صامتا ، فما فى صمته هذا ما يجعلهم يرتابون فى نصرته لمصر بل هو صمت أشبه بصمت النسر وهو يتهيأ للوثوب وان غدا سيشهد وثبته التى يحتل بها مكانه مرموقة بين الشعوب الحرة .

يقول :

أدوا رسالة قلوبنا ... فمن القلوب الى القلوب
بلغ الخليل خليله ... وشى النسيب الى النسيب

(١) سعد الدين فوزى / من وادى عبقر / ص ٧٤ ـ ٧٥
(٢) نفسه ص ٦٢

واستكوا لهم من نبتة ... كبرى ومن شعب دءوب
صمت الشباب وغيرهم ..... صمت الناس دوما بالمريب
في صفقة النصر الذي .. هذا تبوأ الرقـوب ..
وغدا تقال مقالة ...... الاحرار في ركب الشعوب(١) .

ويتحدث د . مصطفى عوض الكريم عن تلك الروابط الباقية التي تربط بين شعبي وادي النيل ، فهي باقية رغم إرجاف المرجفين من اعداء وحدة وادي النيل المنكرين على زعماء تلك الوحدة جهادهم ، يقول للزعيم الوطني الأزهري ان أولئك العائبين عليك الدعوة لوحدة الوادي ، إن هم الا قوم لئام ، وسينكشف السحاب ويرون صادق حب مصر/ لوحدة السودان ، ووقوفها معه في النائبات بل وسيقف محبا السودان في الشدائد .

لما نزلت من الكنانة منزلا بين الكرام يحفه الاكرام
ووصلت بين الواديين بدعوة فيها وفاق بينهم ووئام ..
قام اللئام وأرجفوا في قولهم زعم الى هذا الزمان قيام
زادت عمايتهم وطاش صوابهم لا تنجلي عنها انها الأحلام
حتى اذا انبلج الصباح تبينت بددا كما تتبدد الاظلام
عابوا عليك هوى الكنانة بعدما قال الشداة ... مناقرة تمام
ومن الكنانة مقتها عار على متى أوصوا ... رام؟(٢)
كلا وحبك انها لحبيبة في النائبات تردنا وتسام

وهؤلاء الناعقون العائبون على الناس حب مصر الناظرون نظرة ... الى ابن السودان عند الشاعر يتخذون من مكان مكانة من الافريقيين ، ويرى الأديب عند الاحرار من دعوة الحب والصدق .

(١) سعد الدين فوزي ، من وادي عبقر ص ٧٥
(٢) مصطفى عوض الكريم ، ديوان الفجر ص ٥٦ وما بعدها .

يقول في هجاء أولئك القوم الخائنين على الناس حب مصر :

ثاروا الى زرق العيون وجمجموا   عينا ومن حول الهياكل حاموا

فكأنهم كفار مكة تبلغا تهشر   الهدى واستحكم الاسلام ...

حتى اذا وضح النهار وأبصروا   نور النبي ودكت الاصنام ..

جاءوا لأحمد نادمين عليهم سيما   الهوان وذله وانهـــــزام ...

عفوا كما يعفو الحليم وقال   قوموا هؤلاء صاحبين تقاتلوا (١)

واضح أن الشاعر يقصد بزرق العيون المستعمرين الانجليز وهو يسخر من أولئك الموالين الانجليز الداعين في ركابهم ويسخر منهم ومن كواهيتهم مصر ، ويراها قبلة الهداية فكأن أعداءها كفار قريش .

ومن الشعراء الذين اشتهروا بها بدرى في مصر والسودان حسين عثمان منصور صاحب ديوان الشاطئ الآخر وقد عمل مخلطا بالمعهد العلمي بأم درمان واشتهر بثورته الثائرة على المستعمرين وأعوانهم ، حتى اضطره لأن يهجر الوظيفة حتى لا تكون له قيدا يحول دونه وثورته الوثابة على الاستعمار ثم هاجر الى مصر ، وظل وجدانه الوطني ثائرا على كل مظاهر الظلم والاستبداد التي تبدو في حكام مصر الذين كان يراهم يناصرون المستعمرين ، لأن المستعمرين أنفسهم وأذيالهم في السودان .

وحسين عثمان منصور فيما أرى امتداد للثورة العربية الاسلامية في وادي النيل بل والوطن العربي الاسلامي بأثره وليس هو كما حسبه الدكتور محمد مصطفى هداره قريبا من شعراء الواقعية في الأدب السودانى مستندا في ذلك الى علل واهية مثل عدم اهتمامه بالشكل دون المضمون — ومثل عنايته بتبسيط العبارة ليفهمها الجمهور (٢) الى آخر ما هنالك من علل تبعد بهذا الشاعر عن منابع الأصالة ، وهي ذلك التيار الديني الاسلامي الذي ظل يرفد الشعراء في طـ...

الحقبة ليذودوا ويحرروا بلادهم التي يستعمرها مستعمر يحارب عقيدتهم والكاتب في سبيل دعمه لرأيه في اتجاه هذا الشاعر الواقعي فـــي ذهنه ، والذي يراه بواقعيته هذه يرى أنه يكاد يكون الصـــوت الوحيد الذي جهر بالعداء للاستعمار بعد ثورة ١٩٢٤ (١).

وحقيقة الامر أن حسبنا أحد هذه الأصوات الوطنية التي آثرت ثـــورة ١٩٢٤ — بإيمان وتنفست بانفعالات التي خلدها شهداء تلك الثـــورة وسنرى في هذا البحث ما يدل على صحة هذا الرأي.

والغريب أن هذا الباحث لا يكاد يستقر على رأي في هذه الظاهرة — فبينما يراه الصوت الوحيد المناصر لثورة ١٩٢٤ — يرى في مكـــان آخر من بحثه أن موقفه من هذه الثورة كان موقفا سلبيا لأنه كـــان يرى أسلوب النضال الثوري (٢) وكما قلت إن الشاعر حسين عثمان منصور أحد الشعراء الذين آمنوا إيمانا راسخا بأن في تعاضد وتآزر المسلمين في مصر والسودان ما يحقق انتصارهم وتحرير بلادهم من هذا الاستعمار ولا غرو فهو يجري على نفس النسق الذي جرى عليه أصحابه اذ اعتمدوا في دعوتهم الى تحرير وادي النيل على ما بين مصر والسودان مـــن روابط اللغة والدم — وفوق ذلك الايمان بالله وتوحيده وحده :

يقول في قصيدة له تحت عنوان مطلب سياسي :

أمل يرف ومطلب منشـــود	تنتابه بثباتنا محتـــود
أن يستقل النيل دون تحفظ	وتفك أغلال له وقيـــود
ويعود للسودان مجد مشرق..	وتعود مصر لأهلها ويعودوا
فيرى في الوادي لواء واحد	يعلو المناصر ظله الممـــدود

---

(١) محمد مصطفى هدارة — تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ص ٣٠٤

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٢

ونسير في التاريخ شعبا واحدا ... يمشي على هام الورى ويسود
كيف التفرق والروابط جمة ... الضاد ، والارحام والتوحيد (١)

وهذا شعر بلا مراء تتجلى فيه سمات الشعر العربي الاسلامي صياغة ومضمونا ولست أدري أين تلك البساطة في العبارة التي تقربه من شعراء الواقعية هنا ، ويبدو لي أن الدكتور عمارة أصدر حكما عاما فأن جنوح هذا الشاعر الى بعض الاوزان غير المطروقة بالشعر العربي أو جنوحه ... عبارته ، فما أحسب أن ذلك حكم ثابت لان يجعله أقرب لشعراء الواقعية بالمعنى وهو مسلم/لا يقف مواقف لا تتفق عليها العقيدة الاسلامية .

واذا نظرنا الى موقف هذا الشاعر من أحداث ثوره ١٩٢٤ التي رآه ... فيها د. عمارة سلبيا لا نلمس لهذه السلبية أثرا في شعره الذي نقتبسه عنها : يقول

وقف الجيش وقفة ليس تنسى ... وأعاد الوقوف عند اللقاء ..
ضحك الموت بين ساحة الجد ... ومنا طوحا للفداء ...
صائحا للايام صيحة زهو ... صائحا للرواء في الاعداء

الى ان يقول :

عاش أهل الجنوب اخوة مصر ... في الضحايا وعاش كل فدائي (٢)

وتمضي دعوة الشاعر الداعية الى تحرير وادي النيل على هذا النهج الاسلامي الذي يعلو فوق أرهاب العصبيات والقوميات فنراه ينقد منهج الشاعر أحمد شوقي في تغنيه بأمجاد الفراعنة ويعيب عليه ذلك بعد أن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويلح على ذلك كثيرا فيقول ، خلاصته (وحدة الامة العربية حاوية مستمدة ومنها جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول نحن لا نعرف غير مجد الادبية المسلمة على أساس العربية والاسلام الذين —

---

(١) الشاطئ الحزين ص ٢٢٣

(٢) المرجع نفسه .

تستوجبها المبادئ الاساسية يجب أن تقوم مساعداتنا وتعاوننا ، ولا تنظر للفترة التي سبقت رواد العروبة والاسلام الا نظرة تاريخية بحتة لا للفخر والعصبية كما يفعل أنصار الاحلام .

وعلى هذا ..... الذين يفخرون بلغتهم القومية وبحضارتهم يسخر منهم قائلا :

أيها الطارقون ميلا لقد أفسدتم الشعب من شباب ونشء

فما لذا جئتم به غير أسلوب لكم ساقطاً قذراً قمىء

ما عرفتم أعاجماً أنتم أم عرباً رزئتم والله أكبر رزء

ذهبت من روحكم نخوة العرب وراح الإسلام بأدنى ذي بوء (١)

ومن هذا المنطلق ..... جماعة أبولو ، لاعتقاده أن في أوساطها ركاكة وغثاثة ، وأنها لا تأبه بالعروبة والاسلام في كتاباتها حيث يقول :

لا مرحبا بكم يا أبولو ... قد بدأت بكم الفصحى تنسل ..

وبأن يقال ايجاز .... بات يقال اسهاب ممل .

.... قلبت حقيقة كل لفظ وأضحى الشعر لغزا لا يحل (٢)

والشاعر في هذا صادق الى حد كبير إذ كان ما نشر في تلك المجلة فيه كثير من الركاكة اذا ما قيس بما كان ينشر في الرسالة مثلا :

ومن لمساته في دفع أمة النيل لتحقيق وحدتها ، أنه يربط ذلك بالايمان الراسخ بالله ، واكباره وحده ، بل ويمضي الى أن كل ساجد لله وهو يذكر ..... سجوده غير الله مكبرا له فان فعله هذا فعل باطل لا يدني ولا يقرب من الله . يقول واصفا النيل :

بورك في النيل أرضه وسماؤه وجرى بالحياة والخصب ماؤه

نهرا هادئ تجانس فيه .... وانحنت له رقباؤه (٣)

وتمضي القصيدة على هذا النسق الجميل من تصوير الطبيعة الى أن يصل

---

(١) الشاطئ ص ٤٥

(٢) نفسه ص ٧٤

(٣) الشاطئ الصغرى ص ٢٦٣

الى حث الناس على الكفاح فى صدق ، ناهيا عن الكذب فيقول :

فاذب كل ساجد يذكر الله وله ... كلامه وابتهالاته ....
سوط هذه الصلاة أن يكبر الله ... فالا تعددت أسماؤه ......(١)

وهو يعنى بالاسماء هنا تعالى الله أن يكون له نظائر يكبرون كما كبر وادى النيل ليس وانه إن لم يكن ذلك الوطن الذى تحقق فوق ترابه قيمه الإسلامية القديمة تلك القيم التى أرسى دعائمها العرب المسلمون الأوائل .

وطن عليه مسحة عربية ... وعلى ثراه تلبث الخلصاء
وهو جنتى وذو النعيم متاعنا ... ان حققت مثلى به واخاء(٢)

وهو شبيه بزملائه العباسى والتجانى وعبد الله عبد الرحمن فى الدعوة لبناء الفكر العربى الاسلامى الذى على أركانه تقوم العروبة فتراه يطرب عندما يرى ملامح الادب العربى فى السودان أخذت تبشر ببعثها الجديد بل انه ليتوق الى ذلك اليوم الذى يرى فيه الادباء فى بلاده يتجمعون للبحث الادبى الحر ليلحقوا بركب الأمم الأخرى — كما قام مجد على من سلف .

يقول :

مشى القطر فى ثورة فخيل تراقصت .... حواليه أشباح الوثاقة والهزر
كخسرو ينانى النزع ذاب شجاعه .... يمر بصيد الوحدات من الدهر

الى أن يقول :

فهل يو كل السودان طلاب شهرة .... ويبدأ فى التجميع للباحث الحر
رجائى قوى فى خاطر نفسه ...... تفتق عن افكار أمم العصر(٣)

---

(١) الشاطئ الصخرى ص ٢١٢
(٢) نفسه ص ٢٥
(٣) نفسه ص ٢٢٣

ثم يمضى الشاعر هويا هجاء على المستعمرين ومن يوازرونهم ، فى تفريق كلمة الشعب المسلم الواحد الذى اختلفت الوان جسومه فاستغلوا ذلك لتحقيق مآربهم الفاسدة .

زعموا أن موئلا الشعب شعبين	لأعوانهم برأى هــــــراء
فاستغلوا اختلاف لون وزى	مزجا قبل ذاك دون عنـــاء
ذكروا كل ما رأوه دليـــلا	ونسوا حبنا وحسن الاخــاء
ونسوا الدين واللسان ومـاداً	ودماء ممزوجة بدمـــــــاء

والشاعر فى هذه القصيدة يوجه الحديث الى شباب وادى النيــل يذكرهم بأعداء وطنهم وأعداء وحدة أمتهم ، ومن ثم فهو يذكر هولاء الشباب بأن ما بلغته أمتهم فى وادى النيل ليس شئ ذى قيمة ، ويلفت انظارهـم الى ما يجرى فى جنوب وادى النيل ولعله يقصد ما يجرى فى جنــوب السودان من حصب لنشر الإسلام هناك يقـول :

يابنى النيل من على النيل وصعيد	ومن الريف ذى الروا والرواء ....
ليس هذا الذى بلغناه شيئـــا	أو حياة تليق بالاحيـــــاء ....
كل حق مقيـد بشروط	فى عنوان نيـه الحلفـــاء ....
انظروا للجنوب فالامر فيــــــه	واضح قاطع لجاج المــــراء ...
أفسد الامر كله الطرف الثالث	جهرا ومعنا فى الخفــــاء ..
لست أرضى بخداع نفسى قيمه	أو خداع الراقى وغير الراقى ...(١)

وتمضى دعوته لإقامة وحدة وادى النيل والى ثورة إسلامية تقلب الاوضاع الفاسدة ، وتبعث الأمة بقائد مسلم يقيم أساسها على الدين والأخلاق ويكون ذا بصيرة واعيـة وعين ثاقبة يراقب تطور العالم وما وصل اليـه

---

(١) الشاطئ الصخرى - ص ٢٢٨

ليدرب الشباب المراد تدريبا عسكريا ، يمكنه من الانتصار ، فلابد أن يأتى يوم تدير فيه الحرب رحاها ، ولا سبيل الى نصرة شباب مصر المسلم إلا بمثل ذلك القائد يقول ناقدا أساليب الحكم التى كانت سائدة فى مصر :

فقد غاص أهل الحكم فى شهواتهم … فقد أظهروا عجزا وطغوا تجبرا

نريد انقلابا شاملا كل مظهر … تقيم به حكما لنهضتها أحرى

نريد انقلابا وانبعاثا وقائدا … يسود به الرأى التى سادت الصحرا

وبلاد ور العلم يبدأ دربها … برامجه لا تعرف الحشو المزورا

فلابد ينهض العلم من عسكرية … تمارسها حقا وتقرأها سطرا

ولا بد من يوم يثور عجاجه … وتخرج مصر من عجاجته مصرا

مسودة فى العالمين بقوة … تقود بها الدنيا وتحكمها دهرا (١)

والشاعر يدرك أن هذا المجد الذى يطلبه لأمته فى وادى النيل بأسره لن تتهيأ له أسباب النجاح ، الا على أساس علم يمهد لحرية الكلمة التى تبنى الامة ومعلوم أن هذه دعائم بناء الامة ، وهى الشورى حين دعا الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليشاور أصحابه فى الرأى والشاعر هنا يرى أن علما لا تسنده الشورى ، أشبه بالجهل يقول مخاطبا صاحبيه :

يا صاحبى أقصرا أو أطيلا … صار الكلام عندى ثقيلا

أن تريدا لى السلامة انسو … أجدت الموت سائغا مقبولا

أو تريدا لما تقولان جدا … ينفع العلم وحده والعقولا

فهراء تلك العقول اذا لم … يكن الشعب طالكا أن يقولا

أعطيانى كرامة وبلادا … وخذا العلم وادعونى جهولا (٢)

---

(١) الشاطئ ص ٢٠٣

(٢) نفسه ص ٢٢٢

مصر فى شعر محمد سعيد العباسى

لقد حظيت مصر بأوفى نصيب من شعر العباسى فما برح الشاعر يتغنى بأفضالها وأياديها البيضاء عليه وعلى الشعب السودانى بأسره كما تحدث عن تلك الأواصر القوية التى تربط بلاده بمصر وفضح الدسائس المستعمرين التى كانوا يحيكونها ليفرقوا بين شعبى وادى النيل ، ومع هذا الموقع الممتاز الذى تحتله مصر من قلب العباسى فإن الدارس لشعره لا يكاد يجد فارقا جوهريا بين احساسه ومشاعره الطيبه نحو مصر ، واحساسه ومشاعره الطيبة نحو أمتيه العربية المسلمة بأسرها ، فقد كانت مصر رائدة الجهاد ضد الاستعمار فى ذلك الزمان ، وكانت قبلة المسلمين السياسية تناط بها الآمال لقيادة المسلمين لتحرير بلادهم من ظلم المستعمرين ، ومن ثم جعل منها العباسى رمزا ومدخلا لإحياء الشعور الوطنى فى كل البلاد المسلمة .

وقد تعددت مرامى شعره فى مصر ، غير ان هناك ثلاثة مظاهر تبدو واضحة للناظر فى ديوانه .

المظهر الأول حرص العباسى على إقامة دولة فى وادى النيل تكون نواة لاتحاد العرب بأجمعهم ـ وما برح يدافع عن هذه الوحدة متيقظا لكل ماينسجه أعداؤها من خيوط المكر ، حاثا شعب وادى النيل وقادته للأخذ بكل سبب يقوى من وحدتهم هذه لافتا أنظارهم للأخذ بكل اسباب التقدم العلمى الذى يمكن ان يدفع بهم الى مدارج الرقى العلمى اما المظهر الثانى ـ فهو إحساس الشاعر بأن هذه الوحدة لن تتحقق الا اذا عنى الناس بروابط الدين واللغة والاستفادة من كل التراث الحضارى الذى يجمع بين هذين الشعبين .

وهو بذلك يدعو لإقامة وحدة على نهج عربى إسلامى ـ أهم دعائمه الايمان بالله ، واعداد العدة لمواجهة العدو الذى يتربص بهم

وبأمتهم العربية الاسلامية .

والمظهر الثالث ــ هو حب العباسي لمصر ، وكان مبعث ذلك الحب وفاء العباسي لأيامه التي قضاها بمصر ، وما لقيه فيها من حفاوة وجدها من أصدقائه ، وأساتذته في المعهد الذي كان يدرس فيه العلوم العسكرية . ويؤكد هذا الحب اعتقاد العباسي الراسخ ، بأن مصر هي رائدة الكفاح ضد المستعمرين ، وأن مؤازرتها في السعي أمر تفرضه عليه عقيدته الاسلامية ، التي ترى في الوحدة والاعتصام بحبل الله أول علامات الظفر السياسي .

ولا ريب أن هذه الأغراض الثلاثة ليست كل ما حواه شعر العباسي في مصر ، فقد تناول جوانب أخرى .

ولعله من المفيد أن أبدي ملاحظة على تعليق للباحث المصري الدكتور شوقي ضيف ، بدت لي من خلال قراءتي لما كتبه عن الشعر السوداني عقب ثورة ١٩٢٤ ــ وهي الفترة التي اشتعلت فيها الحماسة الوطنية ضد المستعمرين ، وأبدى السودانيون ما أبدوه من تأييد لمصر ، وكان الشعر هو الصوت الجهير المعبر من تلك النزعات ، يقول الاستاذ الباحث عن الشعراء السودانيين في هذه الفترة (انهم عاطفيون يغلب عليهم الانفعال السريع بين الشئ ونقيضه)(١)

استوقفتني هذه العبارة ، وانا أنظر في شعر العباسي وهو أحد شعراء هذه الحقبة ، فلم أجد لما يشير اليه الباحث من غلبة الانفعال السريع بين الشئ ونقيضه بل أحسست أن العباسي كان ذا وجهة نظر سياسية

---

(١) عبده بدوي ص ٥٤٥

ظل ملتزما بها طوال حياته ولم يرد فى ديوانه ما يخاير ايمانه بوحدة وادى النيل ، والدعوة الى تجميع صفوف المسلمين ، والدفاع عن فكرهم الاسلامى ، وواضح أن الباحث يطلق هنا حكما عاما دون ان يورد له من الدلائل ما يسنده وفيما يلى فى العرض التالى للموضوعات الثلاثـــــه البارزة فى شعر العباسى أثبت ثباته على نهج فكرى واحد ، رغــــم تغيير الظروف السياسية من حوله .

أولا ـــ وحدة وادى النيـــل

ان فكرة وحدة وادى النيل فى أبسط تعريفها هى الدعوة لإقامـــة دولة سياسية واحدة تجمع بين شعبى مصر والسودان ، وكان أنصارهـا هم الغالبيـة العظمـى من السودانيين ، وأهم ما يميزهم تعاطفهم مـع مصر لإقامـة دولة وادى النيل ، ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف ـــ الإستعانه بالموروث الثقافى ـــ العربى الاسلامى الذى يجمع بين القطرين ويساعدهما على الصمود أمام بطش المستعمرين ولقد ظهرت هذه المعانى فى شعر العباسى جلية واضحة :

فهو يرى مصر رائدة الكفاح فى وادى النيل ، بل والعالم العربى الاسلامى بأسره والناس فى نظرهم لمصر عنده أما ذو بصيرة ـــ يرى ما لمصر مـن أفضال وما فيها من حسن يبهر كل ذى نفس سوية ، وأما ذو بصيرة لا ترى فهو يسوق الظنون فى مصر كذبا .

يقـــول :

كذب الذى ظن الظنون فزفها   للناس عن مصر حديثا يفـــترى

والناس فيك اثنان شخص قد رأى   حسنا فهام به وآخر لا يرى .(١)

(١) ديوان العباسى ص ٢٩

والعباسي يوسع دائرة هذه المعاني فيحذر كل مسلم يركن الى المستعمرين ويمحض صديقا له النصح رأى فيه ميلا للمستعمرين ، واطمئنانا الى سحرهم الغادر ، فنبهه الا يكون مطية للخادعين ، وليحذر تلك الزمرة من بطانته التي تزين له الباطل ، وتحسن له هؤلاء المستعمرين انهم في نظر العباسي ليسوا أصدقاء ولكنهم حشد من الناس حشدوا لامر خطير دبر لمكيدة الوطن ، انه من الخير له أن يرجع ويتعظ .

ولا يركن لخير عند هؤلاء المستعمرين الذين يفرقون شمل المسلمين ولو تدبر هذا الصديق نوائب الدهر وأحواله لوجد فيها ما وجد من العظات (١) .

يقول له :

فاربأ بنفسك أن تكون مطية ...... للخادعين وللسياسة معبرا ......

وحذار من رسل القطيعة انهم ...... رهط قد انتظموا ببابك عسكرا ......

ما ساقهم حب اليك وانما ...... حشروا وجيء بهم لامر دبرا ......

ولأن تبيت على الطوى وتظله ...... وتضم شمل المسلمين وتنصرا ......

خير ففي التاريخ ان تلبثته ...... عظة لذي نظر وعى وتدبرا ......(٢)

ويدعو هذا الزعيم لأن يأخذ العظات والعبر ، من مصير الزعماء الذين غرهم بريق الانجليز الخلب .

فهذا هو الملك الحسين — وهو من عترة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لم يعصمه هذا النسب الرفيع من غدر المستعمرين فما لبثوا أن سلبوه كل ما أعطوه من ملك ، حين تيقنوا أنه لن يمضي معهم الى نهاية ما يريدونه من أرب

---

(١) ولعله يعني بهذا الصديق السيد عبد الرحمن المهدي الذي كانت تجمعه به صلات ود

(٢) ديوان العباسي ص ٢٠

الا ما أحوج زعماء هذا الشرق الإسلامي الى يقظة ، تجعلهم يحثون الخطا بأممهم ليلحقوا بركب العلا ، ما أحوجهم لأن يدركوا أن السعادة ليست فوق القصور الشامخات وما تحويها من لذائذ الحياة الحسية ، يذكر الشاعر ، صديقه ، الزعيم الديني بهذه الحقائق ، عساها أن تكون له ذكرى ، وعظة ، وهو يثق بهؤلاء الانجليز .

انظر الى الملك الحسين فانه ... من عترة هي خير من وطئ الثرى .
منحوه تاجا ثم لم يوفوا به ... ذهبا فصاغوه لديه جوهرا ..
عجموه فاستعصى فلما استيأسوا ... نزعوه من فوديه نزعا منكرا ..
ويح لهذا الشرق نام بنوه عن ... طلب العلا وتأخروا فتأخرا ..
ظنوا السعادة وهي أسمى غاية ... تدرا بشاد وزة أو مظهرا .(١)

ويتجه العباسي في مساندة وحدة وادي النيل في اتجاهات شتى ، منها لفت نظر السودانيين الى خداع السياسة وما فيها من تقلبات يجب الا تصرفهم عن هدفهم الحقيقي وهو وحدة وادي النيل ، انها كلمعون بوارق لا يروقنه بريقه وهي سلاح يسلطه الأقوياء لإضعاف وإذلال الضعفاء ، وإن هي خانت ، فإن ميثاق وادي النيل ، لا يخون ولا يضيق ذرعا بأبنائه ، فليعتصم به أبناؤه .

يقول ، مخاطبا قومه ، محذرا من تقلبات السياسة :

فاستبيقوا العقل عن كنهها وسلوا عن طعمها ذلك الشعب الذي ذاقا
لو لم يكن بغمس ماء لجئت لكم بحسة كانبثاق الفجر إشراقا (٢)
ان السياسة في شتى طرائقها طوائف لونها الزاهي وما شاقا

---

(١) ديوان العباسي ص ٣١
(٢) نفسه ص ٩١

باتت سلاحا لدى الأقوى فأحكمها ... وبتا تشد به الضعفى وأغلاقا
أنا بنو النيل لا نرضى به بدلا ... فما جفانا ولا يوما بنا ضاقا (١)

وللعباسي أسلوب آخر في دعم وحدة وادي النيل هو دعوته الى توطيد أركان البيان العربي الذي يراه أحد الدعائم — لذا يدعو أبناء مصر الى العناية بالعربية ونشرها في ربوع السودان فما كالبيان سلاح أمضى في رد كيد المستعمرين الذين رموا البلاد بشر دواهيه وان سدنة الاستعمار في السودان لا يردون له طلبا في اضعاف هذه اللغة.

يقول مخاطبا بني مصر:

بني مصر حياكم ذو الجلال ... بعرف تحياته الزاكية
وأسدى بإحسانه عندما ... لكم كل صالحة باقية
بكم غدت اليوم أم اللغات ... كحسناء في حلل ضافية

الى ان يقول:

فما كالبيان الى أمة ... غدت عن مصيرها لاهية
رماها الزمان كما تعلمون ... في شر أوضاعه القاسية
يراح ويغدى بنا مثلما ... يساق القطيع من الماشية
وسادتنا قد أبادوا نعيم ... وما أنكروا غير لا النافية (٢)

ويدفع الشاعر كل الحجج الواهية التي يسوقها خصوم وحدة وادي النيل، فإن مصر يد تحمي وتبني، على حين أن الانجليز يهدمون تيم البلاد وينهبون خيرها — فلا سبيل الى أن نفضل من يهدم على من

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢
(٢) نفسه ٧٨

يبنى ، وأن مصر هى البناء ، وهى الأم الرؤوم الموشح الحانية يقول فى هذه المعانى

فكم قد أثاروا لنا من شرور ... بنوها على أسس واهيه
ومن خدعته غواشى المنى ... تسود به عين شقا داويه
وما خط فى اللوح لوح الغيوب ... فليس له من يد ماحيه
وكيف التفاضل بين أثنتين ... قوى هدمت وقوى بانيه
فمصر هى البسوم الرحماء ... لنا وهى المرضع الحانية (١)

وفى قصيدته أسمعينا حنان .

يدعو قومه ليجدوا فى سعيهم حتى يلحقوا بركب إخوتهم فى مصر فلقد باعدت بينهم أيدى الزمان ، وعاقتهم عن السرى ما عاق . فليستيقظوا من نومهم . هذا .

أيها النائمون هبّوا فقد فاتت ... فوزة بالأمس كنتم رفاقه
سهروا الليالى مدلجين الى أن ... نبهوا من ساجى الدجى أحداقه
باعدت بيننا الخطايا وعاق ... العزم منا حين السرى ما عاقه
فوردنا هذا السراب وعدنا ... بالأمانى من هوان وفاقه (٢)

وفى صوت قوى وحماسى يدعوهم أن يوثقوا صلاتهم بمصر والا يفكروا فى قطع العلائق بها ، ويضرب لهم مثلا حيا حين يحذرهم من هذه القطيعة فأن قطع الصلات بمصر يؤذى الامة كقطع الوتين ، ومن ثم عليهم أن يصلوا حبال ودها ، وأن يعرضوا النظر عن هذه الثقافة الغربية وما فيها من بريق كاذب .

وعليهم الا ينسوا ، ولا يجهلوا مطامع الغرب فيهم والا ينسوا ما عانته امتهم من رهق وعنت على أيدى هؤلاء المستعمرين ، والشاعر يؤكد لهم أنه عالم بخفايا هؤلاء المستعمرين ، فكم شقى بهم وبمكرهم . يقول فى هذا المعنى :

---

(١) المصدر السابق نفسه ٨٠ .
(٢) نفسه ص ٨٤ . وما يليها .

ما كفاكم الوهن في وهن منه … أن تناجوا بمصر العلاقـــه
وهي رمز التحرر فاسمعوا … ان في السعي نبله وطاقتـه
وانبذوا هذه التي زينها الغرب … لكم من حضارة براقــه
فالبقاء الأسير والزهو والمود … الموشى ، وماله والأناقــه
هل نسيتم مطامع الغرب فيكم … أم جهلتم يا قومنـا ارهاقـه
أنا أدرى بحالهم من كثير … أعرف الناس بالهوى مـن ذاقه (١)

ان العباسي مدرك لما يحاك حوله من دسائس تستهدف وحـدة وادي النيل ، لذا ، نراه مرة ينصح قومه ويحذرهم ، من الانسياق وراء الأصوات الداعية لقطع العلاقة بمصر ، ويبين لهم شرور ذلـك كما رأينا .

ومرة اخرى يتجه الى مصر نفسها ، ناصحا ومحذرا لها من الانخداع بدعوات أولئك الخادعين ، فعليها الا تهمل أمر السودان هذا ، ـ ويستنجد لمصر والسودان في تآلفهما وتلازمهما صورة الحسناء وقرطيها ، وعلى هذه الحسناء الا تغفل عن ذلك القرط فينزع منها ـ وهو السودان بل عليها ان تهب مسرعة في طريق التحرر ، فأن آذان الزمان مازالت ترنو منها وتصغو الى صرخة قوية مدوية ، تشد بها قلوب الأعـداء الواجفة وتنزع ، وتروى بها نفوس الأحرار الظامئة الصادية الى التحرر والانعتاق ، فعلى مصر الا تتقل عن هاما حتى لا يدخل ذلك المستعمر بأيديه الملطخة بدماء الأحرار فيتلاعب بها ويعبث بمصيره ، وحتى لا يدخل ذلك الدعي مع هؤلاء المستعمرين من بطاناتهم وسدنتهم من رضي لنفسه أن يكـون صديقا ووفيا لأعدائك يامصـر .

يقـرر العباسي في هذه المعاني ، مكنيا مصر بطارية ، والسودان بالقرط

يا جار سيرى ولا تخدعى ..... فيجزع القرط يا جاريـــــه .....

ومن كان يسمع الزمــــان ..... رنوا الى صرخـــه داويه .....

تشد بها واجفات القلوب ..... وتروى بها المهج الظامئـه .....(١)

ويا بنت ذى الطول لا يدخلن ..... حمى الأمن رب اليد الداميه ...

ومن وطنت نفسه أن يكون ..... مضيعـــا لناعيك أو داعيـه (٢)..

ثانيـا ـ الدين واللغة

لقد ارتبطت فكرة وحدة وادى النيل فى ذهن العباسى برباط ـ الإسلام ـ الذى يجب أن تقوم وحدة وادى النيل على أساس منهجه دون اعتبار لبعد الدار أو نظرة لتباين الأنساب ، وان هذا المنهج لا تتم له السيادة الا بالاهتمام بأمر البيان العربى ، لإدراك العباسى أن المستعمرين حين وجهوا حربهم الشعواء ضد العربية ، كان يعلمون أنها لسان الله عز وجل ، وأن السبيل لإضعاف المسلمين هو حجب هذا اللسان عن عقولهم وأفئدتهم ، حتى تضعف نفوسهم ، ويسهـــل استرقاقهم واذلالهم .

ومن ثم كانت الدعوة للعناية بالبيان العربى والتمسك بروابطه الفكرى من أهم ما عنى به العباسى فى حديثه عن مصر "

فأن ذكر إبناء وادى النيل بضرورة قرع أبواب الله فى الجهاد قرعـــا متتابعا كتوالى دقات الساعة ، غير خائفين من قلة عددهم ، وبســط ذلك بأنه يكفيه من الروابط ـ الدين وهو العروة الوثقى والضاد أى ، اللغة وهذا النيل المبارك الذى أجراه الله بها رحمة لهذه الأمـة .

يقـول ، مخاطبا أبناء وادى النيل :

واجعلوا من صوائح قرع بابه ..... الله قرعا كالساعة الداقـــــه

(١) الديوان ص ٨٤ (٢) ويعنى بواجفات القلوب ، القلوب الخائفه .

(٣) الديوان ص ٧٩

لا تقولوا أنا قليل ولا وسع   عزم الرجال وسع طاقته ...

وكفانا بالدين عروتنا الوثقى   وبالضاد لحمة وصداقته ...

وبهذا النيل المبارك والنيل   جميل من يده الله ساقه ... (١)

ويلفت العباسى أنظار أبناء وادى النيل ، الى ما كان عليه أسلافهم المسلمون ، من عزم أظهر الله به هذا الدين رغم تطاول الشرك وامتداد طغيانه ، لقد كان الزمان عنيدا وطاغيا ، غير أنهم لم يخضعوا لجبروته ، بل أروه من بأسهم ما جعله يفيق من طغيانه فينقاد الى عزمهم القوى هذا حتى أنار بهدى الله تعالى البسيطة كلها ،

ويدعو الشاعر أبناء وادى النيل ليمشوا على هدى أولئك الرجال ، — مديا حثيثا ، ليثيروا لهذا الشعب فى وادى النيل آفاقه ليلحق بركب التطور العلمى والحضارى ،الذى ينبغى أن يصل اليه فى زمانه .

يقول العباسى فى تصوير هذه المعانى الإسلامية السامية :

وقديما قد أظهر الله هذا الدين والشرك قد أطال رواقه

برجال كان الزمان عنيدا   فأروه من بأسهم ما أفاقه

وأناروا به البسيطة ، دع عمرا   دع الشام حصنه وعراقه

فتمشوا على هداهم سراعا   وأثيروا لشعبكم آفاقه (٢)

ويشير العباسى الى أخوة آصرة الدين ، واللغة ، وهى عنده كافية لتواشج أواصر المحبة بين شطرى الوادى ولا يعنى بعدها باقتراب دار — او صلة رحم ،اذ أن الدين يجعل الصلة الوثقى هى صلة العقيدة وهو فى هذا الصدد يثنى على جهد أستاذه عثمان الزناتى الذى علمه العربية بمصر يقول عنه ، ومن المصريين عموما مقدما أياديهم عليه

---

(١) الديوان ص ٨٥

(٢) الديوان ص ٨٥

عندى لكم يد فضل لست أجحدها … يد الزناتى مولى العلم والحسب
سريت فى ذوقه حينا بقوم مــــن … عـودى ويفسح لى من صدره الرحب
وحرمة الديـن والآداب جامعـة … ولا أعتبار لبعد الدار والحسـب(١)

لقد ألح العباسى فى ذوده عن فكرة وحدة وادى النيل على أهميـة أخوة الدين واللغة ، فى بناء هذه الوحدة فكلما حث شعبى مصر ــ والسودان على الاتحاد ، دعاهما الى تمكين وتوثيق ما بينهما مــــن صلات ، جميعـة أوثقها وأقواها ، حبل الدين الذى لا انفصام لـــه والفصحى ، وهى لسان هذا الدين .

ثم يشير الى هذه النعمة التى حبا الله بها هذين الشعبين ، فأجراها سلسبيلا عذبا ، نقرأ له فى قصيدته ذكرى حافظ ابراهيم هــذه الاستمالة بالأخوة المصريين ، ولا غرو أن يستعين بهم فانه يذكر لهـــم بأن له عليهم حقا ذلك الحق مبعثه هذا الإخاء وتلك الصلات وأقويها أن لنا بالدين والفصحى ائتلافا ضم هذين الشعبين منذ آماد طويلـــة ، وقرون عديدة قد خلت ، شهد هذا النيل المبارك أمجادها ، وما يـــزال كوثره العذب يفيض معينا سائغا ليدعم علينا بالهناءة .

يقـول العباسى فى هذه المعانـى :

أعيدونا فنحن بنو أبيكـــم … لنا حق ونحن الأقربونـــا .....
لنا بالدين والفصحى ائتلاف … وثيق ضم شعبينا قرونـــا .....
ونيل فاض كوثره فأجـــرى … بواديـــه الحياة لنا معينا ....

ويواصل حديثه اليهم لبذل المزيد من العون الثقافى الذى يجـــوز بالسودان هذه المفاوز ، وإننا فى السودان لذوى عزم وثقـة باللـــه

---

(١) الديوان ص ١٦٨ وما بعدها .

ستطلب بهما فتح كل المغاليق حتى يتم لنا النصر والفتح المبين ، فى هذا المعنى يقول مخاطبا المصريين :

أغذوا السير وادلجوا فـإنى أرى حمد السرى للمد لجينا (١)
وهبوا من سباتكم وجوزوا بنا هذى المفاوز أودعونا
لنا عزم ، وعند الله باب ستطلب منهما الفتح المبينا (٢)

وواضح أن الشاعر يشير بالمفاوز الى المهالك التى يجرها المستعمرون بفصل مصر عن السودان .

ومع ذلك فإن عزم الشاعر لا يعرف الونى ، فإن أمته ستطلب الفتح المبين ، بعزمها ، ويقينها بأن الله سيفتح لها أبواب النصر والى مثل هذه الأخوة العربية الكبرى التى تربط بين هذين الشعبين يشير الشاعر الى عون السودان لمصر فى وقعة التل الكبير ، بقيادة عرابى حين استشهد ذلك الجيش كله ..

سودانا منكم والحرب أمتنا ان ومنه كان فى اللأواء خير حمى
وانت أدرى بما لاقوا فقد حمدوا حمدا وما زحزحوا عن موقف قدما (٣)

وفى هذا المعنى يرى الشاعر أن نصر الجيش المصرى فى معركته يعتبر نصرا للأمة العربية المسلمة بأسرها تهتز وتطرب له بلادهم بأسرها ، ويخص بالذكر ، مكة المكرمة والمدينة المنورة لما فيهما من رمز إسلامى لا يخفى يقول عن ذلك النصر

فكان للشرق نورا يستضاء به فى الحادثات ومأمولا ومعتصما
وحرك العرب فى أقصى جزيرتهم ومز طيبتها الزهراء والحرما (٤)

---

(١) أغذوا السير ، المراد بذلك التعبير أسرعوا
(٢) الديوان ١٧٠
(٣) الديوان ١٧٩
(٤) الديوان ١٧٦

ثالثا حبه ـ مصر .

لقد أحبها حبا عميقا تجلى فى حنينه اليها وتغنيه بأفضالها وجمالها ووفائه لأيامه بها ـ أحب فى مصر سعيها الجاد لإحياء وحماية التراث العربى الإسلامى ـ بنشرها علوم العربية والشريعة الإسلامية كما أكبر فيها دفاعها عن السودان ومجابهتها المستعمرين ومصر فى شعر العباسى إشعاع فكرى وموئل للعلم والعلماء ، وحمى يلوذ به طلاب العلم وعشاق الحرية ـ وهى معشوقته التى يحن اليها مشتاقا وكأنه يحن لبلد الله الحرام الى مكة والمدينة يقول :

ياحبذا واد نزلت وحبذا	ابداع من ذرأ الوجود ومن برا (١)
مصر وما مصر سوى الشمس التى	بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما	أسعى لطيبة أو الى أم القرى
وبقيت مأخوذا وقيد ناظرى	هذا الجمال تلفتا وتحسرا (٢)

ويقول عن مصر ومعهدها ذاكرا بالعرفان جميل المعهد وأساتذته

ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد	كم من يد عندى له لن تكفرا
دار درجت على ثراها يافعا	ولبست من برد الشباب الأنضرا ..
يادار أين بنوك اخوانى الألى	رفعوا لواءك دارعين وحسرا
زانوا الكتائب فاتحين وبعضهم	بالسيف ما فتحوا فزانوا المنبرا

الى أن يقول :

انى لأذكرهم فيبعثنى الأسى	ومن الحبيب الى أن أتذكرا
لم انس أيامى بهم وقد انقضت	وكأنها والله أحلام الكرى (٣)

---

(١) والمحل العباسى دار بخلده وهو يصوغ هذا البيت قول أبى الطيب
ياحبذا المتحملون وحبذا ـ واد لثمت به الغزالة كاعبا

(٢) ديوان العباسى ٢٧

(٣) نفس المرجع ٢٨

وكما قد أشرت ، فان حنينه لمصر وحبه لها مرتبطا بما حفلت به مصر من نشاط أدبي وازدهار فكرى ، يهواه كل أديب الى جانب كفاحهما السياسى من أجل التحرر ، يقول :

آه لو كان لى بساط من الريح أوافيه أو قوادم نسر ...
فأطير نحو مصر اشتياقا انها للأديب أحسن مصر ...
حيث روض النهى ومجتمع الأحلام ودر السرور للمستدر ...... (١)

وتروقه في مصر خضرتها ونضرتها ونسيمها العليل وبلابلها الصداحة إنها بلاد تُحبّ وتهوى — تهفو نحوها كل نفس فتجد فيها من الحسن ما تشتهى ، ويهفو نحو حسنها كل فكر .

يقول :

مل الى مصر وجنة وبها شرخ شباب غض وزهرة عمر ....
وليال قد أشرقت في رباها كلها في الأقدار ليلة قدر ....
ومكان كأن كل نسيم ناشر في أرجائه طيب نشر ...
يبهر العين منه مرأى أنيق من مروج قيد النواظر خضر ..

الى أن يقول :

فاذا ما غنت بلابله قلت كرام أصنافهم حول مجر
بقعة ما كلفت نحوى كل نفس فيها نحو حسنها كل فكر ... (٢)

والشاعر مولع بمصر محب بأهلها — لا يجد مبررا أن يروى هذا الحب ويستره أن ستر وروى غيره من الأحباب ، هواهم لها وتختتم قصيدته بدعاء لمصر ، بأن تعود كما كانت مشرقة بعلومها وآدابها ولا غرو أن تعود فإن الهلال يعود بعد ان كان مستترا .

---

(١) الديوان ص ٤٩

(٢) نفس الصفحة

يقول مصورا هذه المعاني :

لو حبب أشدو بكم غير ملوم — وعقد لم يبله طول الدهر

ان يهوى عندكم أناس فما من — مذهب الحب والوفا أن أهوى

لو يكون الخيار حقا لما — اخترت نزوحا عنكم ولا تبديل خبر

غير أن الأقدار تقضي — وما للعبد به من مفر

رب قدر لمصر فاق الحسبان — وهيئ لمصر اصلاح أمر

أنت قدرت المواهب شتى — لهلال الدجنة المستتر

غاب حينا ثم عاد غير ذميم — واكتسى في تخطاره ثوب بدر (١)

ومن قصائده التي يتجلى فيها حب مصر لأنها موئل الأدب/والأدباء (٢) قوله :

رعى الله مصر نعم للأديب — حبيبا ثم من عيشة راضية

وأحبب بأيامها الزاهيات — على ما بها وعلى ما بيه

قضيناها في غفلات الشباب — بأحلى مذاق من العافية

تولت سراعا فيا ليتها — تعود لنا مرة ثانية

فيا قبلة الخير لا تبعدي — وعيشي زاهرة زاهية (٣)

وأبناء مصر هم أبناؤه وأصفياؤه يكبر فيهم حملهم لواء نشر العلم وعنايتهم بالبناء الحربي حتى علا شأنه فصار علوا واشراقا ، وكالبدر

---

(١) الديوان ص ٥٦

(٢) ولعله يشير لقول الشاعر : ان الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن يكون بدرا كاملا .

(٣) الديوان ص ٧٤

عبيرا يحيق به الورود ، ويدعوهم لمزيد من نشر هذا البيان فما من شئ نافع كالبيان ، يرفع من شأن امة غدت تطهر ، عن مستقبلها تنفيه من العظات ما فيه ، يتحول العباسي مخاطبا علماء مصر ، الذين نشروا العلم بمصر وسائر بلاد المسلمين ، في الشرق والغرب .

حللتم بمصر وبالمشرقين ..	وآلة آدابها العاليه ......
أجل وشاو ثم ننعم بسحر البيان .	عباقرة الأعصر الخاليه ....
بيان هو البدر في تمه	يشق حشا الليلة الداجيه ....
وكالورد يجيز مطلوله	أو المسك أو جونة الغاليه ....
بلونا الكرام فكانوا البناء	وكنتم له حجر الزاويه ...
أزيلوا قد يحكم وحشتي	بمحكمة للنهى شافيه ...
فما كالبيان الى أمة	غدت عن منثورها لاهيه ..(١)

والأبيات كما نرى صورت البيان العربي تصويرا رائعا فهو البدر في ابن تمامه طلوا واشراقا يبدد هذا البيان الجميل كما يبدد ... البدر ظلمات الليلة الحالكة ،

وهو كالورد والمسك أريجا وكالوبريق السلسل مذاقا وان روائعه المحكمات تروي ما في النفوس من شجن وألم ولا شئ يعدله في وقفة أمة — أضر بها إهمالها وسلوها واشتغالها بشتى ضروب اللهو — عن مستقبلها وبنائه .

وفي ختام القصيدة يثني الشاعر على أستاذه الذي علمه العربية وآدابها حثا عليه وأشاد به بين أقرانه ويتمنى الشاعر أن لو أعاره — استاذه بيانه العذب ليجري به عما يجيش بخواطره بقوافي متلاحقات تتبع بعضها بعضا وان ارضى إستاذه بهذه فهو جد مسرور .

---

(١) الديوان ص ٧٦

يقـــول :

فيا رحمة الله حلى بمصـر ... ضريح الزناتى عثمانيـــــــه

غذانى بآدابه يافعـــــــا ... وقد شاد بى دون أترابيـــه

ويا شيبة الحمد ان القريض ... أعجز ذوقى وأعيانيـــــــه

أعرنى بيانك أسمع به الأصم ... وأنطق بــه الراغيــــــــه

تبارى الرفاق كخيل الرهان ... ذى سابقات وذى تاليـــــه

ولست أبالى متى راتمـــــم ... أكان لغيرى اللوا أم ليــــه (١)

ومن ملامح هيامه بمصر أنه يرى أن ليس فى الناس من عاقـــــل لا تستبيه مصر ، فهى متعة للقلب والعين وللشم فهى أخت الحنيفة . فما أجمل أن يعتنق الإنسان حبها هوىً - يقـــول :

كلنا ذلك الشوق وهل فى ... الناس من لم يكن جمالك شاقه

أنت للقلب مستراد وللعيـــن ... جمال يغرى وللشــم طاقـــة

فتحت ورداً أنامل آذار ... وقد قرّط الندى أوراقــــــه

أنت عندى أخت الحنيفة ما ... أسطاك دينا وما أجل اعتناقـه (٢)

وثمة حقيقة أدبية ، فى شعر العباسى تستحق أن يشار اليهـــا . وهى أن العباسى فى عشقه وهواه مصر وفى تغنيه بأفضال علمائهــا وأياديهم الغر على السودان انما يعبر عن شعب يكبر ذلك الجميل

---

(١) الديوان ص ٦٧

(٢) المرجع السابق ص ..

ويرد عليه بجميل ان لم يكن الحلم فهو الوفاء ، بل والصمود أمام نوائب الدهر وهى تحاول فصلهم عن مصر .

يقول مخاطبا المصريين — مؤكدا لهم أننا فى السودان عيون ساهرة على حفظ الوداد رغم كل المكائد .

ما سهرتم النائبات ونمنا ... لا ، ولا عن هواكم القلب مالا ..
قد صمدنا لحادث الدهر حتى ... ضاق ذرعا بنا وضاق احتمالا ..
ما دهتنا الخطوب الا وزدنا ... اعتصاما بحبكم واتصالا (1)

وملمح آخر فى شعر العباسى فى مصر ، فهو يحب مصر ، بل ويحب وادى النيل بأسره ذلك الوادى الرحيب الخصيب و الذى ما زال سكانه بل حرامهم فى رفق ، ومن ثم فالشاعر وفىّ له ولجميع سكانه والعباسى فى حبه لشعبى وادى النيل ، وفىّ دائم على وفاقه وعلى هذا الثبات على المبادئ يشهد ربه — ويقطع عهدا لربه ولوطنه أن يظل على وفائه ثابتا .

يقول :—

انا بنو النيل لا نرضى به بدلا ... فما جفانا ولا يوما بنا ضاقا
ولا أخص به دارى ولا سكنى ... بل ساكنى النيل تعميما واطلاقا
هذى سبيلى وهذا مذهبى بهما ... أعطيت ربى وللأوطان ميثاقا (2)

وللعباسى فى مصر — رأى آخر ، يقوى ما أشرت اليه من حبه لهما وايمانه برسالة شعبها فى الحياة ذلك الرأى يكمن فى أن الشعر الحق هو الشعر الذى ينحو هذا المنحى ، يؤازر الحق فى التعاون مع مصر لاقامة دولة عربية إسلامية وأن كل شعر لا ينادى بهذه المبادئ

---
(1) نفس المرجع ص ٩٥
(2) ديوان العباسى ص ٩١

عنده شعر لا تسمو نفوس شعرائه الى المراتب العليا — بـــل عنده شعار الحمق والطيش — وأن الشعر الذى يستحق أن يسمى شعرا ما صيغ للشرف الأسمى والخلق الاسمى عنده من تلك المبادئ ... والقيم الإسلامية العليا يقول :

ان فى دولة البيان جنودا   بعضهم قادة وبعض ساقـــه ...

سم شعرا ما صيغ للشرف الأسمى   والا فقل شعار الحماقــــه ...

شديب الأريب قبل رضاء الخلـــق يوحى بشعـــره خلاقـــه ....(١)

لعلى اكون قد وضحت مارمى اليه العباسى من حديثه عن العلائق الوشيجـة التى تربط بلاده بمصـــر ، وتلك الوشائج التى تقوم على العروبة والإسلام ، والتى يجب أن تتفتح فيها أذهان الناس الى ضرورة اعلاء شأن رابطة الدين هذه ، لتكون حافزا يدفع القـــوم للكفاح لتحرير وادى النيل بأسره ، كما لاحظنا أن الشاعر لم يتبـــدل فى تلك المواقف ولم يتلون .

---

(١) ديوان العباسى ص ٨٦

مصر في شعر
عبدالله عبد الرحمن

عرف عبدالله عبدالرحمن بحبه العميق لمصر ، فظفرت بنصيب وافر من شعره في ديوانيه الفجر الصادق وديوان العروبة ، وكان من أوضح الأصوات التي جهرت بالدعوة للوحدة العربية الإسلامية ، وهو يرى نفسه في حب العروبة شيخاً تملك عليه لبه (١).

وقد غلب على شعره الأخير الطابع السياسي الذي يفتقد في كثير من الأحيان الروية والتثبت فيما يؤيد به حججه في الدعوة الى وحدة العرب ، بل إن ديوانه الثاني ديوان العروبة ، حوى الكثير من القصائد التي يؤيد فيها فكرة القومية العربية بمفهومها الجديد ، الذى أشرت في مقدمة هذا البحث الى بعده عن مفهوم الإسلام ، الذى يأبى التعصب الى جنس دون آخر من المسلمين .

وإن النظرة الى ديوانه الأول الفجر الصادق تريك شاعرا يؤمن بوحدة العرب إيمانه الذى يرى فيه أن العروبة تعنى الإسلام ، وأن الإسلام هو دين المسلم وهو وطنه ، وقد سقت من ذلك نماذج تدل على ذلك على حين أن الديوان الثاني ، غلبت عليه الأحداث السياسية الجارية في العالم العربي ، وجعلته أشبه بالهتافات السياسية منه بالشعر المنبعث عن العقيدة الإسلامية الرامية لتوحيد المسلمين جميعا .

ولذا سأتناول الشعر الذى ورد في ديوانه الأول الفجر الصادق اذ أنه يدخل في عمق دائرة هذا البحث وأعنى بها الإسلام والعروبة .

---

(١) ديوان العروبة ص ٦٩

والشاعر فى ديوانه الأول قريب فى نهجه من الشاعر محمد سعيد العباسى من حيث نظرته الى مصر نظرة الدولة العربية المسلمة الرائدة ، وفى الدعوة الى التآزر بين شعبى مصر والسودان ، واسداء النصح لقادة القطرين ان جانبا جادة الطريق ، وان كان للعباسى نهجه المميز الذى يظهر فى ثباته على فكرة ونهج واحد لم تغير هذه سياسات .. القطرين المختلفة .

وقد صور عبدالله عبدالرحمن فى ديوانه الأول ـ أهم الدعائم التى يجب أن تقوم عليها الوحدة بين مصر والسودان ، وعنى عناية فائقة بالرباط الثقافى وبخاصة الدعوة الى حماية اللغة العربية ، وحث المصريين أن يمدوا السودان بالعلماء العاملين لنشر هذا التراث القويم ، وحذر من أيدى المستعمرين التى تتحين الفرص لاضعاف هذه اللغة .
وهذا هو الوبال اذ أن القضاء على مقومات اللغة يعنى القضاء على أسس الوحدة ، فإن اللغة عنده رمز لتعاليم الإسلام .
من هذا قوله يخاطب الزعيم المصرى النحاس باشا بعد عتاب طويل عقب توقيع اتفاقية عام ١٩٣٦ حيث يقول :

الله فى لغة القرآن فى بلد ... تراث العرب آباء وأجدادا .....
اذا تواقص من النية انتشت ... بها الشعوب ، وما استعصى لها انقادا
عناية الله ما أن خالفت بلدا ... الا وقد بلغ الأمر الذى كادا ...(١)

وما برح يلح على المصريين طالبا منهم العناية بالعربية ، ولعل هذه الاهمية عنده مبعثها :
اولا ـ إيمانه بأن اللغة هى الحافظ لهذا التراث .
وثانيا ـ احساسه وهو معلم للغة العربية ، بما يجرى فى البلاد من تدبير لإضعافها .

(١) الفجر الصادق ص ٥٢

فهو يطالب الى الشاعر الجارم فى زيارته للسودان أن يودى القائمين بأمر التعليم بالمعارف أن يولوا هذه اللغة المزيد من العناية ، ويطلق ابناءه واندادة من الطلاب ، بالمزيد من العناية ، والترحيب بهم ولغتهم يقول :

نا نزل عليك على السودان ضيفا مكرما ... لا بل أخا وتقلد الأعمالا ...
ما نزل على دار [illegible] والدا ... [illegible] فى [illegible] الأ[illegible] الا .
وأتم [illegible] ... [illegible] الا

الى أن يقول :

لغة البلاد على البلاد عزيزة ... والناس لا ترضى لها الاهمالا [١]

لأن هذه الدعوة لإحياء الفصحى ، لا يدعو لإهمال اللغات الأخرى ، ولكن ينادى أن يعتز الناس [illegible] الى تلك اللغات ويهملون الفصحى ، وهى لغة المستقبل التى غدا على علومها ناشئة الشباب : يقول :

أنا لا أقول دعوا اللغات وأهملوا ... أ[illegible] على الفصحى تموت هزالا .
لغة البنين غدا و[illegible] ... أرأيت شرقا يقتل الأطفالا ..

وان الدعوة للعناية بهذه اللغة ، مرتبطة فى ذهنه بمستقبل العلاقة بين هذين الشعبين ، فهو يريده مستقبلا تزدهر فيه ثقافة عربية اسلامية قوية الأواصر لا [illegible] [illegible] يقول مخاطبا علماء مصر :

نريد على عهد [illegible] ... [illegible] السودان فيها [illegible] ا
وان تنشروا من علمكم فى ربوعنا ... [illegible] للعالم المشعر [illegible] ا
تجمعنا الفصحى وتربط بيننا ... أ[illegible] من الاسلام تأبى [illegible] ا

(١) [illegible] ص [illegible]

ويؤكد هذا المعنى مشيرا الى آثار الفصحى والدين التى تجمع بين هذين الشعبين ، ولا يخشى من أن تتقطع تلك الصلات، فإن اللـه قد وصلها فى أزله القديم ومن ثم فإن الشاعر ارتضى إخاء المصريين لهذه الصلات

[illegible] ومن بين تثبيه — ولا فرق نحداه لنا الله واصلـه

إذا قيل أى الناس ترضون أخوة — أشارت اليكم فى الأنام أناملـه

وعلى هذا النهج الداعى لإقامة إخاء إسلامى بين شطرى وادى النيل يدعو الشاعر مصر ، الى الاهتمام بالمسلمين فى جنوب السودان والأخذ بأيديهم ، فإن [illegible] لهم من إخوانهم المسلمين فى الشمال وإن الاستعمار الانجليزى المسيحى محيط بهم من كل جانب ، ويمدوا الى أخبث الوسائل من أساليب الدعوة [illegible] فى سبيل أن يسودوا ، وإن الجنوب [illegible] لأن شاعرهم وإن السودان بأسره محتاج الى تلك [illegible] الموازره التى تقوى حركة الثقافة العربية الإسلامية.

يشير الشاعر الى هذه المعانى فى قصيدته التى كتبها بمناسبة انتهاء [illegible] [illegible] :

يقـ[illegible] مطالبا المسلمين ؟

أناديكم أبناء [illegible] بالصوت [illegible] — كثير على ظهر الطريق مراحلـه

تسائله أين المقيم بـه النوى — به وغدا عنا بعيدا تسائلـه

[illegible] لا [illegible] — فقد تسبب الشرق منا حبائلـه

ولا تدعوا [illegible] — تشرد عنكم لا اليكم رواحلـه

كأنى بالسودان [illegible] — وفى الشعر ما يبقى ويذهب قائلـه

[illegible] — وتدلى يمانى أنفاته مياغلـه (١)

---

(١) [illegible] ص ٧٨

ومن هذه المعاني التي يشير فيها الشاعر إلى قوة الرابطة الدينية بين شعبي وادي النيل قوله في أفضال مصر على السودان ، وتلك الأفضال التي يرى الشاعر أن أهمها [illegible] المدارس والعلوم الاسلامية التي نشرتها مصر في السودان : يقول :

يا بني النيل أين بالنيل شعبا ... هائم في الملا [illegible] بعيد .....

[illegible] النيل [illegible] ... ودعاة [illegible] القويد .....

عاش [illegible] على منار مصر ... وعلى [illegible] تحته [illegible] ....

شكر الله سعيها ورعاها ... وأراها في نيلها ما تريد ....(1)

ويبدي الشاعر إعجابه بثقافة مصر العربية الإسلامية التي فاضت على الشرق كله [illegible] ، ويشكر لمصر عنايتها بالسودان وسؤالها عن أحواله واعتزازها بعروبته يقول عن مصر وثقافتها :

[illegible] العلم فيها ودر الأدب ... وقامت بفورها تبارى الشهب

فقامت على النيل [illegible] ... [illegible] الدليل وتقضى [illegible]

وأقامت على الشرق من نورها ... [illegible] بها واستظل [illegible] ....

إلى أن يقول :

[illegible] السودانيا ... قديما وما هو بالمقتضب ....(1)

[illegible] وقلبي [illegible] ... [illegible] ونداء العرب ....

واعتداد الشاعر بهذه الثقافة التي نشرتها مصر في السودان يأتي انعكاسه بأثرها الثقافة الإسلامية التي تنشر البيان العربي في أدب سام رفيع [illegible] بلاغة دينية [illegible] الأدب الذي يقتبس قدرا من معاني كتاب الله — يقول مادحا الأديب [illegible] بدوي شاكرا أياديه

---

(1) الديوان ص ١٤

وكم للمباني بيبروت من [illegible] أياد ومن أدب منتخب ....

وما هو بالأدب الجاهلي ولكنه للتقى والتـ[illegible]ـرب ....

يفسر من محكمات الكتاب ويكشف من سره المحتجب ....

ويتلو الفواصل من آيه يباهي عليه البيان المكتسب .... (١)

وأن هذه الوحدة الثقافية التي ينشدها الشاعر ويتغنى بأمجادها [illegible] تتسع دائرتها في نظره فتنطلق من وادي النيل وتعم أرجاء الأمة العربية المسلمة بأسرها .

فهو يتمنى أن تقوم في هذه البلاد العربية وحدة عربية كاملة وأن [illegible] الله تبارك وتعالى [illegible] أن هم ذادوا عن دينه ولغاته [illegible] الأمين .

يأيها العرب الكرام .... الأمن من ناصر وإن ....

البلاد موائلكم ومصر ...... حق المواطن أن تصان ....

وإذا لم يدعو للتآخي ..... والتعاون والتـ[illegible]ان ....

وكذا الثقافة ينبغي ..... ألا يكون لها مـ[illegible]ـان ....

والله يحمي من يحمي دينه [illegible] ذا اللسان .... (٢)

ولعله واضح أن مفاهيم العروبة والإسلام ومصر ، والوحدة العربية والإسلامية كل هذه المعاني تتداخل وتتقارب بل وتتحد جميعا في شعره وقد أشار في أكثر من موضع في دعوته للعروبة والإسلام إلى أنه يجب أن يكون للمسلمين وطن واحد يجمع كل أمة المسلمين . على ذلك الوطن [illegible] [illegible] بين جنس وجنس .

---

(١) الديوان نفسه ص ٩٥

(٢) نفس المصدر ص ٧٦

فان توفرت العقيدة الإسلامية وقام اللسان العربى الذى يحفظ رسالتيهما

فذلك وطن المسلم .

ولعل فى البيتين الآخرين ما يشير الى هذا المعنى :

وكذا الثقافة ينبغى ..... الا يكون لها مكان .....

والله يحمى من حمى عن ..... دينه هذا اللسان .....

وواضح انه يشير بالثقافة الى الثقافة العربية الإسلامية التى تشمل

عقيدة المسلم ، وعلومه وآدابه ويعنى باللسان ـ اللغة العربية .

مصر في شعر
أحمد محمد صالح

لقد حظيت مصر بقدر كبير من شعر أحمد محمد صالح السياسي رغم ما عرف عنه من النزعة الاستقلالية ، فقد صور عديدا من الأواصر العربية الإسلامية التي تجمع بين مصر والسودان ، كما أشار الى حسن الجوار ودعا الى تحرير وادي النيل بأسره وكان لابد أن يأتي هذه النزعات في شعره أكثر من صاحبيه عبدالله عبدالرحمن ومحمد سعيد العباسي اما أقربا اليه من حيث سياسية تقترب من حزب الاستقلاليين الذين يدعون الى قيام دولة سودانية تنفصل عن مصر بكل مقوماتها السياسية والثقافية والأدبية(١).

ومع ذلك لم يخل شعره من إيمان بدور مصر الثقافي والسياسي في مسيرة الأمة العربية والاسلامية ولعل للصداقة الحميمة التي كانت تربطه بالزعيم المصري محمد نجيب أثرا كبيرا في إشادته بمصر وزعمائها وشعبها.
ولقد نوه المرحوم الدرديري محمد عثمان على تلك الصلات التي تجمع بين الشاعر ومحمد نجيب منذ أن كانا طالبين بكلية غردون عام ١٩١٢(٢) وقد أكد لي هذه الحقيقة عدد من أفراد اسرة الشاعر ووجدت صورة الشاعر ونجيب بمنزلهم كتلك التي أثبتها الدرديري محمد عثمان في مذكراته.

وإن أحمد محمد صالح يمثل ظاهرة أدبية فريدة بين الشعراء الاستقلاليين من حيث إنه لم يتأثر باتجاه جماعته السياسية ، ففي

---

(١) تحدثت عن ذلك في هذا البحث ، عندما اوردت آراء محمد احمد محجوب في الأدب القومي ، والأدب المصري.
(٢) مذكرات الدرديري محمد عثمان ص ٦

في تجاهل الوشائج التاريخية البعيدة التي تربط بين مصر والسودان كما أن ذلك الاتجاه لم يحل دونه والنظر الى مستقبل هذين الشعبين بمنظار واحد — رغم تباين هذه النظرة من نظرة شعراء وحدة وادي النيل وهذا أمر بديهي — فما كان يستطيع أن يغض تماما عن تلك الموضوعات وها هو ذا يذكر مصر في ديوانه — عندما أهدى [illegible] ديوانه [illegible] سودانيين ومصريين ، عند استقباله لوفد مصري زاره بالجزيرة أبا [illegible] عام ١٩٣٥ [illegible] ذلك الوفد الى أواصر الدين والأدب [illegible] والدم ، والنيل التي تجمع بين الشعبين .

يقول :

مازلت تعمر بالوجود منعما — والروح منسكبا في أطايب النسم

حتى اعتقدوا بأن النور في فوح — في نشوة الراح أو في غفوة الحلم

أثني عليك بما أوليت [illegible] — الأريحي كريم الأصل والشيم

الدين والضاد والأنساب [illegible] — والنيل [illegible] موصولة الرحم (١)

ولعله من الواضح أن الاشارة الى النيل هنا لا تأخذ ذلك البعد السياسي الذي يعطيه شعراء وادي النيل لهذه الكلمة فهي عند [illegible] [illegible] في الدولة الواحدة وهي هنا شبيهة بالجوار .

ويبدو أن مقدمة [illegible] طمح أديب كاتب الشعر السوداني [illegible] [illegible] عندما [illegible] عندما أدار حلقة صحابه [illegible] في عام ١٩٥٤ — وداع أحمد محمد صالح [illegible] من المبادئ والقيم الخلقية التي ينبغي أن يتحلى بها السياسيون .

---

(١) [illegible] الأسرار ص ١٥

على مبادئ وأخلاق إسلامية .. منها الوفاء ، والخضوع للشورى ، وما
تمليه من ثاقب الرأى .

فهو يحمد للزعيم المصرى يده الكريمة فى اتفاقية السودان عام
١٩٥٢ . ويقدر له وفاء الأمة السودانية .

ماكانت غدارا ولا خوانـــا كلا ولم تك يا حبيب جبانـــا
يا صاحب القلب الكريم تحية من أمة أوليتها الاحسانـــا
وتحية منذ صباك سرا واثقا خفقت اليك وآمنت ايمانـــا

ويشيد بدوره فى بناء أمته العربية بأسرها ويحمد له تجديده
الدينى ونزوعه للسلم القائم على الشورى .

يقول :

يا صانع التاريخ من وطنية لا تعرف الارهاب والطغيانـــا
بعث أياديك الشورية فاستوت أحقادها وتكللت بنيانـــا
وحبابك السيف الظافر فى الوغى وأتمت للسلم الحميد ميزانـــا (١)

ومن المعانى المشرقة فى هذه القصيدة ، أن الشاعر عاب على أولئك
الزعماء الذين نصبوا أنفسهم على الحكم فى أقاليم هذه ، واعتبروها
لونا من الجبروت والطغيان ، إلا أن هذا الزعيم لم يفعل شيئا
غير أنه طالب بأن يكون الحكم شورى كما نصت آيات القرآن —
فهل أنكروا القرآن ؟! .

وهو بذلك يشير إلى ... قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم صلى
الله عليه وسلم :

(١) ديوان الأزل ص ١٨

(وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)(1)
وواضح من سياق الآية أن استشارة أهل الرأي من المسلمين أمر واجب على الحاكم ، وأن الأخذ بما يبدونه من سديد الآراء المتفق مع شرع الله يجب الأخذ به .

يقول :

وقفت في الميدان تدفع [illegible] عن [illegible] الكبت والسرطانا
[illegible] بالشورى وتلك شريعة [illegible] أنكروا القرآن [illegible] ؟
وأقمتها من أجل مصر [illegible] على المتحررين صوانا (2)

وتمضي القصيدة باكية على أولئك الحكام ابناء أحرارهم وتطاحنهم بإخوانهم في الدين ، لا شيء إلا لاختلافهم معهم في وسائل الإصلاح التي أشارت لها آية الشورى ، وأشبعوا ذلك بندوتهم برئيسهم الذي كان قائد ثورتهم يقول مصورا هذه المعاني :

يا شعب مصر ما دهى أبناءنا [illegible] نعتوا على أحقادهم عميانا
ركبوا رؤوسهم فكانت فتنة [illegible] دهماء لم تترك لهم (إخوانا)
[illegible] ركبوا رؤوسهم [illegible] بيع الصحاح و [illegible] (الشيطانا)(4)

وإن الشاعر رمز بهذا الحديث الدوري عن انعدام الشورى وحرية الفكر في تلك الحقبة من تاريخ مصر . وأغلب الظن أنه أشار بكلمة (إخوانا) لتنظيم الإخوان المسلمين وما حل بهم من نكبات في ذلك الحكم ، ولعله رمز بالشيطان إلى تحالف أولئك الحكام مع الشيوعيين (المعسكر الشرقي) وإن قيمة هذا الشعر تأتي من حيث كونه صيحة شاعر سوداني

---
(1) الآية ١٥٩ آل عمران
(2) مع الأحرار ص ١٨ (3) المرجع السابق.
(4) المرجع السابق ص ١٨

يبدو من رفض السودانيين لكل ما يجرى فى مصر أو غيرها من وسائل القمع ومحاربة الفكر بالنار ، وفيه دلالة على أن السودانيين يتجاوبون مع شعب مصر إذا اعتدى عليه المستعمرون أو جار على مبادئه حكامه ، وهو يؤكد ما أشرنا إليه فى مقدمة هذا الفصل من أن الأحداث السياسية التى تجرى فى مصر لها أثرها القوى فى السودان .

وفى قصيدة أخرى يحدث الشاعر مصر فى شخص شاعرها على الجارم ، أن تحث العرب على استعادة مجدهم الإسلامى ، ويعجب لحالهم وقد استعذبوا الهوان والأمم من حولهم يسعى جادا فى مدارج الرقى والتقدم يقول :

يا شاعر العرب [illegible] هجعوا كأنهم بالليالى لا يبالونا ...

واستعذبوا الهوان فى أوطانهم فغدوا وكيف يسعد من يستعذب الهونا ؟ (١)

ويدعو [illegible] الأمة السودانية لتشارك فى بناء وإعادة مجد العروبة الزائل ، ويؤكد له أن عزم شبابهم لا يعرف الخور فى ساعات الشدة فكم قدموا من التضحيات يقول للشاعر الجارم مذكرا بكفاح السودانيين :

قل لمصر النيل أبطال قساورة | لا يرهبون عدوا أو يداجونا !
[illegible] إذا ما [illegible] | صدقوا يمشون للموت لا يهابونا
[illegible] الأوطان داعية | [illegible] رأيت المنايا إذ يلبونا
بالدم والتضحيات البيض قد عرفوا | [illegible] الأعلى أمانينا
يدعو إلى المجد [illegible] من عزائمهم | يبنى بالخير فى أرجاء وادينا (٢)

---

(١) الموجز [illegible]

(٢) نفسه .

ويقترب الشاعر من صاحبيه العباسي وعبدالله عبدالرحمن في إيمانـه بدور مصر الواضح ، وإبلائها في الذود عن حقوق العرب ، بل وحقوق المسلمين في الأرض جميعه ، ويؤيد ذلك بذكر بعض البطولات التي قدمتها مصر في سبيل العروبة والإسلام يقول :

ولولا مصر كان الشرق نهبا ... وأصبح أهله عبدا [illegible] لا .....
وفي الله القيادة في بنيها ... [illegible] الضلالا ....
سل التاريخ [illegible] عنهم ... [illegible] وطالما [illegible] الهلالا ..
[illegible] العروبة [illegible] مجد ... وقادوا في الميدان الرحب [illegible] الا (١)

ويتمنى الشاعر من العباسي في حديثه [illegible] لقادة مصر أن يسمو [illegible] العربي ، وألا يحيدوا عنه فما من عروة وثقى يعتصم بها العرب غير الاعتصام بإسلامهم وعروبتهم ، وكما أكد أن الإسلام والعروبة في شعر العباسي كانا يمثلان شيئا واحدا يقول في هذا المعنى أحمد محمد صالح ، مخاطبا الشاعر الخادم في داليته جاري بها دالية الخادم التي أنشدها في السودان عام ١٩٣٧ : يقول له :

عليك أن تعلم شباب وادي النيل أن يتمسكوا بعروبتهم وقيمها التليدة منها أخلاق العرب القوي الأشد ، وعلمهم ألا يركنوا للهوان والذل فإن في ذلك هلاك أمتهم ، وعلمهم أن الركون لتعاليم التربية والتمسح بحضارتهم الزائفة لا يغنيهم عن الحق شيئا ، فإن الحياة في مجدها وعزها لا تؤخذ إلا بالقوة والعزة وكل ذلك في مبادئ وقيم العرب .

فإذا قال الخادم [illegible]

وحاقني سالم :

---

(١) م. الأعمال ص [illegible]

علمت غير الرادين ..... [illegible] وردت بحنين وجدى .....

نبيه أحمد محمد صالح في معارضة له بأن يحلم شباب الوادي وابس[illegible]

لبوه المهادع الآتية التي يصورها في الابيات التالية :

ياطويت الأثب الطيب [illegible] د .... وبأتي الأثب الأ[illegible] د ....

علم شباب الوادي [illegible] ين .... [illegible] العز الوطن الأشد [illegible] د ....

علم أن الدنيا [illegible] حثالة .... [illegible] يردي ....

علم أن ال[illegible] [illegible] ...... [illegible] في [illegible] وص[illegible] د ....

علم أن القصير بالثورة [illegible] [illegible] دي ....

وأين علم أن ال[illegible] [illegible] ه [illegible] وكسر اغلال وص[illegible] د .... (١)

لقد رمز في الأغلال [illegible] (الحديد) أي الشاعر الجارم عندما [illegible] أحمد محمد صالح يقلد [illegible] :

علم [illegible] الواديين [illegible] العز الوطن الأشد قال : (الله أكبر الأسود) وأنه

[illegible] هذا [illegible] الشاعر الأ[illegible] [illegible] : [illegible] من [illegible]

[illegible] الشاعر [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الأثيلة

وكأنه أراد أن [illegible] الجارم [illegible] أن تعلم شباب الواديين [illegible]

[illegible] الثم [illegible] من [illegible] [illegible] أن [illegible] إذ أن [illegible]

السياسي [illegible] وال[illegible] في [illegible] الوطن كان أحوج ما [illegible]

لأن [illegible] شبابها [illegible] الوطن الأ[illegible] [illegible] أمته [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن الشاعر أحمد محمد صالح [illegible]

[illegible] في أغنيات [illegible] السياسية من معاني [illegible] [illegible] [illegible]

(١) من الأ[illegible] [illegible] ٣٧٨

بعد ما وقعت اتفاقية تقرير المصير عام ١٩٥٣ ، فقد بدأت تظهر فى شعره أنفاس تتحدث عن تحرير وادى النيل ، ودعوة مصر فى شخص زعيمها محمد نجيب أن تحمل سيوفها حتى تحرر أرضها كلها وترد للسودان حقوقه السليبة . بل وترد حقوق الفلسطينيين وتطارد كل مستعمر عنيد .

مصر فى شعر التجانى يوسف بشير

كان محمد سعيد العباسى ، وعبدالله عبدالرحمن يؤمنان إيمانا راسخا بالأسبيل الى تحرير وادى النيل من الاستعمار الا بتعاون شعبيه ، بل والعمل على إقامة دولة واحدة فى وادى النيل تكون نواة لدولة عربية إسلامية تجمع جميع بلاد المسلمين :

ولقد جابها فى الدعوة لوحدة وادى النيل حجج خصوم هذه الوحدة بالحجج والبراهين التى تتصدى لكل دعوة تباعد بين شعبى مصر والسودان ، مثل الدعوة للقومية السودانية .

وكان التراث العربى الإسلامى وصلات الدم وحسن الجوار من أهم الوسائل التى سخراها لذلك :

أما الشاعر أحمد محمد صالح فقد اكتفى بضرورة التوادد والتآزر بين دولتى مصر والسودان ، وهذا أمر مقبول يتفق مع معتقداته مع الأنصار الذين دعوا لقيام دولة مستقلة عن مصر . وقد ازداد ميوله نحو مصر فى أخريات حياته السياسية وخاصة بعد توقيع اتفاقية عام ١٩٥٢ فظهر فى شعره ما يؤيد مصر ويدعو لزعامتها للعالم العربى .

أما الشاعر التجانى يوسف بشير ، فإن له نهجا وإن اتفق مع العباسى وعبدالله عبدالرحمن فى جوهره ، الا أنه كان يغايرهما فى منهجه الوطنى ، فهو يؤمن بضرورة تعاون البلدين ويدعو لتحرير السودان من كل القيود الاستعمارية .

غير أنه ما كان يتبع الأسلوب المباشر ... السياسية الواضحة التى ظهرت عند العباسى وصاحبه بل كان يرى أن ... الخلافات السياسية التى تدور

فى ايامه فيها شواغل عن تحقيق الوحدة الفكرية بين الشعبين ، ويجب أن تهتم مصر بهذه الوحدة الفكرية ولا تأبه لشئ آخر سواها .

وقد أثيرت حول وطنيه التجانى العديد من التساؤلات وقام حول شخصيته الوطنية ضباب من الشكوك ومن أهم ما كتب فى هذا الشأن ما تناوله الكاتب صلاح احمد ابراهيم ، وعبدالله الشيخ البشير فى دراسة أعدتها الندوة الادبية عن شعر التجانى وأجمل رأى الكاتب صلاح احمد ابراهيم عن وطنية التجانى وعن علاقته بالكفاح السياسى فى الآتى :

يرى الكاتب أن التجانى كان شاعرا شابا مرهف الحس صحيا لقومه متعاطفا مع الفقراء منهم ، متألما من استغلال الأجانب لخيرات بلاده ، من التعالى والاستعلاء على بنيها .

ويراه فى نظرته لمصر شاعرا مهتما بالوشائج الأدبية والفكرية التى تربط بين الشعبين صارفا النظر عن غيرها ، من الانشغال بالسياسة لما فيها من خلافات يعتقد أنها لا توحد الفكر مع مصر .

ويعتقد الكاتب أن فكر التجانى السياسى لم يتضح ولم تنضج ملامح الفكر السياسى الوطنى فى زمانه ، ولذا فهو لم يكن ذا اتجاه وطنى واضح ويعلل لذلك بأن التجانى لم يكن متقدما ليرى عبر الحقب التاريخية جوهر الحقيقة لان هذه مرحلة فى رأى الكاتب جاءت متأخرة بعد عصر التجانى (١)

وواضح أن الكاتب يربط فهم الوطنية بمنظوره السياسى ، فالتقدمية لديه ... تعنى الارتباط ... بالمعسكر الشرقى وتأييد سياسة الروس ، ولعله من البدهى أن أشير الى أنه ليس من المعقول ...

---

(١) صلاح احمد ابراهيم - مجموعة مقالات الندوة الادبية ص ٣٨ وما يليها .

أن تكون كل مراحل الكفاح السياسي في الشرق العربي الإسلامي ظلت مشوهة الى أن ظهر مفهوم التقدمية ليحقق معاني الوطنية .

وكيف نسمي كفاح هؤلاء الرجال - أمثال الافغاني - والمهدي - وعرابي وغيرهم أما أن يختار التجاني وسيلة لحرب المستعمر تعتمد على اشاعة المحبة وتوثيق عرى الفكر بين شعبي وادي النيل دون الاهتمام كثيرا - بالمهاترات السياسية والانشقاق الحزبي ، فإن ذلك نهجه وسبيله الذي لا يقعد به عن اللحاق بركب الوطنية

لم يرفض التجاني الكفاح السياسي ، ولكنه أشار الى أن توثيق اواصر الفكر أحرى أن يقيم العلاقة بين الشعبين على أسس واضحة المعالم .

يقول الكاتب محملا شعر التجاني ما لم يحمله من المعاني : اذا كان الامر كذلك فكيف نفسر رفضه للعلاقة السياسية اذ يقول (١)

يا ابن مصر وعندنا ما تأمل   تبليغه من الخير مصرا .....

قل لها في صراحة الحق والحق   بأن يؤثر الصراحة أحرى .....

وثقي من علائق الأدب الباقي   ولا تحفلي بأشياء أخرى .....

وثقي بالصلات من حيث لا تعرف   الاسلات الفكر مجرى ....

كل ما في الورى عدا الحلم   لا يكبر شعبا ولا يمجد قطرا ......

أن التجاني في هذه الابيات لا يرفض السياسة التي تجمع بين شعبي وادي النيل في الكفاح الوطني - لكنه يسعى لأن تهتم مصر في بناء علائقها بالسودان بالفكر ، إن كل ما في هذا الوجود عدا الحلم لا يخدم شعبا ولا يكبره .

وأما قوله - في خطاب مصر (لا تحفلي بأشياء أخرى) انما عناية الشاعر

---

(١) صلاح احمد ابراهيم - مقالة عن التجاني ، جمعتها الندوة الادبية بامدرمان ص ٢٨ وما يليها .

أن تجد مصر في توثيق هذه الصلات الادبية بين القطرين ، ولا تحفل ولا تهتم ، بتلك الأصوات السياسية التي تناوئ سياسة مصر في السودان وللأستاذ عبدالله الشيخ البشير ، رأى قريب من هذا الذي أشرت اليه ، فهو يرى أن التجاني شاعر وطني سلك في سبيل الكفاح طريق التعبير بالكلمة الأدبية ، ويرى الكاتب أن الشباب في ذلك الزمان كان يعمد الى هذا الاسلوب ، الذي يراه يعمق روح الكفاح الوطني ، -- ويعتقد الكاتب ان مصر لو سمحت كما قال التجاني ووسعت من علائق هذا الادب الباقي لما استطاع الاستعمار أن يوسع دائرة الخلاف بين ابناء الشعبين .(١)

---

(١) مقالة الاستاذ عبدالله الشيخ البشير في المرجع السابق ص ٤٢ وما يليها

وليس من المعقول أن تكون نزعة التجانى الوطنية ، لا تعرف طريقها ولا تستبين خطاها فى مناهضة الاستعمار حتى يأتى الكاتب الروسى بلخانوف ليفتح لها الطريق فى نظريته الفن والحياة الاجتماعية ، كما يرى الكاتب صلاح احمد ابراهيم فى مقاله السابق :

بقى أن أشير وأنا فى صدد الحديث عن التجانى ونزعته الوطنيـــة الى حديث للاستاذ عبدالله الشيخ البشير أشار فيه الى أن التجانى كان الصوت الوحيد فى الشعر السودانى الذى ظل مرتفعا يتحــدث عن مصر وأفضالها مستشهدا بقول التجانى : عن مصر

هيأت فكره فأرغب فاستشرى   فأعيا راكضا وأعجز طافــــرا ..
مصر راشت وثقفت وأعدت   منه فجرا وأطلعت منه بــدرا (١)

ان ماذهب اليه الاستاذ من أن التجانى كان الصوت الوحيد الذى تحدى كل صوت ، وتغنى بمصر ومآثرها — ان ذلك كلام فيه كثير من التعميم فإن التجانى كان صوتا من تلك الأصوات التى تغنت بأفضال مصر ، ودعت لتوثيق علائق الفكر بينها والسودان . وقد قدمت من ذلك أدلــــة واضحة تمثلت فى شعر محمد سعيد العباسى — والشاعر عبداللــــــه عبد الرحمن .

بل ان الشاعر محمد سعيد العباسى فيما أرى كان أجهر صوتاً فى عداء الانجليزى والتغنى بمصر ، وأفضالها من ذلك قوله فى الحرص على ادامة العلائق ، بين مصر والسودان :

ما كقطع الوتين شر ، وشـــر   منه أن تقطعوا بمصر العلاقــة

---

(١) المرجع السابق ص ٤١

وأعتقد أن العبارة الموضوعية فى هذا الشأن أن نقول: إن الشاعـــر التجانى يوسف بشير كان واحدا من الأصوات الوطنية التى أدركت عمق الصلات الثقافية والسياسية التى تربط بين شطرى وادى النيـــل، والتى كان لأصحابها ــ بصيرة نافذة فى إدراك أهمية الثقافة العربيـــة الاسلامية فى بناء كيان دولة وادى النيل المرتقبة .

وقد قدمت فى هذا الفصل بعض النماذج التى تحدثت عن روابط الدين واللغة والنسب وحسن الجوار ، وكلها وشائج تقوى الرباط بين أبنـــاء مصر والسودان . وعلى ضوئها بنى هؤلاء الشعراء تصورهم لمستقبـــل العلاقة بين مصر والسودان ، وليس ثمة ما يميز التجانى عليهم من حيث الايمان بضرورة تحرير هذه الرقعة من الوطن الاسلامى والعربى .

وان كان ثمة ما يميز التجانى هو عنايته الكبرى بدور الفكر فى مسيرة الكفاح الوطنى حتى قصر أو كاد يقصر ، سبيله فى الكفاح الوطنى علـــى ضرورة تشييد هذا الفكر ومد حبال صلاته ، بحيث لا تعرف العلاقة بين مصر والسودان غيره من مجرى على حين أن غيره من الشعراء اهتموا بالكفاح السياسى المسلح والدعوة السياسية المباشرة ، الى جانب العناية بروابط الثقافة ومن دلائل عناية التجانى بأهمية الرباط الثقافى الذى يرى أن مصر هى صاحبة اليد العليا فيه ، أنه اعتبر نفســه بنبوغه مثـالا وشاهدا على ثقافة مصر كلما حاول الذين يتعصبون للثقافة الغربيـــة أن ينكروا فضلها : يقول

كلما أنكروا ثقافة مصـــــر كنت من صنعها يراعا وفكـــرا

وهو بذلك يشير الى الثقافة العربية الإسلامية التى تلقى أصولها فـــى معهد امدرمان العلمى ولا يخفى أن هذا المعهد ينهج نهج الأزهــر

الشريف فى حمل الثقافة العربية الإسلامية من علوم بيان وعقيدة وتشريع وقد كان الصراع الثقافى فى زمانه محتدا ومحتدما — حيث إن — شباب كلية غردون كانوا يرون فى ثقافة الغرب ، ما يجب ان يحتذى وكان حس التجانى الوطنى القائم على الاعتداد بالثقافة العربية الإسلامية يقف الى جانبها فى وجه هذا التيار الغربى — وقد أشار الى ذلك فى قصيدته المعهد العلمى

حيث يقول مشيرا الى أصالة تلك الثقافة وقدمها :

تسم البناء اليك فى أقداره	من شاد مجدك فى قديم كتابه
وأفاض فيك من الهدى آياته	ومن الهوى والسحر ملء نصابه

ويشير الى دور شباب المعهد فى بناء المجد الثقافى الذى يراه الشاعر مصوّح الزهر ، ولا بد من جهد حتى يقوى هذا المجد ويحيا فى نفوس الشباب المتسابقين لإحيائه ، ومن أجدر بحمله رغم الحسد .

وهم الشباب اليك من أفلاذه	عمدا مركزة على آدابه ...
وتسابقوا للمجد فيك وكلنا	علق يهتز المجد من طلابه
حتى يكون المجد وهو مصوح	فى الأرض منقلب على أعقابه
صورا موثقة العرى فى ناشئ	حدث مصورة على أعصابه
والمجد أجدر بالشباب وانما	للناس موحدة على أصحابه (١)

هذه صورة عامة لمصر فى شعر العروبة — يتفق فيها التجانى مع شعراء عصره فى المذهب العام — وكان له مع ذلك أسلوبه الذى يميزه فى معالجة ذلك الهدف .

وسأتناول فى الصفحات التالية قصيدتين من شعر التجانى فى مصر أراهما يمثلان اتجاهين من اتجاهات الشعر الوطنى الموازى لمصر

القصيدة الأولى يبدى فيها الشاعر إعجابه بشباب مصر وكفاحه في سبيل الحرية ، لعل الشباب السوداني والشباب العربي يحذو حذوه في الكفاح والجهاد السياسي والفكري :

وشباب الكنانة مصر ينشرون ... الحماس ساعيا بصراع ....

يدخلون النفوس كالأمل ... الثائر في رعدة أجل والتياع

كلهم ثائر الحفيظة حر القلب ... أبيه لدى الوغى والمصاع ..

ورثوا بالحريص صرخة ذى ... مجد مزال وذى مقر مضاع

في سبيل الجهاد يدرا ... عن مصر بنودا بمنهل وبصراع .

ويدعو هذا الشباب أن يجد في كفاحه ، فهم قبس يضيء الطريق لقصاد الحق وطلابه .

ياصروحا من الجهاد بناها ... من بناها لدرأة وامتناع ..

رمز للشباب تدعيهم مصر ... على فترة وفى اندفاع ....

قبس من [illegible] هدى ونوره يسعـ ... ـع على الحق ما له من قناع

حطموا تلك القيود وصونوا ... دم مصر عن سنين جياع ..

وإن دعوته لهذا الشباب ليثور من أجل هؤلاء الجياع المستضعفين من الشيوخ ، فيه إشارة لإحساسه ببشاعة ما كان المستعمر يقوم به من استغلال خيرات البلاد وأهلها من حولها جياع ، وهو موقن ألا سبيل الى ازالة هذا الظلم الا بحزم وايمان الشباب .

ومن ثم يستنهض هممهم في تحية لمصر بثها لها من خلال تحية هذا الشباب ذلك الشباب الذي شاد أركان مجد أمته ودافع عن عقيدتها وعن حماها .

قل لمصر وحيها في شباب ... صيغ من جرأة ومن ازمـــاع
عاد أركانها وشاد من أنوارها ... وابتنى صرح مجدها المتداعــى
في جهاد من العقيدة صدق ... ونضال عن الحمى وقراع ...(1)

وهذه القصيدة الثائرة قد اهداها لصديقه الشاعر عثمان حسين منصور عندما هاجر الى مصر وهي تصور حنين الشاعر غير المباشر الى مصر متمثلا بهذا الشباب الذي يذود عن مصر ، وعن الشعوب العربية كلها متمثلا ذلك في دفاعه عن العقيدة والأرض .

وكانت الدعوة السياسية في ذلك العهد تصور هذا المعنى ، اذ كانت مصر معلم النضال السياسي المتحرر ، فما من سوداني مؤمن بحق أمتـه العربية المسلمة في العيش الحر الذي يحقق له ما تصبو اليه ، الا جاءته تصور مصر باعتبارها قبلة الطامحين في ذلك الزمان .

هذه رؤية وطنية لا تحتاج الى منظّر ، تقدمى ليشرح للناس المثقفين امثال التجاني ــ الطريقة التي يتخلصون بها من الاستعمار ، كما يذهب الى ذلك الاستاذ صلاح احمد ابراهيم في مقالته السابقة .

اما القصيدة الثانية التي رأيت أنها ذات دلالة واضحة على موقع مصر في شعر التجاني ــ فهي قصيدته ثقافة مصر فلقد استهوته مصـر بما فيها من ينابيع علوم ثرة ، كانت قبلة ومقصد طالبي العلم في ذلك الزمان ، كما كانت الهجرة الى مصر إحدى علامات الوطنية الصادقـة اذ كانت مصر موئل الأحرار الذين ناوأوا الاستعمار ــ الانجليزي ــ ويضع أمامهم العقبات ان هم حاولوا السفر لمصر حتى لا تتفتح عيونهم على ما

---

(1) نفس المرجع والصفحات ٤٦

فيها من فكر اسلامي كانوا يدركون خطورته على استعمارهم الفكري —
للشعوب . والشاعر التجاني يلتقي مع العباسي في ظاهرة الحنين
الى مصر فاذا كان العباسي يحن الى معهده العسكري واساتذته
واصدقائه من العلماء والأدباء في مصر ، واذا كانت الصلات الفكرية
هي الوشيجة الادبية التي تربط العباسي بمصر .

فإن الشاعر التجاني انما يحن الى مصر لايمانه بهذه الرابطة
الفكرية ، فهو يحن لبلاد لم يرها الا بخياله ، مستشعرا قيمة ما فيها
من علم ومعرفة ، فقد كانت زيارة مصر طالبا للعلم أكبر أمانيه فكم
طوفت به الذكرى ، وكم هفا وتبسم لمجرد ذكر اسمها .

عادني اليوم من حديثك يا مصر　　رؤى وطوفت بي ذكرى ..
وهذا باسمك الفؤاد وجست　　بسمات على الخواطر سكرى ...

وتربط هذه الخواطر بعقيدته الإسلامية التي تربط بين قوة مظاهر
الكون على قوة خالقه القديم فاذا تساءل من تلك القوة التي فجرت
النيل من بين الصخور ، واجرته سلسبيلا عذب المشارع ، جم الأمواج
أجاب على هذا التساؤل بأنه هو الله الذي صاغ مصر على شواطئ
النيل ، دماء وشكوا ، هو الذي فجّر النيل وصاغ النهر الدفيق ، كما
ذلك كان عليه هيناً — قال له كن — فكان هذا الدفاق الذي تدافع
مياهه حينا ، وتجري زلالا أشهى من الخمر يقول الشاعر مصوراً هذه —
المعاني

---

(١) اشراقه ص ٨٥

من أتى صخرة الوجود فقدها | وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرارا .. | وربما جسم الأوادى نمرا

الى أن يقول : مجيبا على هذا التساؤل

هو من صانها على النيل وشاءه | دماء وشكرا ....

فجر النيل يوم فجر فى الارض | ماءها وساغ للناس فجرا

قال كن فاستجاب يقذف .. | دفاقا ويجرى على الضفاف خضرا (١)

ولا يخفى استلهام الشاعر بالمعنى القرآنى فى سورة يس فى قوله تعالى : انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

وقريب بين هذا الربط بين المخلوقات وخلقها بقدر وفق ما خطه الله تعالى فى أزله القديم ، قريب من ذلك قول التجانى فى قصيدة المعبد العلمى حيث يشير الى ذلك الربط بين الخلق والازل : يقول مخاطبا المعبد العلمى :

قسم البقاء اليك فى أقداره | من شاد مجدك فى قديم كتابه
وأفاض فيك من الهدى آياته | ومن الهوى والسحر ملء نصابه (٢)

وينتقل التجانى فى تحيته لثقافة مصر الى الحديث عن دور مصر والسودان فى الحفاظ على ثقافة النيل ، وبناء صيته ، ورفع ذكره ، وما يزالان يسعيان لتأسيس ذلك المجد وان هما شغلا الان عن السعى الجاد فى بنائه ، فليس ذلك من رغبة منه ، ولكن دهرا قاسيا وشغلتهما عن سعيهما ، ولعله بذلك يشير الى عهد الاستعمار وما كان

---

(١) نفس المصدر ٨٥
(٢) نفسه ٦٠

يقوم به من تفرقة بينهما حتى لا يواصلا جهدهما فى تأسيس الخلق والمجد الادبى القديم .

يقول التجانى فى هذا المعنى :

انما مصر والشقيق السودان ... كانا لخافق النيل صدرا ....

حفظا مجده القديم وشادا ... منه صيتا ورفعا منه ذكرا ....

فسلوا النيل عن كرائم أوسعا ... دراريها احتفاظا وقدرا .....

ما رعيها عنها واكسن دهرا ... ما رأينا سوى فنه كان دهرا ....(١)

ويؤكد الشاعر متانة هذه العرى التى تربط بين مصر والسودان ويثبت أن هواهما واحد جمعت بينهما دوحة الفكر وربطتهما بأواصر كبرى لا انفصام لها .

أفليسنا اللذين هوى جمعتنا ... دوحة الفكر فى أواصر كبرى ...

أفلاقت الا الاصول استقرت ... حيث كانت لنا زمانا استقرا ...

ثابتات هناك تنسب أشياءنا ... وتنمى من الحقائق كبرا ....(٢)

ان لمصر اليد الطولى فى أعداد الانسان بوادى النيل فهى التى عكفت عليه اعدادا وعناية فأطلعت منه شموسا وبدورا تفنى غياهب الجهل واطلقت افكاره الى غايات تخصب بركن متحديا وثابا كل قصر يشق الدهور ويسابق السها ويزاحم النجوم علوا واشراقا .

ولا غرو فيقدم مصر أو فى الترى أوتقا رأينا فى هذه المجالات .

مصرا راضت وثقفت وأعدت منه ... شمسا أطلعت منه بدرا ....

هيأت فكره فأرغب فاستشرى ... فأعيا وأكذا وأعجز طفرا ...

---

(١) اشراقه ص ٨٥ وما بعدها

(٢) نفسه

فترى الدهر عابرا وشأى النسيم مضيا وزاحم الريح مسرى

طبع مصر تقضيا ونشاطا لو دعى الصخر دام منه أورى(١)

ولهذه العلائق الوطيدة — موقع في نفس التجاني يجعله يرى انفصالها مستحيلا ، يصور ذلك في أسلوب هادئ يميل الى الحوار المنطقي المقنع ، فيرى أن من يحاول أن يفرق بين مصر والسودان ، كمن يتصور أن النيل يمكن ان يفارق شطيه ليجرى في مواطئ غيرهما يشير الشاعر الى هذه الاستحالة في أسلوب طلئ بالسخرية من أولئك الداعين الى التفريق بين فكر هذين الشعبين .

كيف ياقوما تباعد من فكرين شدا وساند البحر أزرا ....

كيف قولوا يجانب النيل شطيه ويجرى على جوانب أخرى ....

ويسوق الشاعر الأدلة على آثار هذا الفكر الحرص الإسلامي في تكوين شخصية الانسان في السودان ، وهو فجر يجرى الى السودان ، وأشرقت شموسه من تلقاء مصر . وان التجاني نفسه خير شاهد على آثار ثقافة فان حاول منكر انكار فضلها فهو بنبوغه وعمقه الفكرى خير شاهد على فضلها :

حيا الله تلك البلاد فهي عندي موئل الفكر ومستودع الثقافة

كلما أنكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعا وفكرا

جئت في حدها غرارا . فحيا الله مستودع الثقافة مصرا(٢)

أن تحدث الشاعر عن سمات وملامح هذه العلائق الفكرية القديمة

---

(١) اشراقة ٨٥

(٢) نفس المرجع

التى خطت فى الازل وبعد أن تحدث عن نشر مصر لهذه الثقافة فى السودان ، دعا التوم فى مصر ، والحياة السياسية فى السودان فـــى مدها وجزرها بين مؤيد لمصر ومخالف لها . دعاهم لان يركـــزوا جهودهم فى نشر العلم والادب فهو الباقى والخالد ، ودعا الى الا تهتم ولا تحفل بأشياء أخرى ، فهو يشير بذلك الى أن الخلاف السياسى يجب الا يوقف جهود مصر فى نشر الادب العربى الاسلامى اذ أن كل شئ عدا العلم لا يخدم امة ولا يقدم شعبا ، يتحدث عن هذه المفاهيم فى الصراحة والوضوح فهو يرى أن ذلك هو الحق ويجب أن يجد الصراحـة والوضوح لتسمعه مصر . لان ذلك هو الحـق

يا أبن مصر وعندنا لك ما تأمل ... تبلغيه من الخير مصـــرا ..
قل لها فى صراحة الحق والحق ... بأن يؤثر الصراحة أحـــرى ..
وتقى من علائق الادب الباقى ... ولا تحفلى بأشياء أخرى ...(١)
وتقى بالصلات من حيث لا تعرف ... الا مسالك الفكر مجـــرى ..
كل ما فى الورى عدا العلم لا ... يكبر شعبا ولا يمجد قطـرا ..

هذه مصر فى شعر التيجانى ، لعل أبرز أرائه فى ذلك ، انه نظـر الى مصر نظرة الاديب المتشوق الى ما فى معاهدها من ينابيع العلـم الثرة ، وأحس بوطنيته الصادقة أن مصر موئل الأدب والعلم ، وأنهـا وبلاده يكونان أمة ذات فكر واحد عليهما أن يوثقا عرى ذلك الفكـر ومن أثمر السبل الى تحرير البلاد والى اقامة دعائم ثابتة من التآخى بل انه يعتقد اعتقادا راسخا أن أى محاولة لابعاد السودان عن مصـر

(١) المرجع السابق ٨٥

محاولة بائسة ، فهما جسد واحد تجري فيه دماء واحدة وبث الله فيه روحا واحدة ؛

وهذا المعنى كما نرى لا يقدح في وحدانيته ولا يقيم ضبابا حول توجهه شعاره سمو غاياته العليا — من توثيق عرى الإخاء بين هذين الشعبين لدعم وتقوية الفكر العربي الإسلامي .

عتاب مصر في شعرهـــم

لعل في النماذج التي قدمتها في هذا الفصل ما يدل علــى عميق صلات الود التي ربطت الشعب السوداني والشعب المصــرى بروابط وثيقة العرى ، تحدث عنها هؤلاء الشعراء داعين الى تأكيدهــا واستمرارها ، وقد أكدوا ذلك بحديثهم عن صلات الدين واللغة ، ـــ وحسن الجوار والمصير المشترك ، وبوقوف أمتهم السودانية مع مصر فــى البأساء والضراء ، غير مهتمين بتقلبات السياسيين .

ورغم هذا ، فقد كان تأييدهم لمصر عن وعى وبصيرة ، فقد أشادوا بهــا وبكفاحها السياسي ، وبجهودها في نشر العلم في السودان ، ومحضوهــا النصح الصريح ، عندما أحسوا توانيها في نصرة الحق في بعض الأحيان .

وكان بطبيعة الحال ، أن اختلفت آراؤهم حول الحد الادنى الذى يجب أن ينتهى عنده تأييدهم لمصر ، فهو عند دعاة الوحدة يعنى المضــى قدما لتأسيس دولة واحدة ، تعرف بدولة وادى النيــل ، وهو عنــد الاستقلاليين يكتفى بالمعاونة في مختلف شئون الحياة الثقافية والاجتماعية على أن يظل لكل بلد منهجه و طابعه الثقافي والاجتماعي والسياسى المعتبر له . ورغم هذا التباين في وجهات النظر حول الحد الذىـ يجب أن تقف عنده هذه الصلات ، فإن الأمر لم يصل حد الهجوم القاسى كما فهم الدكتور عبده بدوى حسين تحدث عن محنة مصر في هذه الحقبة فيقول : (وقد لاقت مصر محنة في هذه الفترة فتطاول عليها كثير مــن الأدباء والشعراء في قسوة بالغة (١) ويورد الكاتب على صحة رأيه هــذا

---

(١) عبده بدوى ص: ٥٥٦

أنماطا من الشعراء لا تكاد تمثل تيارا واضحا فى الشعر السودانى تميز بعداء مصر ، كما فهم الدكتور الباحث ، مثل نماذج ـــ منير صالح وابى القاسم عثمان(١) وهذه النماذج على قلتها أشبه ما تكون بود فصل غير ناضج لتقلبات السياسة والسياسيين وقد لا حظنا أن الشعراء الذين آمنو بفكرة وحدة وادى النيل عن بصيرة مثل العباسى وعبدالله عبدالرحمن والتجانى ، لم تغيرهم تقلبات السياسة ، بل لم يعترفوا بهذه الفوارق السياسية نفسها اذ المعيار عندهم الترابط الفكرى وأصله كما وضحوا واحد .

ويمضى هذا الباحث ليسوق دلائل أخرى أوهى من سابقتها فى صحة ما ذهب اليه ، فيشير للنقد الادبى الذى وجهه بعض النقاد السودانيين لآراء الدكتور محمد النويهى ، حول الشعر السودانى وعنصر التقليد وعنصر الأصالة فيه ، ويفهم من تفنيدهم لآرائه مثل آراء محمد محمد على يفهم أن فى ذلك قسوة على مصر وآراء نقادها . ولعله من الواضح أن تلك الاراء لا تمثل جفوة ولا كراهية لمصر ولكنها تمثل الصحوة الادبية لهؤلاء الكتاب الذين لا يأخذون كل شئ على علاته ، ولكنهم يمحصونه ليثبتوا الحق ويبطلوا الباطل وان كان ثمة ما يحتاج أن يقف عنده باحث ناجح ، هو ما تعرضت له مصر من نقد فى مسلكها السياسى فى بعض الاحيان ، ذلك النقد والتوجيه الذى اشترك فيه كل الشعراء بما فيهم الشعراء الذين آمنوا بوحدة وادى النيل ..

---

(١) المرجع نفسه ٥٥٨

وقد تركز هذا النقد والعتاب على مواقف القادة المصريين من قضايا السودان ، وكان توقعهم أن تكون مصر أكثر حزما وعزما فى وقوفها مع السودان ، وهو يخوض معها حربا ضد عدو واحد اذا افترس السودان سهل عليه افتراس مصر نفسها وأهم تلك المواقف السياسية التى واجهت فيها مصر عتابا شديدا من الشعراء السودانيين •

توقيعها اتفاقية عام ١٩٣٦ ـ والتى أبرمتها مع الانجليز وحققت فيها نوعا من الاستقلال والحرية ، دون أن تشير تلك الاتفاقية الى السودان وقضيته وكان الرأى الغالب عند هؤلاء الشعراء ، أن فى موقف مصر هذا خذلانا للسودانيين ، وتركهم وحدهم يعانون مرارة الشعور بخيبة الأمل •

ومن عتاب هؤلاء الشعراء مصر ، نقرأ للشاعر محمد سعيد العباسى عتابا رقيقا لمصر ، يذكر فيه مصر أن تكون على تيقظ تام لما يجرى حولها وكأنه قد أحس بثاقب حسه الوطنى أن مصر بدأت تتخلى أو أعدائها المتربصين بها وبالسودان ليفصلوا عنها هذا السودان (حتى يصبح بمأربه) ويسمى السودان بالقرط الذى يجب عليها أن تحرص عليه •

فيا مصر سيرى ولا تعجلى — فينتزع القرط يا ماريه •••••
ومهى فإن لسمع الزمان •• — رنوا الى صرخة داويه •••••
تشد بها واجفات القلوب — وتروى بها المهج الصاديه •••••
ويابعد ذى الطول لا يدعان — حمى الأمن وبالبيد الداميه ••••
ومن رغبت نفسه أن يكون — صفيا لشاقيك أو داعيه ••(١)

وحتى فى ثورة ١٩٢٤ التى كانت أحداثها محل تعليق ونقد لموقف الجمهور المصرى ، كان عتاب العباسى فيها لمصر متفقا تماما

(١) ديوان العباسى ٧٩

مع وفاءه لها ، فهو المتيقظ ابدا لما يدور حوله من دسائس فهاهو يحدث أولئك القادة المصريين — عن ثبات السودانيين بعد ما حل بهم من ألوان التعذيب ، وهو يتمنى أن تكون مصر دارية بهذا الصمود من أجلها ، فأن قوة الأحداث لم تزد السودانيين الا تمسكا بدعوتهم لوحدة مصر •

يقول :

ما سمعتم للنائبات دعتنا	لولا عن هواكم القلب مالا
قد صمدنا لحادثات الدهر حتى	ضاق ذرعا بنا وضاق احتمالا
ما دهتنا الخطوب الا وزدنا	ما اعتصاما بحبكم واتصالا

الى أن يقول :

ليت شعري هل للكنانة علم	بقلوب ذابت جوى واشتعالا •
أم تراها تدري بأنا احتملنا	في هواها القيود والأغلالا
ما فقدنا الصبر الجميل وان	كنا فقدنا من الزمان اعتدالا
عنت يرهق النفوس وحمال	لم تجد للافصاح عنها مجالا

وواضح في الابيات اسلوب العتاب القائم على اظهار الوداد والتحسر على ما حل بالسودان ومصر لا تدري عنه شيئا

والشاعر العباسي دائم الثبات على هذا الوفاء لمصر ومن أسباب الوفاء لها اليقظة التامة لما يدور حوله من أحداث سياسية ان غفل عنها قادة الرأي في مصر باءت الحواتب وبيلة ومن ثم ينصحهم في جرأة الصديق الذي يؤثر الصراحة • ويرى ذلك من أهم ما تفرضه تلك الصداقة

وهو القائل :

والنصح من شيم الصديق فان ونى — عدوه في شرع الوداد متصـــــرا

ومن الثبات على الوفـــاء .... ذلك العتاب الصادق الذي وجهه

للمصريين عندما أحس بشيء من الجبن من بعضهم إبان اقامته بمصـــر

فوجه لهم من العتاب ما يشير عليهم بأنهم لم يسيروا سير آبائهـــم

في طلب العلا والشمم — قد آلمه أن بعضهم يشتغل بلذات الحياة

عن الامور الكبار ، والأهداف السامية التي تقتضي طبيعة الكفاح في تلك

المرحلة أن يجعلوها نصب أعينهم .

ويذكر اليهم أن السودانيين اذا آزروا مصر ووقفوا بجانبها في الشدائد

فذلك لان قادة مصر كانوا عند حسن ظن السودانيين ، من ايمانهم

بالذود عن الاهداف السامية التي يسعى الشعبان الى تحقيقها .

فالسودانيون لهم أولياء وأصدقاء وليسوا سواهم يوجهون لغير الحق .

لا أكذب الله كم جرعت من غصص — من بعضهم ولكم ذقنا بهم ألمـــا

فما بنوا كالذي كانت أوائلهـــم — تبني ولا حسبـــا صانوا ولا شممـا

رضوا من المجد أن آثروا فما أقدموا — في الصالحات ولا ذاقوا لها طعما

إن الزمان فجعنا نستجيرهـــم — من الخطوب فكانوا الخصم والحكمـــا

ونادى القوم انا أولئكم ... — لسنا الدوائم بالموتى ولا الخصمـــا (١)

والشاعر في هذه القصيدة يشير الى بلاء أمته من أجل وحدة الوادي .

ويلفت نظر المصريين الى أن هذا النيل ان خلا من السودانيين الاحرار

لقطع منهم المستعمرون كل خيراته ولما وجدوا منه نقطة ماء يشربونها .

---

(١) الديوان ص ١٧٨ — ١٧٩

سوداننا منكم والحرب أمتنا ... ان رمته كان فى اللاواء خير حمى

سل عنه وقعة التل الكبير وسل ... ان شئت من قرأ التاريخ أو رقما (١)

وانت أدرى بما لاقوا فقد سعدوا ... جنودنا وما زحزحوا عن موقف قدما

انظر الى النيل فى دفاعه ابدا ... ينساب فى مصر لا بدائقا ولا أمما

فإن خلالين التابيز لاحتكروا .. معينه فاشتهتم منه جرعة ما

ويشير الشاعر الى أولئك الجنود السودانيين الذين استشهدوا فى حوادث ١٩٢٤ ولاقوا من التشريد والنفى فى سبيل مصر ما لاقوا ، فعلى مصر ان تتثبت كل شئ من اخلاص السودانيين لها لا تتناسى ، ولا تنسى تضحياتهم .

وان نسيتم ، فلا تنسوا أسود شرى ... تفنن الدهر فى تشتيتهم زمما

سيموا العذاب وارزوا فى سبيلكم ... عاشوا جياعا وماتوا بالجنوب ظما

بالأمس أنفذت يد العاتى أكفهم ... واليوم أشبعت العقبان والرخما (٢)

ويذرف الشاعر الدمع اسى وحزنا على أولئك الابطال الذين استشهدوا ، وعذبوا من اجل المبادئ فكم اقض الليالى سهرا كلما تذكر ما حل بهم والشاعر يسوق هذا الاسى عتابا وحثا لمصر لكى تدأب فى نصرة السودان مثلما السودان يخلص لها يقول :

يهفو فؤادى وانى ما ذكرتهم ... الا جرى الدمع من عينى منسجما

أراقب النجم بالأسحار أنشده ... عنهم واستخبر الربان فالعلما (٣)

وهكذا يمضى عتاب العباسى لمصر فى نسق تتابع عليها وشوقه

---

(١) الديوان نفسه ص ١٧٩ .

(٢) نفسه

(٣) المرجع السابق ١٨٠ .

الى ربوعها ، ودفاعه عن فكره ، باعثه فى كل الاحوال ، حدبه علــــى المصلحة العليا ، وهى تحرير وادى النيل ، واقامة دولة عربية إسلامية على شواطئه ، وان تحقيق هذه الغاية عنده يقتضى الثناء على شعب مصر وقادتها إن هم حققوا غاياتهم ، ووضعوا أيديهم فى أيدى السودانيين لتحقيق هذه الغاية كما يقتضى ايضا نصحهم بل وعتابهم عتابا صريحا ان هم حادوا عن هذه الجادة ، وليس له مندوحة من ذلك .

لذا جاء شعره واضحا فى مدحه ، وفى حثه على الكفاح وفى تحذيره ــ ونصحه لكل القادة السياسيين فى السودان ومصر ، بالا يركنوا الـــى ما يحاك حولهم من دسائس وقد رأيناه ينصح قبل المصريين صديقـــه الحميم السيد / عبدالرحمن المهدى ، فى عتاب صريح موضحا له ما فى .. التاريخ من عظات وعبر ، واذا هو لا يتردد فى عتاب ساسة مصر ان هم خالفوا ما يراه من وجوب نصرة هذا الحق .

ونقرأ للشيخ عبدالله عبدالرحمن عتابا رقيقا فى قصيده له بمناسبة اتفاقية ١٩٣٦ ، ورد ذلك العتاب خلال مدحه للزعيم المصرى مصطفـــى النحاس فيقول على لسان محدثه : عن تلك الاتفاقيـــة

قالت معاهدة مصر توقعها   على قواعد تولى النيل اسعادا

وأقبلت مصر تجنى غرس نهضتها   ببعثها الوفد اثر الوفد روادا .

الى أن يقـول معاتبا :

ويرتجى الناس فى السودان أن لهم   بها فى الأمر اصدارا وايرادا

فما من الخير أن القيل يكتفنا   على السواء ولسنا منه وارادا .

على سمعنا على انديابه نغمتهـــا   قلنا رجونا على التنفيذ إسعادا

أنا لنؤمن بالاقوال صادقة ... وليس يخدعنا قول وإن جسدا

أنا لنرجو اذا ما الخيط أخلفنا ... من الخليفة أن نرقى ونزدادا (1)

ولعله يقصد بالخليفة هنا الزعيم المصرى مصطفى النحاس وواضح أن الشاعر غير راض عن تلك الاتفاقية التى تقرر مصيرها آل مصر دون أشقائهم فى السودان .

وأما الشاعر جعفر حامد البشير ، فانه يوجه عتابه للمصريين ، ناصحا ومحذرا لهم بالا يركنوا لبريق الانجليز الكاذب ، والا ينخدعوا بدستورهم بل ان الشاعر ليدهش فى قبولهم لهذه الخطط الغادره وهم ذوو تجربة وما هم بالاغرار .

يقول الشاعر :

يا أخوة ما تزال الآن تخدعهم ... للانجليز روايات وأخبار ..

ماذا تقولون فى دستورنا أيعجبكم ... هذا البريق وأدنى الثوب أطمار ؟

لو لم تكن لكم بالامر تجربة ... لقلت إنكم ياقوم أغرار

لا تمسكوا بعصا جاء الحواة بها ... فما لكم مثلهم غش وأسحار

عودوا الى الحق وامشوا تحت رايته ... لو أن غايتكم حق واظهار

لا تفقدوا ثورة ياطالما نفذت .. هيا الى الوطن المنكوب أضرار (2)

ومن الجميل فى هذه الابيات ، تشبيه خداع الانجليز ، بالثوب البالى الذى يبدو له بريق كاذب ، وتشبيههم بالحواة والسحرة ، فما ينبغى أن تخدع بسحرهم ويمثل الشاعر محمد المهدى المجذوب ـ وجهة نظر الشعراء الاستقلاليين الذين كثيرا ما عتبوا على مصر ، لتأييدها الاشقاء ، ورأوا ـ

---

(1) الفجر الصادق ص ٥٣

(2) جعفر حامد البشير حرية وجمال ص ٧٠

أنها انما تفوق شعر السودانيين ، وكان المأمول فيها أن تقوب وتجمع الشمل مراعية فى ذلك حقوق الإخاء وحسن الجوار ،

ومع أن عابودا كانا يوجهون لها لوم الأخ الحبيب لحبيبه ولم يكن بحال لومهم منبعثا عن كراهية ، وحسبها من الفخار ما أسدته أياديها البيضاء للسودان من خير ، وعلى رأس تلك الأيادى الأزهر الشريف الذى تالت كرمته تصلى من يانع ثمارها يقول الشاعر المجذوب .

مصر والسودان دارا عزة	هى شادت مجدها الباقى وشادا
نحن لمناها على حسب	فكم بذلت مالا فلم تملك قيادا
قتل الفاروق هل يمسى بنا	كرمة الأزهر لا تسقى رمادا (١)

فكأن الشاعر يعتذر بحكام مصر فى عهودها السابقة ويسخر من عهد فاروق وتاج ملكه ، لذا نراه يخاطب علم مصر الأخضر تحية ويدعو له بثورة عدل تجمع شمل المسلمين وتوحد بينهم :

يا هلالا باسما فى خضرة	يشتهى الثورة عدلا واتحادا .
لا تضيعنا وقبل أنفسا	حرة شاعرها المثنى عمادا (٢)

وفى قصيدته جارة النيل يعاتب مصر عتابا حارا مبحثه حب عميق لمصر *

أجارتنا يا مصر عتب مجدد	تناداه اليه اليوم والأمس والغد
يكدر أسمار الليالى ويبرى	الى الصبح وبه منه كالليل أسود
تمرق فى أبصارنا فهى أبرق	وطن على أسماعنا فهى أرعد
عتاب يبيت الضيف بعض لوجنه	وتنظمه أنغامه وهو مزبد

---

(١) محمد المهدى المجذوب منابر ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه ١٦٤

وهو عتاب كما نرى يوشك الشاعر ان يسل سيفه لينوب عن العتاب ، غير أن أغمدة الحب لمصر ، تكلم ذلك السيف المزبد الغاضب ويسوق من أسباب ذلك العتاب لمصر مساندتها لاخوانهم الأشقاء ورفع شأنهم على حين أن إخوانهم من دعاة الاستقلال ما يزالون يعيشون في الاغوار ، فيقول مخاطبا مصر :

وقاموا إخوانا علينا أشقة   بنى أمتنا بتنا بخير وأبعدوا

وهو كدأبه في عتابه لا ينكر أفضالها ، وهو يذكرها بأنهم لولا حقوق الجيرة وذلك الوداد ، لعاقبتها سيوفهم الصوارم فلكم حلموا عن أذاها وهى الجارة عندما لهما تساند عليهم غردون باشا .

ويا مصر لم نجحد جميلا بذلته   علينا وما مثلى بيد الفضل يجحد
حلمنا طويلا عن أذى الجار سهمه   على قوس غردون اليها مسدد
وأين رواق فيك حل خفته ضوءه   فأخطأه ركب الزبير الموحد (١)

ثم يذكر مصر ، بأولئك الابطال السودانيين الذين لقوا في سبيل مصر ألوان العذاب من سجن ونفي وقتل ، وهم ثوار عام ١٩٢٤ ، ولا غرو أن يخذلهم حكام مصر وجيشهم فلقد خانوا قبل ذلك الزعيم المصرى الوطنى عرابى ، ويذكر من هؤلاء الابطال — على عبد اللطيف .

وثار علىّ وبعده رهن كوبر   توزع منه النفس عقل مشرد
سجين يقاسى النفى جرحا ظلمة   كما ذاقه الحر العرابى أحمد
تباكيت لما أن قضى وبلادنا   بساطيك دمعا زائفا ليس يسعد
وابن عبيد يخرس الغاب روحه   وعبد الرؤى يرنو اليها وتحمد (١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٥ .

والشاعر غير أسوان على جيش التاج وهو يخذل هؤلاء الابطال ولكنه أسوان وحزين ، على عدم رعاية مصر لحقوق الجوار وعدم عطفها على جمع الشمل ونصرة السودانيين كلهم — كما يرى (١):

ولم تبك جيش التاج لم يرم طلقة يفر ، وآبكانا الجوار المبدد •
تبدأ زغلول من القوم يتقى عواقب رد وانصحتها اذ تمردوا •
أولئك أبطال وهبنا شبابهم اليك وما ضيعته سوف يخلد (٢)

ويعاتب احد الباشوات الذي خطب في حفل أقامه له الاشقاء فأوسع الاستقلاليين تجريحا وذما ، والشاعر لا يرى في هذا الباشا أي رمز من رموز الوطنية المصرية ، بل يراه أحد صنائع التتر من الأتراك سلالة محمد على ، ومن ثم يذكره ان جاء يدل ويتيه بجنسه بذكره بجيوش المبدى وما فعلته بالترك وما تزال تلك الجيوش تنتظر الثأر من أولئك الذين قتلهم الانجليز في كررى •

هل جئت من مصر للسودان تخبرنا بما لجيشك في السودان من أثر
أم عرفناه ، بل شيكان باقية والسيف ينتظر الثارات في كررى (٣)

وينعى على ذلك الزعيم جهله بما يعانيه السودان من مشكلات مع أظهاره وده الكاذب الذي لا تبدو عليه سمات الصدق وكان المأمول فيه أن يرعى حق الجوار •

---

(١) المرجع نفسه ص ١٦٦
(٢) نفسه
(٣) المرجع السابق ص ١١٣ وما يليها ص ١١٤

يا خاطب الود يوم وما يبسمته — وما عليه سمات العشق والسهر
يسرى إلينا ببستان يفوح به — رقش الثعابين في الأوراق والزهر
كنا نؤمل آمالا منكبوت بنا — فيما نعاني من البأساء والضرر
ألقمت بالريح لم تورق نابته — إلا سطاها وأيبس الثمر كالحجر(١)

والشاعر يهمس في أذن هذا الباشا ، بأنه هو المنافح عن مصر ، وعن الرغبة المسلمة التي لا تزال نيل من الحلوم غير مدنس ، وأنه يعود منها إباء يترفع على الدنى ، وليس له أدنى رغبة ولا وطر في تاج هؤلاء الملوك الطغاة .

أبى أنافح عن مصر بأزمتها — وإن سطا دهرها غير منحسر
نفسي الحياة على الدنى مشاركة — وما افتخاري في التيجان من خطر(٢)

ومحمد المجذوب السوداني في خطابه لمصر يدرك أنها مغلوبة على أمرها بعد أن المشرقين على أمرها من حكام ترك ، قد أجبروها على أن تتآمر بيننا ، وأنها هي مصر البرة بالسودان الحانية عليه ، ما مثلته في تاريخنا الماضي .

وإن بدأ الآن منها على أيدي هؤلاء الباشوات ما بدا ، فلا غرو فيهم الذين ناهضوا زعيمها الوطني أحمد عرابي ، وهم الذين دمروا حمى السودان ، بحيث جاء يؤازر الدخيل من الكافرين ويسامر في ركابهم ، ومع ذلك أن الشاعر لا يحقد على مصر بل إنه يرى أن روح الإخاء والمحبة بين الشعبين يقضي على ذلك الحقد ، ويخذل تلك المؤامرات في شاطئ النيل ، بمائه الأزلي .

يقول الشاعر :

أحدث عن شعب حميم وجيرة ... وحاشاي ما أدعو لتاج ولا قصر

وما نسيت مصر غيابي وحاضر ... أخا ولم يكفر بعهد ولا ذكر

بنفسي مصر كم حلت علينا غمامة ... تزهو على ضيئة السماوات والقمر

وما ضاقنا مرة عن نيابة ... ولكنه عجز الكريم على الاسر

وشن آل توفيق عرابي وجمعوا ... حماتنا بجيش الغالبين مع الكفر

حملنا جراحات ديننا أحبة ... تفصلها في شاطئ النيل ذى الخير(1)

ونلاحظ من الأبيات أن عتاب الشاعر لمصر لم يكن عن كراهية او بغضاء ولكن من حرصه على علاقات الوداد التي تربط بين الشعبين ولذه يحاسبها ويعني بذلك حكامها من الباشوات الأتراك ، ويفرق بين مصر في تاريخها الأصيل الملئ بالحب والوفاء للسودان ، وبين مصر في عهد هؤلاء السادة الذين ان دعوا الان كما يرى للتفريق بين ابناء شعب السودان ، فلا غرو فكم غدروا بالزعماء الوطنيين أمثال أحمد عرابي ، وهذا فيما أرى ان فئة الاستقلاليين كانوا يكرهون ان يتحدوا مع مصر تحت ذلك الحكم الباشوي الطاغي .

ويرى صاحب ديوان الشاطئ الصخري حسين عثمان منصور في عتاب مصر على نحو يشابه نهج العباسي فيه من حب مصر والايمان بوحدة وادي النيل ، والصراحة في القول ان رأها حادت عن الجادة ، فيه

---

(1) المرجع السابق ص ١٤٩

مايجعلهما متقاربين في هذا المنهج ، مع فوارق سنذكرها لاحقـــا وأول عتاب ، أسبابه هنا هو لومه المصريين على جهلهم بما يجري فــي السودان ، وهو هنا يلومهم على جهلهم أو تجاهل قادتهم بما يجري في السودان من مؤامرات ودسائس تحاك بليل لتقضي على كل معاني التحرر التي هي الغاية التي يسعى لها القطران ، وهو يريد أن تعرفـ مصر كل ما يجري في السودان حتى يسير القطران على نور وبصيرة ، ويعلموا أن الاستعمار [illegible] طريق كفاح الأمم.

يقول الشاعر :

أفاتك في السودان يجهل أمرها بلو مصر والسودان [illegible] يجيـب
تعد الآن أن تمشي على النور أمة تقاتل ما السودان وهو قريــب(١)

ثم يكون عتابه لمصر [illegible] أحداث آخرتها ورفض كلمتها واتباعها الآراء ، ويعلمهم أن كل ذلك ليس بمصلحة مصر ولا تحرير أي جزء من الوطن الإسلامي بأسره

ويسمي هذه الاتفاقات إضرارا بمصالح المسلمين ، أن أنستهم كل تلــك الضحايا التي مرت بها الشعوب الإسلامية في كفاحها ضد المستعمرين الغاصبين.

نحن من نحن [illegible] أن [illegible] بمصر أو سوانا وإن جئنا الفاطمين
[illegible] لا [illegible] قضية قالت السمع في كتائب [illegible]
ويلهم من [illegible] الخطايا [illegible] تتوق [illegible] لم يدم [illegible]
هل نسوا في [illegible] أنها أمدا ونسوا القوم بين ناب و[illegible]
أو عموها ثورة قطعها [illegible] خلقت أول دون أصــــ(٢)

---

(١) [illegible] ص ١٦
(٢) [illegible] ١٨

وعتابه لمصر يقترب أحيانا من الهجاء لكننا نسميه عتابا إذ النابعة التي يدعو لها واضحة في تحرير مصر والسودان فإن قسا على أحمد فإنما ذلك مبعثه إخلاصه أن ذلك عائق لمسيرة التحرر ومن هذا الخطاب الذي يشبه الهجاء ما يعاتب الشاعر أحمد شوقي وقد وصفه بأنه شاعر يمجد نيران الثورات العربية الإسلامية ، والعرب لا يريدون شاعراً يهدئ من ثورتهم على المستعمرين ، ولكنهم يريدون شاعر يذكي القريض الثائر الوجدان .

يقول :

كم [illegible] يا شوقي لسانا خامدا .... متخوفا من لفظة الشجعان ....

لم [illegible] في قلب الكنانة ثائر .... متخوف منه الشعب كيان ....

تمشي إلى مصر تريحك نجوى [illegible] .... فتكون مرآنا لذي السلطان

ما كنت قائد ثورة عربية .... أصبحت بعد لموطنها الأبطان

العرب شوقي ثاروا متعطشا [illegible] ... يذكي التحرير الثائر الوجدان ..(١)

ولعل هذه الثورة على شوقي لم تكن صادقة كل الصدق

إذ [illegible] شوقي ما يدعو للثورة العربية مثل قصيدته التائية التي [illegible] دمشق إثر عدوان الفرنسيين عليها ، وفي بيته الذي أصبح يجري على كل لسان دليل على صحة ما أقول ... وهو قوله :

وللحرية الحمراء باب بكل ...... يد مضرجة يدق

---

(١) [illegible] السابق ص ٦٥

وربما يكون من شيء أثر شعر حسين عثمان منصور في كتاب مصر أنفاسا حارة تدعو الثورة وتأبى الاستكانة للمستعمرين ، وهذا ما فعله في الميدان حسين حسبا كثيرا من العلماء الذين حادثوا المستعمرين خوفا على مناصبهم على حد تعبيره .

ومن أوجع ما كان يعاتب به حكام مصر خداعهم الشعب باسم الجهاد الاسلامي ، واستغلالهم هذه الداعية الدامية لاغتنام أموال الشعب وتقسيمها بينهم ، وهم بذلك يحلون الحرام ويحرمون الحلال ، [illegible] وثبا على هذه المناصب في غفلة من الزمان -- يقول :

لقد ثاروا بالشعب باسم جهادهم   وقد كان تضليلا ومحض توهم

ولم تك فيهم للجهاد دوافع   سوى شهوات الحكم [illegible]

قضوا على حزب الجهاد مخالفا   ومن جاهدوا حقا لهم كل مغرم

وأضحى مال الشعب نهبا مقسما   لأحبارهم والآخرين كمثلهم

لقد وثبوا في غفلة الشعب وثبة   بها حللوا في مصر كل محرم(١)

وظل حسين عثمان منصور يرسل مثل هذا الخطاب الحار الداعي الى الاصلاح ، ولما لم يجد أذنا من مجيب ، تركها لهم يقتسمون غنائمها اقتسام الذياب والذئاب ، ترك مصر وفي حناياه حبا عميقا راضيا أن يقف هذا الموقف من الحكام ... وهو أمام نفسه المدافع الذي سيحاسبه عليه في أي لحظة وهو يعاني ما يعانيه لا يرجو ثوابا من أحد وإنما يرجو الجزاء الأوفى من الله تعالى يوم الجزاء يقول :

---

(١) الشاطئ المهجور ص ٢٤٥

لا أبالي اذا [illegible] جاءت مصر مسكا من حبالها بالتقمص [illegible]

قد وجدنا [illegible] الذيابي [illegible] مشاكل وبؤسا في ال[illegible] داء [illegible]

ووجدنا بالرقة في قوة [illegible] [illegible] الـ[illegible] يوم الجزاء (١)

هذه الاشارات [illegible] ولاء الشعراء [illegible] تم من [illegible] .

يأبى أصحابه أن يشعروا أنهم [illegible] عن [illegible] مصرية عن [illegible] [illegible] من [illegible] وكان [illegible] الناسي كما يراه الدكتور عبده بدوي.

هذه [illegible] مصر في شعرهم ، لاحظنا أنهم عنوا بالعلاقة التي تربط بلادهم بمصر ، وقد اتفقوا على اختلاف [illegible] وجهات أنظارهم السياسية ، على ضرورة تنمية هذه العلاقة وبخاصة العلاقات الثقافية وقوامها الدين واللغة .

وقد تميزت نظرة شعراء وحدة وادي النيل لهذه العلاقة بالاصرار على تقويتها وربطها بالمستقبل السياسي للقطرين ولعله قد وضح من خلال النماذج التي قدمتها من شعرهم مدى حرصهم على اقامة وحدة سياسية وثقافية تقوم على دعائم الدين واللغة وأخوة الدماء الزكية وحسن الجوار والتاريخ ، وكان لا بد أن تتفاوت نظرات شعراء الوحدة انفسهم من شاعر لآخر .

فقد كان العباسي مثلا أعظمهم في نظرته لقيام هذه الوحدة ، وتبينا له [illegible] من الاحداث السياسية [illegible] في زمانه (٢) وكان يعتقد [illegible] الانجليز [illegible] لا يفرق بين نظرتهم [illegible] الشعب السودانـ

---

(١) الشاطئ المسحور، ص ٥٠

(٢) من ذلك رفضه لفكرة الدعوة الى القومية السودانيه باعتبارها وسيلة تفرقة

أو الشعب المصري أو أي شعب من الشعوب المسلمة ، لذا [illegible]
يحذر السودانيين والمصريين منهم ومن مكائدهم ، ويأخذ من تاريخهم [illegible]
في الدولة الاسلامية [illegible] .

وكان العباسي أيضا [illegible] معاصرا لهذه الأحداث السياسية التي تجري
في مصر [illegible] في السودان ، لذا [illegible]
يحذر [illegible] في مصر [illegible] أنهم عقوا عن السودان ...
[illegible] أن [illegible] أن يد المستعمرين [illegible]
الباطشة ستفصل عنهم السودان .

ومع أن بعض السودانيين من أهمية توثيق العلاقة بمصر فانه يلفت
انظار المصريين الى أن للسودانيين أدوارا هامة في مسيرة الكفاح
السياسي ، وفي الذود عن مصر ، بل انه يوضح لهم أن العلاقة
بين [illegible] ليست علاقة عبيد بمسود
[illegible] النهج الواضح في علاقة بلاده بمصر
ثباته على نهج واحد تمثل في حبه لمصر ، وحرصه على تمتين
وتقوية علاقتها ببلاده وكرامته [illegible] .

فلم يرد في الديوان ما يشير الى أنه قد غير في هذه المواقف [illegible]
حين أننا نراها تتفاوت من شاعر لآخر .

عبر عن كل هذه المعاني بصوت [illegible] على صياغته جزالة و[illegible]
بيان ووضوح [illegible] .

أما [illegible] الشيخ عبدالله عبدالرحمن ، فكان كالعباسي يرى أن السبيل
الى [illegible] وادي النيل بأسره لا يتم الا اذا تعاون القطران وأقاما [illegible]

دولة عربية إسلامية .

وقد كان يرى أن هذه الدولة هي الدولة الاسلامية التي يجب أن [illegible]

تشمل الوطن العربي بأسره .

وقد حفل ديوانه الأول بالتبشير بهذه الوحدة ، وقد رأينا أنه في

أكثر من قصيدة كان يرى أن وطنه هو الاسلام وأنه لا يرى غيره —

وطنا وأن كتابه القرآن لا يرى غيره كتابا غير أن الشاعر قد غير

من هذه المبادئ قليلا في ديوانه الثاني — ديوان العروبة .

[illegible] قصائده في هذا الديوان ، تتلون بلون سياسة مصر [illegible]

الحاكمين في الفترة التي صاحبت آخر عهد الشاعر السياسي فكثر حديثه

عن القومية العربية بما فيها من دعوة تلاحم فكرة الوحدة الإسلامية

بأكثر من حديثه [illegible] القومية العربية ، من ذلك قوله في هذا الديوان

عن الوحدة العربية :

أنا في الوحدة [illegible] من أمام منتظــــــر ...

والفرق واضح بين هذا المعنى وقوله في ديوانه الأول متحدثا عن

الوحدة الإسلامية :

شيء سوى الاسلام من وطن لنا ولا غير أهليه أهل صحابـــــا

كفى بقبول الله [illegible] وبالله ربا والكتاب كتابـــــا (1)

ومعنى الوحدة العربية الاسلامية ، هو المعنى الذي ركز عليه

السياسي عبد الله عبد الرحمن في ديوانه الأول والتيجاني والمحمد [illegible]

محمد صالح ركزوا عليه في تصوير رابطة العلاقة بين مصر والسودان .

---

(1) عبد الله عبد الرحمن الفجر الصادق ص ٢

من ذلك قول العباسي :

أعينونا نحن بني أبيكم	لنا حق ونحن الأقربونا
لنا بالدين والفصحى أواصر	وثيق ثم شد بنا قرونا
ونيل خالد كوثر [illegible]	بواديه الحياة لنا معينا (١)

[illegible] الشاعر أراد أن يوحي للمصريين بقوله ونحن الأقربون بعد أن [illegible] الأواصر متعددة تجعل نصرة المسلم للمسلم حقا يجب أن يتقدمه أداء :

وقريب من هذا المعنى قول الشاعر عبدالله عبدالرحمن :

ان تنصروا من علومكم في ربوعنا	لنرقى ولا كالعلم للشعب رافعا
تربطنا الفصحى وتربط بيننا	أصول من الاسلام تأبى التقاطعا (٢)

ومن ذلك قوله مشيرا الى الرابطة بين السودان ومصر :

تربطنا الفصحى ودين نحبه	ولا نحن نخشاه لنا الله واحد
[illegible] أي الناس ترغبون أخوة	آخاوت النيل في الاثام أناصل (٣)

والشاعر السعيد [illegible] على الرغم من أنه ليس داعيا لوحدة سياسية تربط بين مصر والسودان بإقامة دولة واحدة ، الا أنه ينادي بتقوية أواصر العروبة والإسلام بين البلدين ، وان الاعتصام بدين الله والاتحاد [illegible] لنتصر على الأعداء كما يقول :

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] (٤)

---

(١) ديوان العباسي ص ٢٠٦

(٢) الشعر [illegible] ١٢

(٣) الشعر العدد [illegible]

(٤) [illegible] ١٠٦

وقد يشير أحمد محمد صالح الى تعزيز أواصر العروبة والاسلام اشارة غير مباشرة ، مثل قوله يخاطب الشاعر على الجارم داعيا له لتعليم شباب وادى النيل الاخلاق العربية الاسلامية إذ أنها هى السبيل الوحيد لاعزاز الامة وبعدهم من التفسخ بتعاليم وقيم الفرنجة .

يقول :

علم شباب الواديين	الاخلاق العربية الامجد ....
علمهم أن الخنوع مذلة	والجبن يعدو [illegible] ....
علمهم أن الدين [illegible] ..	تسير فى [illegible] ومسجد ....
علمهم أن التفسخ	بالفرنجة غير مجدى ....
وابن لهم أن العروبة	فى اعزاز [illegible] .... (١)

أما الشاعر الثانى يوسف بشير ، فكان شبيها برفيقه العباسى وعبدالله عبدالرحمن فى الدعوة الى توحيد وادى النيل الا أنه لم يشر الى اشارات سياسية جامعة كما فعل العباسى ، ولكنه اكتفى بالتأكيد الشديد على توثيق عرى الفكر ، ونبه مصر لان تهتم بهذا المنهج الفكرى والا تنشغل بشئ سواه ، وهو بذلك يشير الى أن الاستقلال الثقافى [illegible] وربما نبع هذا من [illegible] قد يكون كثيرا من تعلقه بالجانب الأدبى

يقول مخاطبا مصر :

يامصر من طلائع الادب الباقى	لا تحفلى بأشياء أخرى ....
وثقى بالعلاقات من حيث لا .	ترى الا مسلك الفكر مجرى
كل ما فى الورى عدا العلم لا	يجدى شعبا ولا يمد [illegible] (٢)

---

(١) مع الاحرار ص ٢٨

(٢) اشراقة ص ٨٥

غير أننا لا نجد من يقترب من العباسي في التركيز على توثيق هذه العلاقة
الأخوية غير أنه يبدأ [illegible] التصور الاسلامي ليخط لها العباسي واحدة
[illegible] النشاط السياسي والفكري .
وتمتد المقارنة بين المعاني والعباسي في هذا المحور الى أبعد [illegible]
ميدان [illegible] العلاقة [illegible] بين مصر والسودان من استقامة الحياة ،
فالعباسي يرى أن [illegible] العلاقة [illegible] الوثيق [illegible] الحياة .
ما [illegible] الاثنين [illegible] أن [illegible] بين [illegible]
بين المعاني أن هذه [illegible] الثقافية والفكرية [illegible] في [illegible]
واحد [illegible] العوامل [illegible] يجري على
[illegible] بالخير [illegible] أو تحول .

كيف يأتونا تباعد بين شكرين ... هذا وساندا البحر أزرا ..
كيف تولوا بجانب النيل شعبه ... ويجري على جوانب أخرى .. (1)

والأمر لا يصل الى هذه الدرجة من القوة عند عبدالله عبدالرحمن ولكن
القوم ان فعلوا ذلك وتقاتلوا ، وأذاعوا بينهم من المبادئ ما يقلل
من الترابط الثقافي الذي يمثل الترويج لدعوة القومية السودانيـــة
إن فعلوا ذلك لا ريب أنهم سيوزعون على أعدائهم وسيقدمون على الهجمة .

أما والليالي العشر والشفع والوتر ... وما الخير في الاسلام الا المحرم
اذا لم تسدوا [illegible] ... تهونوا وفي غير العروبة تدغموا

ومن المعاني التي يكاد العباسي يكون متفردا فيها في علاقـــة
بمصر وتحذيره الشديد للسودان والمصريين من الاستعانة بمكائد الانجليز
من ذلك قوله محذرا [illegible] الخصم الذي ركن اليهم وأطمأنت نفســه
لدى وثوقهم :

---

(1) الشراقة ٨٦

أشار الى الطغاة المصريين وأنه [illegible] من عتوه حتى [illegible] من وراء الـثرى .

[illegible] [illegible] لم [illegible] [illegible] [illegible] فحاكموه لديه [illegible] [illegible] .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] (١)

ومن مظاهر تقديره المصريين من مآثر الانجليز [illegible] : [illegible] [illegible]

[illegible] المصريين :

أشار الى النيل في دائمه ابدا يساير في مصر لا بحاثا ولا أهـــــــا
(٢)
قال : ألا لبنى التايمز لا [illegible] [illegible] فاشتبيتم منه جرعـة مـــــا

[illegible] [illegible] العباسي على الا [illegible] في علاقته بالانجليز تراه يسارع

في [illegible] فهم بيت من شعره ، [illegible] [illegible] فبط [illegible] وهو [illegible]

[illegible] [illegible] المعتمد الانجليزي الذي اشرف على خزان [illegible] :

[illegible] في السد بالعباب [illegible] [illegible] بين البناة والناس [illegible]

لقد [illegible] أحدهم أنه أراد بالبناة المصريين ، فأسرع الشاعر بتوضيح معنى

البيت بهامش الديوان بقوله :

انما أعني بذلك الانجليز أما المصريون فهم أحبابي ؟! (٣) .

وهذه العلاقة بالانجليز خاصة بالعباسي فالشاعر عبدالله عبدالرحمن

والشاعر التجاني لم يمدحا الانجليز غير أنهما لم يكونا في مدائحهمــــا

لهم [illegible] و[illegible] وضوح العباسي والشاعر التجاني [illegible] اكتفى

بالتلميح باستغلال الانجليز لخيرات بلاده .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للآهلين [illegible] [illegible] . .

[illegible] الاجانب [illegible] [illegible] والقراء [illegible] في [illegible] [illegible] . .

أبا [illegible] بلادنا [illegible] [illegible] أثيا واستكبر الاز [illegible] (٤) .

(١) العباسي ص ٣٦
(٢) ديوان العباسي ص [illegible]
(٣) هامش الديوان ص [illegible]
(٤) اشراقة ٥٢

وليس في ديوان الشيخ عبدالله عبد الرحمن من الاشارات لعداء الانجليز عداء سافرا كعداء العباسي .

أما الشاعر احمد محمد صالح ، فكانت علاقته بالانجليز فيها مشوبة من الاعجاب بهم ، وببطولاتهم ، وله أبيات منشورة في ديوانه اثنى فيها على الانجليز وأبدى اعجابه ببطولاتهم الحربية ، في وقت كانت ثورات الكفاح الوطني في بلاده تشتد ضد بريطانيا وضد سياساتهم في مصر والسودان .

يقول عن الجندي البريطاني :

عبقري الروح والبدن عاتق	العلياء [illegible] .....
رضي للموت يالبسه	عند أطراف القنا اللدن ....
[illegible] عداه عابسه	في سبيل المجد والوطن ....
من بني التايمز كل فتى	صائب الرأي متزن ....
أمة الانجليز كم لهم	في رقاب الناس من منن .... (١)

وفي علاقة الشعر السوداني بمصر ، تناول الشيخ عبدالله عبدالرحمن أمورا هامة ، كالانفصال في السودان ، ونظر الجنوب بنظرة خاصة ، ولا غرو فقد كانت السياسة البريطانية تسعى الى فصم عرى الوصل بين مصر والسودان وبين شمال السودان وجنوبه ، لذا نراه يحث المصريين على الالتفات الى الانسان في جنوب السودان .

يقول :

أخاكم أخاكم بالجنوب تائه	كثير على جهل الدخيل مداخله
تساءله أين استقرت يد القوى	به وغدا منا بنوه تسائله
وفرقة [illegible]	فقد نهبت للفرق منها حبائله

(١) مع الأحرار ص ٧٢

ولا تذكروا الوقت المناسب انه   تشرد عنكم لا اليكم أوائلـــه (١)

هذه ملاحظات موجزة عن مصر في الشعر العربي في السودان في هذه الحقبة ، بصفة عامة ، ومن شعراء العباسي وعبدالله عبدالرحمن والتجاني وأحمد محمد صالح / خاصة وان موجز القول في هذا أن العلاقة بمصر كانت مثار اهتمام معظمهم ، وان الداعين لهذه الوحدة لم تشبهم شائبة قط في ضرورة توثيق علائق الإخاء بين هذين الشعبين ، اكتفى بعضهم بهذا الإخاء العام ودعا آخرون الى ضرورة قيام وحدة سياسية بين القطرين وهؤلاء وأولئك اتفقوا على أن هناك صلات حميمـــــة تربطهم بمصر هي صلات الدين واللغة والدم والنيل ... الخ .

---

(١) الفجر الصادق ص ٨٥

الفصل الثالث

المناسبات الدينية فى شعرهم

١) الهجرة النبوية
٢) المولد النبوى
٣) المناسبات الدينية الأخرى .

كانت المناسبات الدينية مجالا واسعا للتعبير عن خلجات الشعراء الدينية – تبدأ القصيدة بتمجيد المناسبة التى نظمت من أجلها – ثم تخرج الى ما يلامس أحاسيس المشاعر الدينية وما تصبو اليه أمته العربية الإسلامية من التحرر والانعتاق من الاستعمار ، وقد واجه شعر المناسبات الدينية حملات نقدية عنيفة قادها بعض النقاد المحدثين ، لقد وسموه بالمحاكاة وضعف العاطفة – وعدم الصدق الى غير ذلك من الصفات التى تقلل من أهميته وأهمية دوره فى حياة الناس السياسية والدينية ومن هؤلاء النقاد – الدكتور محمد ابراهيم الشوش – والدكتور محمد مصطفى هدارة – والأستاذ حمزة الملك طمبل ومحمد المكى ابراهيم وغيرهم .

واخالهم جميعا تأثروا بما كان يجرى فى مصر من آراء مدرسة الديوان وبخاصة آراء العقاد فى شعر المناسبات عند شوقى (١) .
واذا كان شعر المناسبات فيه كثير من الضعف ، فأعتقد أن الشعر

---

(١) من ذلك ماكتبه العقاد تحت عنوان الشعر فى مصر – فى كتابه ساعات بين الكتب ص ١٩٦ .

المناسبات الدينية ، مباعث أقوى من المناسبات العاديــــة ، فما أحسب أن القاء قصيدة بمناسبة انشاء كبرى (قنطرة) تكــون له بواعث قصيدة تكتب في الاحتفال بالهجرة النبوية تلــك الهجرة التى غيرت خط سير الدعوة الاسلامية ، فهيأت لهــا أسباب النصر والعزة والمنعة .

لقد كان لهذه المناسبة الدينية آثار عميقة فى نفــوس الشعراء فكانوا يستحضرون عظمــة مجدهم الاسلامى . وهم يكتبون الشعر فى هذه المناسبات يربطون بين واقعهم الذى يعيشونــه بما فيه من قيود تكبل أمتهم ، وبين ذلك المجد العربــى الاسلامى ويشورون داعين أمتهم للتحرير لاعادة ذلك المجد فدعــوا للتحرير من الاستعمــار البريطانــى . بل وثاروا على التخلف الاجتماعى وانسلاخ بعض الناس عن قيم الدين فكان شعرهم فــى المناسبات الدينية ثورة وطنية واجتماعية وخلقية وقد غابــت هذه الحقيقة عن كثير من الدارسين لهذا الأدب . ومنهــم الدكتــور محمد ابراهيم الشوش ، ومن آرائــه عن هذه المناسبات أن شعراءها كانت تستحوذ عليهم فكرة الرجعة وهى فكرة رومانسية حالمة تدعو الى العودة الى مجد العرب والمسلمين الغابــر ، وترسم صورة وردية للتاريخ العربى تهرب اليها مما تحســه من ضعف وهوان وضعة وتأخر ، بالمقارنة بالأمم الغربيـــة المتقدمة ، ويرى ان الشعراء السودانيين فى أوائل عصر النهضة عضوا على هذه الرجعة الرومانسية بالنواجز (١) .

وهو يرى أن هذا المنحى تقليد للأقدمين ، ومن ثــم كان عنصر الصدق فيه ضعيفــة ، وقد اضطربت آراؤه فـــى

---

(١) محمد ابراهيم الشوش الشعر الحديث فى السودان ص ٤٢ .

هذا الموضوع بينما يراهم مالدين بعضهم يقول أن الشعب السوداني شعب متدين رسخت في أعماقه رواسب دينية ، واثارة هذه العواطف الدينية في نفس الشعب أقرب طريق الى لون من الانفعال والتجاوب الذي يمكن الشاعر من توصيل حقائقه واخيلته وأفكاره (١) .

واذا كان هؤلاء الشعراء من نفس هذا الشعب الذي تجري العقيدة الدينية في أعماقه ، فما الذي يحول دونهم والتعبير الصادق عن عواطفهم الدينية والوطنية وهم يشدون شعرهم في تلك المناسبات الدينية التي غيرت مسيرة التاريخ الانساني بأسره ؟ .

أوليست العاطفة الدينية كافية لالهامهم شعرا صادقا ؟ الاجابة على ذلك لا تحتاج الى جدال ، فان العاطفة الدينية هي التي ألهمتهم هذه المشاعر الجياشة التي يحدوا بها التاريخ أمتهم ، والتي سموا بها لأن تلحق أمتهم ذلك المجد العريق .

لقد وفق الأستاذ محمد محمد علي رحمة الله في رده على دكتور النصورى يقول عن شعر المناسبات الدينية في السودان في تلك الحقبة .

(عرف جيلهم ما يجري في العالم العربي والاسلامي ، ورأى كيف كان يستخدم أولئك الشعراء المصريون والشاميون والعراقيون

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

ماضى العروبة والاسلام سلاحا فى مطاردة الاستعمار ، فأخذ هذا الجيل يخوض المعركة وعليه درع من جلال الدين ، ويقول وكانت هذه القصائد فى معظم الأحوال فيضا من قلوبهم وتدفقا حارا من وجدانهم (١) .

ويسوق دليلا آخر على صدق عواطفهم فى شعر المناسبات الدينية حيث أعملوه فى ماضى الاسلام والعروبة سلاحا لتحرير بلادهم .

فقصة الدين والعروبة هى قصة كيانهم فعلى الدين والعروبة نهضت سنار واخواتها من الدويلات العربية الاسلامية ، وبالدين والعروبة قضوا على التركية الظالمة والآن ليس بأيديهم سلاح سوى تمسكهم بدينهم وعروبتهم (٢) .

وأعتقد أن هذا سلاح سيظل السلاح الحاسم فى القضاء على كل لون من ألوان الطغيان ، متى كان استعماله استعمالا قوامه صدق الايمان ، والاعتداد بذلك الماضى وقيمه والتطلع لاعادة صورة حية كما كان الأوائل يؤمنون بقيمتها ومثلها ويلبثونها رغم عوادى الزمان .

وقد جرى مجرى الشوق عدد من الباحثين الذين أرخوا لتطور الفكر السودانى ، فمنهم من أنكر على هؤلاء الشعراء انتماءهم الى العروبة بحجة أن السودان ليس بلدا عربيا

---

(١) محمد محمد على الشعر السودانى فى المعارك السياسية ص ٣١ .

(٢) محمد محمد على المرجع السابق ص ٣١٣ .

خالص العروبة ، وهؤلاء لا يدركون المعنى الصحيح الذى حدد به الاسلام معنى العروبة ، وهى كما أشرت سابقا ، عروبة الدين واللسان وليست عروبة العرق .

ومن هؤلاء الباحثين الكاتب محمد المكى ابراهيم حيث يشير الى تعلقهم على حد تعبيره بالعروبة فيقول : (والى جانب هذا التقمص المتعصب للعربية القديمة نجد ظاهرة الحنين الى الماضى العربى الذى تشترك فيه مع الأجيال العربية المعاصرة ، فترى المثقفين يحتفلون بالمولد النبوى والعام الهجرى ، ويضيف ذلك الى قوله (لم يقف ذلك التقمص عند الحدود اللغوية فحسب بل تعداها الى النواحى الدينية فلما ظلوا حريصين على تقمص التراث اللغوى كانوا أشد حرصا على تقمص التراث الدينى وما يزخر به من تقاليد)[1].

وهذا كلام لا يحتاج الى جهد فى إبطال ما رمى اليه فانه يفهم العروبة والاسلام ، انهما قائمان على الانتماء العرقى وكأنه يرى أن الدم العربى الخالص هو وحده الذى ينافح عن الاسلام والعروبة ، وان احساسهم باسلامهم وعروبتهم لا يعد شاعرا ، وكأنه تواشج بين الفكر والعاطفة والعقيدة ، التى توجه كل ما يصدر عن الانسان من أدب وهذا ما نعاوه ومن النقاد الذين نحوا منحى الشوقى فى نظرتهم لأدب المناسبات الدينية ـ الناقد المصرى الدكتور محمد مصطفى هدارة فهو يرى أن دعوات الاصلاح الدينى والسياسى والاجتماعى ، ان هى الا تقليد القدماء شأنهم فى ذلك شأن الكلاسيكيين الاوربيين يقول (وإذا كان الكلاسيكيون الأوربيون يتمسكون بالفضيلة ويرون أن الفنون والآداب يجب أن تحض عليها وكان ذلك أيضا

---

(1) : محمد المكى ابراهيم ـ الفكر السودانى اصوله وتطوره ص ٤١ .

من مراحل الأدب عند العرب القدماء لهذا نجد الكلاسيكيين العرب ساروا في هذا الاتجاه نفسه ويصيب في هذا السبيل مثلا جاء في مقدمة ديوان عبد الله محمد عمر البنا في فهمه للشعر – يقول البنا (أما بعد فان الشعر ترجمان القلوب الحية وشفاء الصدور المعتلة ومجمع الفضائل وصقال الأعراض وتنقيتها من أدران الرذائل .

وما أحسب أن البنا جانب الحقيقة كثيرا ، فان ما ذكره من المعاني التي ينبغي أن يصورها الشعر الرفيع ، وما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الشعر (وان من الشعر لحكمة ببعيد عن هذه المعاني) .

ويتابع الدكتور هداره نقده لهذا الاتجاه الذي يستمد قيمته من التراث العربي الاسلامي فيقول ؟

وآفة الشعر التقليدي اصطياد المناسبات التي يرغم الشاعر نفسه فيها[1] سواء أكانت المناسبة دينية ام اجتماعية أم سياسية ولست أدري من أين استقى الكاتب قوله ان الشاعر يرغم نفسه في هذه المناسبات ؟ أوليس من الجائز ان لم يكن من المرجح ان الشاعر يجد في هذه المناسبة مجالا مناسبا لبعث مواطفه ومواجده الدينية والسياسية والوطنية .

وفي خلال حديثه عن هذا الشعر في هذه المرحلة التي سمى شعرها بالتقليدي – وصل الى حقيقة غريبة وكأنها حتمية لا تقبل الجدل وهي ان هذا الشعر التقليدي استنفد

---

(١) [illegible] هدارة – تيارات الشعر العربي في السودان ص : ٢[illegible] .

أغراضه بعد التطور الذي أصاب المجتمع السوداني ، وأن ثورة اكتوبر ١٩٦٤ كانت الحد الفاصل بينه في الفكر السوداني لأنها شهدت سقوط القديم وعزلته (١) .

وهذا كلام كما نرى ، لم يقدم فيه برهانا واحدا على صحته فما هو ذلك التطور الفكري الذي جعل الشعر التقليدي في السودان يستنفذ أغراضه ؟ ما تزال تلك القيم العربية والإسلامية لها في نفوس المحدثين أعمق الأثر وما يزالون يستوحونها في كثير مما يكتبون ، وليست لثورة اكتوبر من تحولات في الفكر السوداني ، بل ظل ذلك الفكر [illegible] حاضره بماضيه ومستقبله متطورا فيه لمواكبة القيم الاساسية التي قام عليها ماضيه المشرق .

هذا حديث مجمل عن شعر المناسبات الدينية في السودان في تلك الحقبة ، وما يتبع ذلك من آراء اثيرت حوله وحول الشعر العربي الذي يسمى بالتقليدي .

ولقد اتضح لي أن هذه المناسبات الدينية ان هي إلا مجالات يجد فيها الشعراء فرصا لصياغة ما يحتمل في نفوسهم ، كل وفق نظرته ، وكان لابد أن ترتبط ، بالشكوى من الواقع المرير وأن يصحب هذه الشكوى دعوة لتغيير الواقع وكان لابد أن يختلف [illegible] هؤلاء الشعراء في تناولهم لتلك المناسبات وفي تصوير مشاعرهم كل وفق قدراته الفنية ومواهبه وصدق مشاعره .

---

(١) محمد مصطفى هدارة المرجع السابق ص ١٠٨ .

وهكذا كانت المناسبات الدينية كثيرة ، ومتعددة المضامين مما يحصر حديثي على أهم تلك المناسبات .

وأبدأ بالهجرة :-

الهجرة النبوية الشريفة

لا ريب أن الهجرة النبوية هي أكبر حدث في تاريخ الاسلام والمسلمين حيث كانت نقطة التحول من حياة لاقى المسلمون فيها العذاب الى حياة وجدوا فيها الترحاب والاعزاز وتفرغوا لنشر دعوتهم وارساء قواعد دولتهم وتلقي الوحي المشرع لتلك الدولة ، وقد تبع ذلك اعداد جيوشهم القوية التي اخضعت طغيان الكفران الذي أبى أن ينصاع الى صوت الحق .

وقد حفلت كتب السيرة بتفصيلات دقيقة كلها تدل على صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتضحيته هو وصاحبه أبو بكر وابن عمه علي بن أبي طالب ، وتحدثت عن استبشار أهل يثرب (المدينة) بالداعي الجديد (١) .

ويقص القرآن الكريم حكاية كفار مكة مع الرسول واصرارهم على ايذائه حتى نصره الله تعالى بهذه الهجرة وجعل كلمة الدين هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى يقول تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا

---

(١) : سيرة ابن هشام ص ١٧ - الجزء الثاني - وما يليها من الصفحات .

ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (١) .

لقد انتصر الدين بتلك الهجرة واحتفى المسلمون بيثرب (المدينة) بمقدم الرسول الكريم ، وتغنى المسلمون فيها ابتهاجا بالدين الجديد :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

وما برح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يتبعون تلك السنة الحميدة ففي بداية كل عام هجري يعيدون ذكرى تلك الهجرة العظيمة ويتمثلون عظمتها ، بل انهم جعلوها تقويما لهم ، بها يؤرخون لأحداث حياتهم .

وكان السودانيون كسائر المسلمين يعظمون ذكرى تلك الهجرة فكان لابد للشعر أن يصور خلجات نفوسهم وهم يسجلون خواطرهم في كل عام يطالع عليهم فيه هلال المحرم وان الشعر العربي الذي صيغ في هذه المناسبة من الكثرة — بحيث لا يغني هذا الجزء من البحث بحصره ودراسة معانيه وخصائصه .

---

(١) : سورة التوبة الآية — ٤٠ .

وسأقف عند أشهر نماذجه ـ لعلى أستطيع أن أبيّن أهم الموضوعات والمعانى التى سجلوها فى هذه المناسبة ولعل أشهر قصيدة من أشعار الهجرة فى هذه الحقبة قصيدة الشيخ عبد الله محمد عمر البنا بعنوان تحية العام الهجرى ١٣٣١ ـ فلقد أثارت مشاعر المسلمين الدينية وأعادت أذهانهم الى أمجاد المسلمين الأوائل .

وهى نونية ناجى فيها هلال المحرم وسأله عن أخبار الدنيا ما جرى وما يجرى فيها ، وعن الدين وأمجاده الغابرة فلعل فى ردّ الهلال عليه ما يشفى وجده ، ويخفف برحاءه مما أصاب مجد المسلمين ، ومطلع القصيدة هو :-

يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين
حدث فان حديثا منك يشفينى

لقد تناول الأستاذ على المك ـ هذه القصيدة فى مقدمته الطبعة الثانية من ديوان البنا ـ مشيرا لما بها من حكم مثل أن الملوك وان عزوا الى هون ، وان كل مجد الى زوال . ويشير الى بكائه على أمجاد العرب السالفة (١) .

وأعتقد أن القارىء لهذه القصيدة يقف فيها على قيم أخرى كثيرة لعل أهمها صدق عاطفة الشاعر وهو يرسل هذه الزفرات على فقد المجد ، وهى زفرات رغم ما خلفت به من أسى الا أنها لا تستسلم للأسى والضعف الذى يدمر نفوس الضعاف ، ولكنه يذكر الناس بماضى أمتهم ذلك الماضى

---

(١) : مقدمة ديوان البنا ص ـ ١٥ .

التقوى الذى يجب أن يعيده الناس قويا فى صورة أمة سودانية مسلمة .

ويتابع الشاعر ذلك السجل الحافل فى تاريخ المسلمين يذكر علومهم ، وقدراتهم السياسية البارعة فى تسيير دفة الملك ، فتغنى دولة بنى العباس أمجاد طواها الدهر .

وأرهفت بدارها بغنى بغداد داثرها
وأندب بها كل ماضى الحزم ميمون

سلها تخبرك كم ضمت مقابرها
من ذى حفاظ وبذل غير ممنون

ومن معاوية عن شاتميه تحكم
منا وأعطى برأى غير مرهون

بأسر جروح مقال ليس يؤلمه
بالمال ، والمال من أجدى القرابين (١)

وفى الدولة الاسلامية الأولى يقف عند قممها الشامخات يذكر عطف الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبره بالمساكين والضعفاء والمحرومين ، واتباع صحابته له فى هذا العطف مقتبسين من صفاته وورعه وتقواه وعطفه وبره .

يقول :-

وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى
جم الأيادى من الشم العرانين

---

(١) : ديوان البنا ص ـ ٦٤ .

وأذكر خيالى للفاروق أرقبـــه
فيها التقى وحنـان بالمساكين
وثم تفجر المصطفى بهنا كرما
عطفا ورفقا ببـاد الفقر محزون (١)

ونلاحظ انه يبدأ فى التاريخ من حيث انتهت أمجـاد المسلمين ، ويتابع أيامهم حتى يصل الى ازدهارها فى العهد النبوى ولعل فى ذلك اشارة الى نهاية المجد العظيم بسقوط بغداد فى أيدى التتار ، ومن ثم أرخ لأمجادهم قبل تلك الحقبـة .

وبعد هذا العرض التاريخى لأمجاد المسلمين الذى يجمع بين الاعتداد بذلك المجد ، والأسى على ضياعه يصل الشاعر الى غرضه الأساسى وهو حث أمته الى السعى حتى يتحرروا من الاستعمار ليجددوا صور ذلك المجد الغابـر .

ويسلك فى ذلك أسلوب التقريع والتوبيخ وهو محق فـى ذلك فان الاسلام دين قوة يأبى الذل والهوان فكيف يرضـون بالـدون من الامـور وطبيعة دينهم العليا تأبـى ذلك وهـل يحقق المجد جبان هين ؟

ترضون بالدون والعلياء تقسـم
لا تدين يوما الراضى النفس بالدون
والمجد ينأى فلا ترنو مراكبه
من الجبان ولا ينقاد بالهون

---

(١) : ديـوان البنا ص ١٤

تفرق وتوان واتباع هوى
ان الهوى لهوان غير مأمون
والحادثات تريكم كل آونة
ان التقاطع من شأن المجانين (١)

وواضح ان الشاعر مع هذا التقريع بغير اليهم اشارة واضحة الى أن من أهم أسباب ذلك الهوان تفرق الكلمة واتباع الهوى ، وواضح أنه يستأنس بمعانى القرآن الكريم مثل قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " ومثل قوله تعالى " ولا تنازعوا فتفشلوا ويذهب ريحكم ".

وفى القصيدة نجد لاذع لكثير من المظاهر المخيفة التى ملأت حياة المسلمين ، يذكر منها اعراض الناس عن العلم ، والتقاطهم الى الأخبار الملفقة الكاذبة ، وركونهم الى المفاسد من ضعف فى النفوس ، وانعدام المروءة ؛ وتبدد فى النفوس يجعل أصحابه أسيرين لمخاوفهم فلا رأى لهم بل آراؤهم سجينة رغم أن أصحابها طلقاء .

يقول :-

فالمدارس مهجوران وسخرية
وفى المتاجر ضعف غير موزون
فمن غنى فقير [illegible] مروءته
ومن قوى بضعف النفس مرهون
ومن طليق حبيس الرأى منقبض
فأعجب لمنطلق فى الأرض مسجون

---

(١) : نفسه .

ثم يخص بهذا النقد اللاذع بعض رجال الدين الذين يحتالون لجمع الدنيا ، بتمسكهم بالدين ، فيأكلون أموال الناس ظلما ، ويخدرونهم ويحجبون عنهم ما في الدنيا من ثورة على الباطل ومن دعوة صريحة لتحرير الانسان من كل خوف الا من خالقه .

يقول :

وهيكل تبعثه الناس عن سرف

للسامرين بلا عقل ولا دين

يحتال بالدين للدنيا فيجمعها

سحتا وتورده في قاع سجين

ومع هذا النقد الصريح فإن الشاعر غير يائس من جماهير المسلمين فهي عنده مناط الرجاء ، لتحقيق الأهداف المأمولة ولذا فهو يشير اليهم في صراحة وقوة الى سبل النجاة فهم ليسوا بالهينين بل هم السيوف الصوارم التي ستعين كل ملهوف صارخ ، وان السبيل لتحقيق تلك الأهداف يتمثل عنده في التواضع واتباع العقل الرشيد والصبر على المكاره والحزم هو أزكى الموازين .

يقول :-

أحبتي هي نفس طاح طائحها

من الشجون فلم تبخل بمكنون

نزت منكم سيوفا في مضاربها

عون الصريخ وارهاب المطاعين

ان الحياة لمضمار اذا ازدحمت

بها الرجال تردى كل مفتون

لها وسائل ان تحمد أواصرها
تبين المجد فيها أى تبييـــين

تواضع وتأن واتبـاع نهـــى
والصبر والحزم أزكى فى الموازين (١)

ويدعوهم فى نهايتها الى الاحسان ، والعناية بنشـــر العلم ، وتزيين العلم بالاخلاق ، وكانت هذه هى مقومـــات النهضـــة فى زمانهم ذلك ـ وما تزال أهم دعائم النهضة .

يقول :ـ

فأحســنوا انما الاحسان واسطة
للعاملين به فى كل تمكـــين

ثم أنشروا من شريف العلم أنفعه
فانما هو مبنى كل تمديـــن

العلم زين ، وبالاخلاق رفعتـــه
ان قارنته بدا فى خير تزيين

ان الخلائق ان طابت منابتهـــا
كانت تكسب المعالى كالبراهين (٢)

وأتى مثل هذه الدعوة الى العلم الذى تدعمه الاخـــلاق دعا الشاعر محمد سعيد العباسى فى قصيدته يوم التعليم

---

(١) : نفس المرجع .

(٢) : ديوان العباسى ص ـ ٦٦

حيث يقول :-

العلم يا قوم ينبوع السعادة كم
هدى وكم فك أغلالا وأطواقا

فعلموا النشء علما يستبين به
سبل الحياة وقبل العلم أخلاقا (١)

ومعلوم أن مؤتمر الخريجين العام الذي قاد حركة تحرير السودان كانت أهم سلاح استعمله هو نشر العلم وبناء المدارس ، وإقامة الندوات ، وذلك لتبصير الناس بأهمية الحرية وحقها في نيل الخلاص - ثم فك الأغلال والأطواق ما يشير الى أغلال و أطواق المستعمرين الذي طوقوا بها الشعوب العربية والاسلامية ردحا طويلا من الزمان والعباسي وابنه هاشم في جبهة واحدة وفي مناخ سياسي متقارب جدا مع اختلاف يسير اختارة كل منهما لطريقة التحرير ، الا انهما كانا يتفقان في ضرورة نشر العلم .

وقد احتفى الشاعر عبد الله بالهجرة النبوية في ديوانه الأول الفجر الصادق ، فأفرد لها بابا خاصا سماه بالهجريات - وقد جمعت قصائد الهجرة في عشر، عددا من المعاني الاسلامية مثل مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمجيده هذه الهجرة والالتفات الى الأمة الاسلامية ، والأمة العربية ، والأمة السودانية ، خاصة

---

(١) : ديوان العباسي ٨٨

ايمانا باقتفاء أثر المسلمين الأوائل ، ففى صدر قصائد الهجرة – نقرأ له قصيدة بعنوان حيّ الهلال تبدأ بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم رسول البر والاحسان ذو الخلق العظيم :-

ذكرى بهجرة خير الخلق من مضر
محمد مظهر الاسلام حاميه
البر والعدل والاحسان ملته
وخلقه الذكر أحيينا مبانيه

ويخرج بعد ذلك الى بنى وطنه يحثهم فى أسلوب خطابى مباشر الى التمسك بالخلق والتآخى ، محذرا اياهم من مغبة الاختلاف :-

تمسكوا بكريم الخلق وازدرعوا
بذور الاخاء وشدوا من أواخيه
لا تصبحوا شيعا شتى فذا مخصم
فالخلف من مثلكم مسبب تلاشيه (١)

ويأبى الشاعر أن تكون احتفالات الناس بالهجرة حفلا يقام لكل عام ويعاد فيه كلام ، لا أثر له فى تقدم الأمة ، ولكنه يرى أن الاحتفال الحقيقى أن تتجه الى شبابنا نربيه ببناء دولة الآداب .

---

(١) : الشعر الصادق ص ـ ٦

ما الحفل في كل عام كل مقصدنا
لكن صرحا من الآداب نحميه
لأن وجدنا مثالا صالحا حسنا
أولا عمدنا الى شعب نرقيه (١)

ثم يخرج الشاعر من هذا المحيط الضيق الذي يتقيد بمشكلات السودان وحده الى رحاب أوسع ، يخرج الى محيط الأمة الاسلامية جمعاء ، ولعل الشيخ عبد الله عبد الرحمن أوسع شعراء عصره في هذا المجال ، فانه كثيرا ما نص في شعره على ان أمته ، وان وطنه هو الوطن الاسلامي .

وله قصيدة فياضة بهذه المعاني عنوانها ذكريات يجتليها العصر ينادي بني الشرق الاسلامي بأسرهم ليتعاونوا لبناء أمة الاسلام التي تبددت نفوس بنيها وطارت شعاعا .

بني الشرق والاسلام في كل موطن
يحييكم مني على النأى مسلم
تعالوا نجدد من عهود تصرمت
وما الشأن في عهد الكرام التصرم
تعالوا نجمع من نفوس تفرقت
شعاعا ولا نأخذ بما يتوهم

ويرى أن أواصر الاسلام هي التي تجمع بينهم وتوحدهم (٢) على المضي قدما لتحقيق غاياتهم ، ويرمز لتلك الصلات الاسلامية بطلة الهجرة الزهراء ، فهي آصرة قوية .

---

(١) : نفسه
(٢) : المرجع السابق ص ٦

وفى الهجرة الزهراء ذكرى قريبة
تمت بأسباب الحنيف وتعصم

وان نحييها نحى النفوس كبيرة
وان جلت فى أرضها الخطوب تهضم

وتمضى القصيدة فى حث المسلمين على التواشج والتعاضد الى أن يختمها بهذه الشكوى والتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم :

عليك رسول الله نلقى رجاءنا
فقد جلت منا الحادثات تهدم

ونستنزل الارشاد من روحك السنى
على كل من نلقى السلام تحوم

أصلى عليكم ثم اذكركم بما
يذيكم منه فطوبوا وسلموا

احمد ابن عبد الله أوصى فأنه
به يبدأ الذكر الجميل ويختم (1)

وفى قصيدة أخرى ـ بعنوان (وهجرى فضل كل مسلم) يريد الروابط القائمة بين المسلمين تأكيدا وتوضيحا فأنهم رغم تباعد ديارهم فقد ربط بينهم البيت الحرام ووحدتهم فيه قبلة واحدة .

يقول :ـ

أقاموا بخير ما أقاموا لدينهم
مقيمين يرعاهم بشين شهودا

---

(1) : المرجع نفسه .

يحييك من أوطانهم كل مسلم
وإن طوحته الحادثات بعيدا

لقد ربط الدين الحنيف قلوبنا
وأوجد منا للسلام وفودا

وجند منا والخطوب بمرصد
يد الدهر النصال إ له وجنودا (١)

ويحدد الفوائد التي يجب أن نجنيها من احتفالاتنا بهذا العيد الهجري ، فهو عيد إخاء وتسامح ، وعيد نحيي فيه النفوس الميتة بإعادتها لحظيرة الدين ، وبه نصلح كل عاداتنا التي لا تتمشى مع تعاليم الدين ، وننشر فيه العلم ، ونقيم نهضتنا على أساس نهضة قوية .

يقول :-

ونحيي حفل كل عام نقيمه
ونجعل منه للأخوة عيدا

أتمناه نستحي النفوس ونرتقي
الشعور وأسعد بالشعور بعيدا

ونصلح عادات سمجت وأصبحت
أقامت على غير السديد قعودا

ونرضي أرباب العلوم لرشدهم
فما كل من أوتي العلوم رشيدا

ألا رب شعب يجور بربه
من التعديد ما كل السلام سديدا

---

(١) بالفجر الصادق – ص :

ونبني على الإقدام أساس نهضته
من اللائي تتوي بالحديد حديدا (١)

فإن أخا الآداب في كل أمة
إلى المجد دفاع بها لتسودا (٢)

وقد يجمع الشاعر فرحته بيوم الهجرة ويوم التعليم ويرى أنهما عيدان بمثابة عيد واحد ففيهما تتلاقى الكرامة والعزة ، وان العلم الصحيح هو ما سار على هدى الشرع ، يقول عن الاحتفال بيوم التعليم ويوم الهجرة :

أيهما موسما دين وعلم تلاقيا
كما تتلاقى في الصدور القلائد

إذا ما دعا للعلم داع فقد دعا
إلى الدين فالإسلام والعلم واحد

متى أعوز العلم الصحيح شواهد
أتته من الذكر الحكيم شواهد (٣)

فإن هما الشاعران البنا ، وعبد الله عبد الرحمن في تناولهما الهجرة النبوية ، فقد لاحظنا أن عناية البنا توجهت نحو القضايا الوطنية والاجتماعية التي يسـ

---

(١) :

(٢) :

(٣) :

ان سبب انتشار الغناء فيها سببه بعدهم عن تعاليم صاحب الهجرة ، ومن ثم حث الناس على التمسك بها لتحرير السودان من أغلال قيود المحتل .

على حين ان عبد الله عبد الرحمن الى جانب القضايا الوطنية الداخلية ركز على مطالبة المجتمع الاسلامى بأسره داعيا الى تحقيق وحدة اسلامية تجعل من الدين الاسلامى كله وطنا واحدا .

أما الشاعران محمد سعيد العباسى وأحمد محمد صالح ؛ فقد إختلف أمرهما فى هذه الهجرة ، فالشاعر العباسى رغم أنه أكثر الشعراء السودانيين تمسكا بالدعوة الى وحدة عربية اسلامية كما لاحظنا ، فقد خلا ديوانه تماما من شعر المناسبات الدينية ، ولعله ما كان منتظرا مناسبة بعينها ليذيع تأملاته الحسان؟ بل كانت الأحداث السياسية والاجتماعية كلها مجالا تجد أفكاره العربية الاسلامية .

وإن كانت ثمة مناسبة أطال عندها الوقوف فهى يوم التعليم ضمنها كثيرا من آرائه السياسية والاسلامية مثل رأيه فى الفكرة القومية السودانية ومناوأتها المفكر الاسلامى وتوحيد الأمة العربية ، وتحدث فيها عن العلم الذى ينحو منحى أخلاقى ، أما الشاعر أحمد محمد صالح : فلم يحو ديوانه قصائد فى شعر المناسبات الدينية الا فى فترة متأخرة من حياته .

فقد كانت القصيدة الأولى فى ذكرى العام الهجرة عام ١٣٨٧ — والثانية عام ١٣٧٨ — وفى كليهما لم يتبلور حسه

العربي الاسلامي بصورة واضحة ، والقصيدتان خارجتان عـــن الدائرة الزمانية التي يدور حولهما هذا البحث .

ومن ذلك فان نظرة عجلى لهذين النصين ترينا أن الشاعر كان متأثرا جدا بالخلاف السياسي بين الزعماء العرب ، فما برح يدعو إلى التوحيد ، فهو يوجه الحديث لجمال عبدالناصر أن يصافي الملك سعود والملك الحسين ، ويوجه الحديث الصريـــح لهؤلاء الزعماء ليجعلوا دين الله وشرعه الداعي لتوحيـــد الأمـــة الاسلامية نبراسا (١) .

والشاعر عبد الرحمن شوقي يستقبل هلال الهجرة ثائرا على أوضاع المسلمين وما يعانونه من الظلم ، بينما الغـــرب المســـيحي ينعم بالعيش ، ويتساءل كيف يشقى من يعبد الرحمن ويسعد من يعبد الطاغوت ؟ .

يقـــول :ـ

هلال بدا في الغرب والشرق مظلم
ومن عجب أن تبصر الشرق مظلما

أرى الغرب أفراحا أقاموا وجنـــة
وفي الشرق أحزانا ألمّا وجهنما

أمن يعبد الرحمن يشقى بدينـــــه
ومن يعبد الطاغوت يحيا مكرما (٢)

ومع هذه الغضبة يبدي الشاعر حبا عميقا لبلاده ويهفو ويتطلع لليوم الذي تهب فيه أمته الاسلامية بأسرها للجهاد

---

(١) : ديوان مع الأحرار ص ٦٧ ـ ص ١٠٠

(٢) : نفثات اليراع ص ١٨٢

الجهاد يزيل هذه الأحزان ، وما بلاده الا بلاد الاسلام بأسرها .

بلادى انها روحى وجسمى ودمها
فؤادى وفيها لا أزال متيما
أرى الخلد فيها والمقام وطيبة
وسيناء والبيت العتيق وزمزما (١)

وهل يرى الشاعر هذه البلاد وقد تحررت تماما من ظلم المستعمرين ؟ هل سيرى جنود بلاده تهجم كالأسود الضارية لتحيل هذا الظلام الى ضوء ؟..

انه لا ييأس من ذلك ومن ثم يحث القوم على الجهد الذى يبنى ما قد هدم من صروح المسلمين .

يقول :-

فيا ليت شعرى هل أرى الخيل جاريا
طليقا كعهدى إذ يسيل فعندما
وهل سأرى يوما من الغاب أسده
تذود اذا ما الليل فى الغاب أظلما
أعيدوا على الاسلام عهد شبابه
وشيدوا له الركن الذى قد تهدما
وهل يرتجى الاصلاح والشعب نائم
وهل يبلغ الآمال من كان نائما ؟

وتزداد هذه الدعوة الى التحرير وضوحا وقوة عندما يخاطب بنى وطنه أن يمضوا للجهاد رغم كل الصعاب ،

---

(٢) : نفسه .

بنى وطنى والموت حتم على الفتى

ومن مات للأوطان مات مكرما

أليس لنا أن نشرئب الى العلا

وان مسنا الارهاق أن نتبرما(١)

الى أن يقول :

أضئ يا هلال الشهر وأشرق مساءها

ونور حولنا وأشرق علينا مبسما(٢)

ومن الشعراء الذين كانت للهجرة النبوية فى شعرهم أصداء واسعة ، ومناسبة قوية لاثارة العديد من الآراء السياسية والاجتماعية التى تعمل على تقويم المجتمع وتدعو الى تحرير البلاد ، وتنتقد كثيرا من مظاهر الخداع والكذب التى يتحلى بها بعض الزعماء الدينيين ، من هؤلاء ، الشاعر محمد المهدى المجذوب ، نقف عند ثلاث قصائد فى ديوانه ((منابر)) وهو ديوان يحوى شعره السياسى الذى ألقاه فى مختلف المنابر السياسية .

القصيدة الأولى فى ذكرى الهجرة النبوية عام ١٩٤٣ :

تبدأ بصيحة قوية تكبر – صيحة الحق التى صدع بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهوت لها كل أصنام العرب ،

---

(١) : نفسه

(٢) : نفسه

تلك الصيحة التي بدأت في مكة واكتملت لها أسباب النجاح بعد أن هاجر المدينة .

الله أكبر وافى عرشه بشر
به تكيف مشهود ومستتر

تكبيرة صدحت في الغيب سابقة
وجود آدم في الصلصال ينتظر

رآه وما زاغ منه السمع والبصر
مهاجرا زاده التوحيد والسور

تلقى المدينة في أبراج سارية
ملأ مكان وقد نادى بها عمر

الله أكبر فالأصنام داوية
والنار بين عبيد النار تنتحر (١)

ويمضي الشاعر متحدثا عن تلك الهجرة ذاكرا آثارها في تحرير الإنسان المسلم من شتى ألوان الطواغيت ذاكرا مساواتها بين الناس دون تمييز إلا بالدين والتقوى : إنها ذكرى هجرة غيرت وجه التاريخ ، فلا بارك الله في كل من يرى تلك الهجرة خرافة الأخبار

يقول :

تحرر الناس إخوانا سواسية
كما تحرر في ألوانه الزهر

لا جنس إلا لا ألوان ناعمة
والعدالة لا الهندية الذكر

---

(١) المنابر ص ...

لا بارك الله في قوم إذا ادكروا

لم يذكروا المجد إلا أنه خبر (١)

ويربط الشاعر بين تلك الأمجاد الزاهية التي حققتها الهجرة ، وبين أحوال قومه ، فيأسى لذلك الاستعمار الذي جثم على صدر الأمة خمسين عاما ، وسيوف المسلمين مغمدة ، يقول :

خمسون عاما بالأغماد جمجمة

والسيوف إباء أين ينتصر

وما ادكارك أمرا لا تحققه

وأنت تصير مغبونا وتنتظر (١)

ويدهش لصمت أمته ، بالخطوب الشداد تحركها ويد القوى المستعمر تبطش بها ، وتأمل أن تعيش مخلدة في السودان وبنوه كأنهم صم عمي .

حتام نسكت لا رأي ولا عمل

على الخطوب ولا سمع ولا بصر

نحن القواعد في عصر تبدله

يد القوي بما تسعى وتقتدر

وأجنبي يتمنى الخلد في بلد

عمي بنوه ، إذا ما قادهم عثروا

وما هي قوى الاستعمار - بشقيه الانجليزي والمصري تتجبر على شعوبه الحق ، ويناصرها في هذا المسعى قوم يمجدون الأنساب والألقاب .

---

(١) : المنابر ص ٨

(٢) : المرجع نفسه

سبحان ربي شاء الحق واجترأت
على شريعته الانجاب والحفر
حكم الشريكين في النيلين بنصره
من عبدوا الناس بالانساب تفتخر

وفي قصيدته الثانية هلال المحرم التي ألقاها عام ١٣٦٣ يسخر من أولئك الشعراء الذين يلهجون القصائد على أوزان الخليل كل عام هجري ثم يعودون الى نسيان عظاته وعبره بمرور تلك الذكرى .

كم شاعرا يلقى الهلال مسائلا
وشما كمن سأل الطلول متيما
يسلو فان عاد الهلال رأيته
صنها بأوزان الخليل ترنما (١)

ويبدى أساه عندما يلقى نظرة الى الناس وقد جعلوا تعاليم القرآن الكريم وراء ظهورهم ، وتبقى تلك التعاليم في المساجد لا تبرحها الى حياة الناس ، ولكم شاد الله بهذا الكتاب عقائد المسلمين وملأ الدنيا ، وها هي آياته الآن غريبة باكية ذلك المجد .

الهاشمي كتابه من ربه
أمسى حبيسا في المساجد مقحما
الله شاد به جناح عقيدة
أحيا وأبدع في الحياة وألهما

---

(١) : المرجع نفسه ص ٣٦ .

نظرت الى غريبة آياتـه

تبكى الحسين على الرماح مقسما (١)

وينتهز فرصة هذه المناسبة الدينية فيوجه الحديث الى زعماء الدين فى السودان ، ناعيا عليهم مسايرتهم احواكـب النفاق ، واحتيالهم لأكل أجور البسطاء ، عائبا عليهم ركونهم الى مكائد الكفار وتقاعسهم عن نصرة المسلمين ثم ينصروا الزعيمين على دينار والخليفة عبد الله التعايشى ، لقد هزمهما جنود الكفر ، ولم يحرك زعماء المسلمين ساكنـا لنصرتهما ورد غائلة الكفر عنهما .

يقول :

زعماؤنا ما الدين يمسخ مؤمنـا

ويعود زيـا للنفاق مطمـا

كم ناعب عرق الأجير مسبح

نظم المسابح للدنيـة سلمـا

أنتم شيوخ المسلمين فما لكم

لا تنصرون اذا أهين المسلما

" دينار " هل أبصرتموه مضرجا

تأبى قطام لدينه أن يسلما

أرفعتم سفر الولاء لكافـر

قتل الخليفة واستباح محرما

والشاعر ممن هذه الثورة على تخاذل بعض زعماء الدين لا ييأس من جماهير المسلمين ، ومن ثم يحث الناس على عدم

---

(١) : نفسه

قبول الذل والهوان ، باعتبارهما أمراً واقعاً ، فإن الله
بعدله أوجب على المسلمين الجهاد بفكر ثاقب يهمه المصير
[illegible] إذا ضعفت .

يقول :

ليس الخفاء من السماء فإنه
عذر الفقير به يسيغ العلقما
ان الذى كتب الجهاد عدالة
بالدين سالم بالقتال فسلما
العيش أن تهب السيوف مواسيا
نكرا اذا خنس الحديد تثلما

ويمضى هذا الصوت القوى فيصدع بالعزم على الجهاد رغم العواصف العاتيات .

الله أكبر ان تشام سيوفه
رهبا وإن شرت الضلالة مطعما
فيحل غضب ما اراد فانثنى
تبتسى والجو تسفه الصباح وهدما

وفى قصيدته الثالثة فى ذكرى المحرم ١٣٤٧ .
يرفض فى صراحة ذلك الفهم المتراخى المتقاعس الذى
يتهم به بعض الشيوخ الإسلام ، فليس الدين مآكل ومشارب ،
وليس الدين سبحة ان التقى يرى أن طريق ومنهج الهجرة
النبوية قد أغلق "تسطان يرقم حجة باطلة . "

ان الشاعر فى خيبة نفسية وروحية لا يعيده الى توصية الا عزمهم على القتال ، واشعال نار الحرب حتى امكان اسنة رماحهما وقنابلها بدور تضىء له الطريق ، وما ذلك ببعيد على هذا الشعب المسلم فى تاريخه وقائع حاسمة ليس ثمة ما يمنع عودتها من جديد .

يقــول :

سئم الشيوخ من الخطاب وسوّفوا
بالأخبث مشارب ومآكــل

أيكون دين محمد فى ســـبحةٍ
صيادة ومباخــر ومكاهــل

من سدّ باب الغار بعد محمد
رقص الصاحف حجة للباطل

وهجرت أوطانى ولم يماثــــد
الا ببــدر آســنة وقنابــل

الصبح فى كورى ورائك فانتظر
يوما يعــود بخيلها فى تابل(١)

ويحى الشاعر محمد محمد على ذكرى الهجرة النبويــة عام ١١٤٥ ، تلك الهجرة التى يصاحبها نور الهدى وتصاحبه ، وهى كالغيث يروى كل مجدب من الفقار ، وهى رياض من الايمان وهى النــور الذى يضىء شعاب النفوس وهى البلسم الشافــى التى أصابتها مآســى العصر وادواؤه .

الذكرى يا خير النبيين روعــة
يصاحبها نور الهدى وتصاحبــه

---

(١) : المنابر ص ٦٥

هى الغيث ان ضن السحاب بغيثه
أفاضت أياديه واخصب ساحته

يحيل جديب الأرض جنات رحمة
وقد كان مقفارا تروع سباسبه

ريان من الايمان والنور والهدى
وبر عميم لا تغيب مواهبه

هى النور بل فى النور منها الأئمة
وما النور ان لم يبصر الحق صاحبه

يضئ شعاب النفس فى ظلمة الهوى
والنفس ليل لا تنير كواكبه

هى البلسم الشافى لا دواء عالم
أطابت مآسيه وطاشت مذاهبه (١)

ووضح أن الشاعر فى هذا الثناء على الهجرة النبوية انما يتحدث عن الهدى الاسلامى بأسره وما كان ليجد المسلمون الفرصة لاثارة الدنيا لولا تلك الهجرة المباركة ومن ثم حملها الشاعر على سبيل المجاز كل تلك القيم الاسلامية التى أسدت البشرية • ويمضى الشاعر على نسق طابعه المجذوب فى ذم رجال الدين الذين يراهم دون تحمل مسئولية نشر الدين وما يتبع ذلك من أمانة وصدق وصبر • يقول عن ذلك اللون من الشيوخ •

ومن عالم يمضى عن الحق نازعا
الى مطمح بخس مشت يجاذبه

---

(١) : ألحان وأشجان ص ١٠٥

تروقك منه بزة الحلم والتقى

ومخبره ليمل ثقال غياهبه

يبيع هداه بالضلال وماله

رتيب اذا جن الظلام يحاسبه

ويتبع هذا النوع من الشيوخ عنده ساسة يقودون الامة الى المهلاك باشعال نار الفرقة بين أبنائها .

يقول :

ومن ساسة باتوا يقودون أمة

أرتها أهاويل الزمان نوائبه

أصابوا من النجدين أعوج طامسا

وجانبهم سهل الطريق ولاحبه

ويختم قصيدته بالثناء على صاحب الهجرة وعلى صاحبه سيدنا على الذى ضحى بنفسه ونام على فراشه فى تلك الليلة .

لقد هاجر الرسول يشق الفلوات مؤثرا العناء والجهد والمشقة فى سبيل أداء رسالته ، ولو أراد الحياة الدعة لجادت عليه الدنيا بما فيها ولعاش فى بطحاء مكة سيد القوم ولكنه والحق ، الذى يأبى صاحبه ، غير اتباعه لنوره الوضاح يقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم :

هجرت بشاشات الحياة وسحرها

وبت بغار موحشات جوانبه

وكل كفور فاسد الصدر ناقم
توافيه مما يشتهيه أطايبه
بنفس عليها فى فراشك صامدا
والكفر حين كالغريم تراقبه
وأغدى يآ طالق ونفسى راكبا
تخب بأحشاء الفلاة نجائبه
الى الحق يسعى والضلال مسود
تحف به أنصاره ومواكبه
ولو شاء مجدا فى الحياة وبهجة
لجادت بما يرضى هواه جنائبه
ولكنه للحق أسلم أمره
والحق أبقى لا يهوم طالبه (١)

والشاعر محمد محمد على تجربة أخرى تكاد تكون فريدة فى شعراء عصره وهى قصيدته غار ثور ، تناول فيها موضوع الهجرة بطريقة غير الطريقة التى جرى عليها معظم شعراء عصره . فهو يتحدث عن ذلك الغار مستحضرا عظمة ما شهده من أحداث . ولا غرو أن يضفى عليه من صفات الاجلال والاكبار ما أضفى . فقد ذكر الله تعالى ذلك الغار فى كتابه العزيز فى معرض حديثه عن نصرة الله لصاحبه أبى بكر :

((ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه)) (٢) .

---

(١) : نفسه
(٢) : التوبة الآية ٤٠

يقول الشاعر من ذلك الغار :

غار أغنى على الحياة من الهدى والخير فجرا
ولديه أستار السماء تكشفت للعين جهرا
وصحائف الغيب المحجب نشّرت سطرا فسطرا
والوحي جلجل في ثراه يزف للارواح بشرى
وضع السكينة في القلوب وشدّ للعزمات أزرا (١)

ويمضي الشاعر في حديثه عن الغار ، وعن تلك التعاليم الاسلامية التي كانت الهجرة سببا قويا في انتشارها وذيوعها عبر الازمان والبلدان ، لقد توالى الوحي بذلك الكلم الذي ملأ القلوب بالايمان والنور وظل نديا على الدهور ، يخضع رقاب الجبابرة لحكمه بالمنطق والحجة ، ويقهر الطاغين ، حتى سار فكره حرا في شتى بقاع الدنيا .

كلم تدفق في شعاب النفس إيمانا وطهرا
كلم يظل على الدهور وصولة الحدثان نضرا
خضعت جبابرة الزمان لحكمه طوعا وقهرا
وأذاب قيد الفكر فاقتحم السدود وجال حرا

ويقوده الحديث عن انتشار الفكر الاسلامي للحديث عن جيش المسلمين الفاتح ، ذلك الجيش الذي ما راع آمنا ، ولا حرق زرعا ولا هدم دور عبادة ، في فتوحاته ، بل نشر الحق وسار تحته يرفع ذلك اللواء فوق غبار المعارك .

---

(١) محمد محمد على ألحان واشجان ص ٥٢
(٢) نفسه

وصرام جيش الفتح يمعن فى الحصون الشم قسرا
جيش لواء الحق فوق غباره يهتز فخرا
ما راع مفسوخا ولم يفتش صومعة وديرا
وحقائب التاريخ قد نشرت على كفيه نشرا
فأقام صرح الباقيات ، وخط للأوهام قبرا (١)

ومن المعانى التى صورتها هذه القصيدة عن أحداث الهجرة تصوير الشاعر لاشفاق سيدنا أبى بكر على الرسول وعلى الدعوة :

رباه ضاق الأمر حتى عادت البيداء قبرا
مادت جنوب الأرض رعبا والسماء تمور مورا
وجوانح الصديق تطفح بالأسى والحين عبرى

ولكن رحمة الله قريب من المؤمنين ، فهو المهيمن يزمام الأقدار وإن مكره محيط بمكرهم ، فقد أعمى بصائرهم عن الرسول وصاحبه .

مهلا فهم حتى قبضة الأقدار ويضطربون أسرى
من كان حرب الله فهو بصفحة المغبون أحرى
مكروا وللجبار جند يزحم الآباد مكرا
هو فوق ما عرف الزمان وما أحاط الوهم خبرا
أعمى بصائرهم وشاد من العنكبوت له مقرا
نظروا فما نظروا سوى غار جفاه الناس دهرا
رجعوا بخيبة قامىء مد الكرى جفنيه قسرا

---

(١) : نفسه ٥٣ .

والشاعر مؤمن تماما بأن هذه إحدى معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم ، انه نور الحق الذى يعمى أبصار المشركين، وانه هو الذى يحول أوهى البيوت خيوطا ، الى حصن منيع يحول دون المشركين وايقاع الأذى بالرسول .

عجبا لنور الحق كم ذا يوسع الطغيان سخرا
أوهى البيوت غدا أشد من الحصون الشم أسرا
رزحت جيوش الشرك دون مناله نصبا وقهرا

ويناجى الشاعر الرسول وصاحبه أبا بكر مكبرا اغترابهما عن الأهل والبلد من أجل الحق ، فها هما والخطر يحدق بهما من كل جانب ، يستعذبان الآلام حتى أطلت البشرى تحمست أرجاء يثرب وجميع بقاع الدنيا .

يا صاحبان تغربا فى الحق وارتضياه ذخرا
وتجنبا متع الحياة تشع إغراء وسحرا
أمسيتما تحت الثرى فى غابر الظلمات ذكرى
بالموت خبأ فى ثيوب الرتل اللاقيماة نسرا
والبيد تزخر بالعدو وتابعه للغتال أخرى
ناجيتما الحياة باسم الحق فارتشفته خمرا
بشرا كما رجع العدو مزودا ندما وخسرا
بل بشريان ليثرب بشرى وللغبراء بشرى(1)

إن هذه القصيدة تكاد بحق تكون متفردة بين شعر المناسبات وعلى سر تفردها أن الشاعر استحضر عظمة تلك

---

(1) : محمد محمد عثلان – ألحان وأشجان ص ٥٥

الحدث من خلال الصورة التى رسمها فى وجدانه ، للرسول وصاحبه وهما فى ذلك المكان تحيط بهما الأحداث الجسام الموت ، أو النصر المبين ، ولم يقتصر تلك المناسبة على ما يجرى من أحداث سياسية واجتماعية يزخر بها المجتمع ناقدا كما فعل فى قصيدته الأخرى ، وكما فعل غيره ، لذا جاء توقفه على تلك المناسبة وذلك الحديث حديثا فيه كثير من التأمل ، دون النزوع للأسلوب الخطابى المباشر .

أما الشاعر الناصر قريب الله فيقابل هلال المحرم بكثير من القلق ، مبعثه الحال التى تعيشها أمة الإسلام فى عصره .

هل من جديد لهذا العام الناطق ... يا من بنى جسد الانسان من علق

تفاءل الناس بالعام الجديد اذا ... كان التفاؤل من جور الزمان يقى (1)

وتبدو الأيام فى نظره متشابهة ، فما عام يأتى بما يأمله ، تشابهت الأيام فى شرورها ومصائبها – حتى يكاد الهلال عندما أطل على الناس – بمثابة نار فى جسم محترق ، وفى هذا كناية عن احتدام الشر وانتشاره .

عام تشابه أولاه وأواخره ... تشابه اليوم فى الأطراف بالشفق

فما تولد عن يوم له نسق ... يوم يخالفه فى تلكم النسق

---

(1) : الناصر قريب الله – الناصريات ص ٥٣

حتى كأن خلال الغمام حسين بها
بقية النار في أطرافه تحترق

ويشخص داء أمة الشرق في قبولها لما يريده المستعمرون من إذلالها ، ويدلها على اعتناق الدين المحتمى به ، فهو أسمى معتنق .

يا أمة الضاد جد الأمر فاستبقي
مجدا فما المجد إلا حظ مستبق
قد أعطيت في تراثها الهدى زمر
تسري دماءه من ماء الثرى الغدق
وطن أن تخرجي للناس خالصة
رسالة منك ملقاة على العنق
ما أعظم الشرق لولا ذل جانبه
أكرم بأهليه لولا فاقة الخلق (١)
صوني من الدين درعا تحتمين به
أليس في الدين أسمى كل معتنق

فإن هجرة المصطفى هي أسمى المفاخر ، فكم يسعد الشرقي ويتحرر من تشتت وتفتت المستعمر الغربي ، لو تأمل تعاليم هذه الهجرة إنها الخلاص من الفرقة القاتلة ، فإن أراد الناس أن يحتفلوا بعيد هجرة يرضى رسولهم صلوات الله وسلامه عليه فإن عيده أن يرى أمته سائرة نحو المعالي - لا تثق بغير الله .

---

(١) : المرجع نفسه .

فهجرة المصطفى أسس لمفخرة
عادت على الأرض بعد الليل بالفلق
فلو تأملها الشرقى متئدا
ما خرّ تحت سلاح الغرب كالصعق
ولا رمى نفسه المضناة يومئذ .
ضحية لهدى الأحزاب والفرق
نعيده أن يراها وهى جانحة
إلى المعالى بغير الله لم تثق (١)

والشاعر الدكتور - عبد الله الطيب - يقرن تحية المحرم ، بحث أمته على أن تنفض عنها الغبار - فهم رغم ما يبدو عليهم من عشق للتراب وتكالبهم على الحضيض فإنهم غير ميؤس منهم .
يقـول :

وأسكب على قومى الحياة فإنهم
يثبون من صوت رضوه ، طويل
عشقوا التراب تحقروا ولو أنهم
عشقوا العلا بلغوا ذرا المأمول
يتكالبون على الحضيض وما دروا
أن الحضيض مقام كـل ذليـل

ويتصل الحديث موجها إليهم فى لهجة حاسمة مع رجاء لا ينفك من وثبتهم المأمولة .

---

(١) : المرجع نفسه .

من أى سهم يتقون وثبة رابض
قد هيجته رماته فى غيظ
أبنى بلادى إن ساعة عزه
لا تشترى الا ببذل جزيل
لا تعشقوا هذى الحياة فإنها
شرك الفناء وهوة التضليل (١)

والشاعر الدكتور مصطفى عوض الكريم فى احتفائه بالعام الهجرى ينحو منحى — البنا فى مسألة هلال المحرم عن عصور المسلمين الأوائل الزواهى ، ويرجوه أن يحدث الأجيال عن عظمة تلك العهود .

حتام تبقى فى السماء مدارا
يا ابن الظلام أما بلغت قرارا ؟
أخلقت أثواب الزمان ولم تزل
غضًّا وطاولت عمرك الأعمارا (٢)

ويتنقل الى الحديث عن المسلمين فى الشرق ، ويأسى على أسرهم بقيود الغرب ، وعلى مثيهم فى حالكات الدروب ، وكانوا من قبل ينيرون السبيل لكل العالمين ، ويأسى عليهم عندما يراهم مستسلمين للغرب ، مجانبين سنة الله وسنة رسوله .

---

(١) : عبد الله الطيب — سقط الزند الجديد ص — ٤٤

(٢) : مصطفى عوض الكريم المسير ١٤٩ .

لهفي على الشرق الحبيب وموطن ... السحر العجيب غدا بنوه أسارى

وسروا بحالكة الدروب وتاهوا ... كانوا لكل العالمين منارا

واستسلموا للأجنبي وجانبوا ... سنن النبي وخالفوا الجبارا (١)

وعند الشاعر حسن طه ترتبط ذكرى الهجرة ، بالأحداث السياسية التي تجري في البلاد ، ففي قصيدته من وحي الهجرة ، يذكر أيام المسلمين الأوائل وبطولاته ، مهتديا بها ، عسى أن يسير قومه على هدى أولئك الأبطال في كفاحهم السياسي ضد المستعمرين .

يا عام ذكرنا بهجرة أحمد ... فلعلنا منها نصوغ الجوهرا

ذكر فديتك بالجهاد فلم تكن ... كجهادنا وقفا على طلب القرى

حتى الصحابة يوم ساموا أنفسا ... أحيوا بها الدين الحنيف النيرا

صاحوا ليحيوا شرعة قدسية ... الله أنزلها على خير الورى

الله أكبر دعوة هتفوا بها ... [illegible] أزاحت من طغى وتكبرا

إن ذلك المجد التليد تراثنا نحن بني الإسلام ، نحن

---

(١) : مصطفى عوض الكريم ـ المنابر ص ١٤٩ ـ ١٥٠

ان زمان ؟ مثلنا الاقدرا يأبون الاسر ، نحن أبناءهم – تأبى قهر الزمان ، ولن ينال منا .

ما زال من العرب فينا ثابتا
حيا يثور على الذى أن يقهرا
من يجز أسلافنا وبنى الألى
قهروا الزمان بأنفسنا ان نقهرا
ــه الزمان اذا أراد بأنفسنا
سوءا رأبدى ناجذيه وكشرا

ان المبادىء التى ساروا عليها هى المبادىء التى يدعو الشاعر الى نهضة البلاد على أسسها ، نسيقهم الصقيل هو الدين الحنيف ودليلهم وحكمهم وناصرهم هو الكتاب ، وهذا هو مؤتمر الخريجين العام قد أخذ بهذا الدين ، مهتديا بكتابه باعا من العلم وسيلة للهدى والتحرير .

دين الحنيفة سيفنا لا نبتغى
من دونه سيفا صقيلا مشهرا
وهذا الكتاب دليلنا لا نبتغى
من دونه حكما نزيها مبصرا
ألا مؤتمر البلاد يقشوره
يخطو بأمتنا الى أعلى الذرا
بالدين بالوطن الحبيب وبالعلا
بالعلم والقرآن صاح مبشرا (١)

---

(١) : هتاف الجماهير .

والشاعر مبارك المغربي – وقفتان – مع العام الهجري الأولى عنوانها ختم الهجرة – يتحدث فيها حديثا تاريخيا يروى فيها الكيفية التى بها تمت الهجرة ، ويعمد الى ذكر بعض التفصيلات مثل انزال السكينة على الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما فى الغار ، ويروى اخفاق الكفار فى أن يظفروا بهما بعد أن أعمى الله بصائرهم وأبصارهم عنهما ثم ينتقل الى فرحة آل يثرب (المدينة) بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم – مكبرا فيهم مؤازرتهم لدين الله واحتفائهم وترحيبهم برسول الله حتى أظهر الله دينه ، فسرى النور الاسلامى فى كل أرجاء المعمورة .

يقول فى هذه المعانى :

تابعا الهجرة حتى وصلا

يثربا بعد عناء السفر

ما دعا دعوته الا أتى

أهلها فى فرحة المستبشر

أكرموا الداعى وقالوا مرحبا

برسول الله خير البشر

أيدوا الدين وشدوا أزره

فاستقام الدين بعد الخور

وسرى الاسلام فى الأرض كما

يبدو الكاملة نور القمر (١)

ثم يمضى كشأن الكثيرين من شعراء عصره متحدثا عن اعراض الناس عن تعاليم الدين وعدم الاهتداء بهديه ويوضح آثار ذلك فى تردى أحوال المسلمين – غير أنه يؤمل فى

---

(١) : مبارك المغربي – عصارة قلب ص ١٤ – ٢٢

قومه بالسودان الخير ، — فهم رغم انكار المنكرين أفضالهم نشر ما أبرمهم ويدعو لهم الله أن يجمع شملهم تحت راية الاسلام وتحت راية مؤتمر الخريجين الذى يراه معقل الحركة الوطنية فى السودان يرجو لأمته نهضة فيها قبسات من فيوض أسد الصحارى ، وسناء مطابقته أمثال عمر :

ان فى السودان صحبا أنكروا
نفرا أكرم بهم من نفر
فارعهم رباه وأجمع شملهم
فى حمى الاسلام والمؤتمر
أيد اللهم وأرسى شأنه
وأعده فى بهاء النضر
بين فيض من معالى أحمد
وسناء من سجايا عمر (١)

والقصيدة الثانية للشاعر عباس المغربى — عنوانها عيد الهجرة تبدأ بمناجاة لقيثارة شعره الصادحة ، فان الذكرى العطرة للهجرة قد أعادت أخبار تلك البطولات الاسلامية .

عودى الى الشدو يا قيثارتى عودى
وردد فى الورى أشجى أغاريدى
عودى فقد عادت الذكرى بروعتها
تروى البطولات عن أسلافنا الصيد (٢)

---

(١) : المرجع نفسه

(٢) : المرجع السابق ص ١٠١ وما بعدها

ويجيل الشاعر فكره في الأحداث السياسية في السودان وخارجه ويبصر في وجوه مظاهر الانحراف عن جادة الدين .

ويحس أنهم بأن هناك غايات أساسية ينبغي ألا نختلف حولها تلك الغايات من غير ريب هي التمسك بحبل الدين ونصرة آلـه ، ويحذرهم من الانقسامات والتكتلات الطائفية القائمة على غير هدى الدين .

ويؤمن بأن تلك التجمعات ـ أغلال جامدة رابطة الشعوب أن تتحد .

لسنا نريد خلافاً حول غايتنا　　فالخلق يا قوم كم أودى بمجهود
لسنا نريد ارتباطاً ليس ينفعنا　　مصالح الشعب لا ترضى بتقييد

ويمضي حسه الإسلامي ليتحدث عن حقيقة هامة وهي أن أي تجمع لا يكون الدين الإسلامي لبه وجوهره وطابعه وقائده لا يعود على أمة المسلمين بالنفع المرتجى ، ويأخذ لذلك مثلاً واقعاً ومشهوداً وهو جامعة الدول العربية ، ويتساءل عن جدواها في حسم القضايا والمشكلات التي تواجه الأمة العربية المسلمة ويأخذ من الواقع أمثلة حية ؛ فقد أضاعوا المغرب (مراكش) ـ وهذه فلسطين تلحق بها :

قالوا العروبة قد آلت لجامعة　　ترعى المصالح في حزم وتوكيد

في كل يوم لهم جرح ومؤتمر

على لجان تلاقى كل تنضيد

فأي شيء أصبناه من تآلفهم

سوى اتحاد سقيم القصد محدود

بالأمس ضاعت فلسطين على شجن

تبكي الوفاء وإخلاف المواعيد

واليوم قدسنا الأقدس يدنسها

على مراكش في كل المقاليد

ويختم القصيدة بأمله أن يعيد الله المسلمين مجدهم على شرعه الحق :

يا غرة العام أعيدينا مساجدنا

زيدي سناك في أرجائنا وزيدي

سنا الذي جعل الإسلام شرعتنا

يعيد للشرق مجداً غير مجحود (1)

ويصور الشاعر الدكتور سعد الدين فوزي جلال الهجرة النبوية الشريفة ونورها الذي سرى في آفاق تلك البادية غير عابئ بالأخطار التي تحف به من كل منحدر ونجد ، وما كان للرسول أن يرضى بما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان دون عبادة الرحمن .

هو النبي سرى في قلب بادية

يضاعف الهول فيها كل منحدر

---

(١) : المرجع نفسه ١٠٣ .

فكيف يعبد أصناما تزخرفها
يد الخيال وتعليها على الحجر (1)

ويمضي الرسول في تلك الصحاري ، وحول المشركين من حوله يسخر به ما يبلغ نشوة روحه أذى من كل كيدهم ، فليهجر أهله ويرحل الى المدينة لاعتقاده أن الغد مشرق على الانسانية بالدين ، بظهور الله دينه على ملل الباطل .

فليبلغ الهول ما صبوه من ضرر
لنشوة الروح فوق الهول والضرر
وليهجر الأهل وليرحل فان غدا
سيمنح الدين ما يرجوه من ظفر

ويعجب الشاعر كيف بدلت الأيام الحال ، فتحول الشعور الذي عم الأمة بعد الهجرة الى ظلام وغواش .

فهذه هي الحروب تذكيها الأحقاد ، والناس في وجل يعكر صباحهم ومساءهم والعلم تسخر قدراته لهلاك البشر ، ولم يعد للسلام معنى سوى لفظ يلوكه الناس من غير حقيقة .

ياحيرة الروح منا اي غاشية
كأن في قلبها حقد على البشر
اذا الصباح أتى فالناس واجفة
والليل ان جاء بات الناس في ضجر
والعلم أصبح موقوفا لتهلكة
والسلم أصبح لفظا غير ذي أثر

---

(1) : سعد الدين فوزي - من وادي عبقر ص ١٤٠ وما بعدها .

ويرنو جنانه لأن تعيد يد الزمان تلك الهجرة بعزهـا وجلالها ضياءً ينير القلوب ، ونهرا ينقى النفوس ، وتقى يقربنا من الله .

يا هجرة الروح هاتى بعض ما خبأت
يد الزمان لدى الآصال والبكر

هاتى من المجد ألوانا مخلدة
على الزمان وأشتاتا من السير

ومن ضياء الهدى نبراس قافلة
ومن نسيج العلا أغلى من الدرر

هاتى من الطهر آيات مقدسة
ومن عبير التقى أزكى من الزهر

لعلنا نهتدى من بعدما قذفت
يد الزمان بنا فى المسلك الوعر (١)

المولد النبوى الشريف فى شعرهم

وعلى اهتمامهم بالهجرة النبوية ، اهتمامهم واحتفاؤهم بالمولد النبوى وظهرت فرحتهم وبهجتهم بميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم واضحة جلية ، فتحدثوا عن ميلاده وما صحبه من معجزات واضحات الدلالة على نبوته ورسالته ، كما تحدثوا عن أخلاقه وصفاته الخلقية والخلقية ومن شرعه الحكيم وما فيه من عدل وتسامح ، وعطاء وبر .

وجاء اهتمامهم بربط هذا الحدث بالحياة السياسية التى تعيشها الأمة الاسلامية ، أقل من حديثهم عنها فى الهجرة .

---

(١) : نفسه ١٤١ .

وفى موضوع الهجرة نفسه قد أملى عليهم ذلك ما فى الهجرة من تضحيات جسام ، وما تبعها من جهاد أخرس الباطل وأتاح فى المدينة دولة الإسلام قد أفرد بعضهم أحاديث عن طريقة الاحتفال وما يصرف فيها من المال ، وما قد يمارس فيها من تصرفات لا تناسب المقام الجليل وهو ميلاد الرسول ، كما نوه بعضهم على ضرورة الصدقة على الفقراء والمساكين يوم ذكرى مولد الرسول النبى البر الخالد .

ولا ريب أن الاحتفاء والفرح بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الوجود ، يجرى فى وجدان كل المسلمين المحبين للرسول ؛ وقد ورد فى السنة النبوية الصحيحة أن الفرح بمولده كان منذ الجاهلية حيث فرح به جده عبد المطلب .

بل ان عمه أبا لهب (عبد العزى بن أبى طالب) أعتق جاريته (ثويبة) التى زفت له خبر ولادته صلى الله عليه وسلم وروى أن أبا لهب يخفف عنه العذاب كل اثنين فى النار لفرحه بيوم ولادته .

وصح فى السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم يوم الاثنين من كل أسبوع صيام تطوع ، وهو اليوم الذى ولد فيه .

وما يزال المسلمون فى كل مكان يحتفلون بهذه المناسبة فى كل مكان كل بالطريقة التى تعبر عن فرحته بهذا الحدث العظيم .

وقد عبر الشعر العربى عن هذه المناسبة فى قصائد كثيرة لعل أشهرها مشهورة فى القصيدة البردة ، قصيدتان للشاعر احمد شوقى ، الهمزية ، والبائية .

فيهما من الاحتفاء والاحتفال بمولده والتحدث عن تلك المناسبة وما صحبها من أحداث الجيد ، الذي مهد السبيل لكثير من الذين جاءوا بعده .

ومن أروع ما جاء في همزيته ، قوله :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

* * *

الروح والملأ الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي
والمنتهى والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا
بالترجمان شذية غناء

والوحي يقطر سلسلا من سلسل
واللوح والقلم البديع رواء (١)

فيها وصف رائع لصفاته صلى الله عليه وسلم ، وعرض لعدالة الشريعة الإسلامية ، ودفاع منطقي عن الدين ورد على المستشرقين ومن يعاونهم من خصوم الإسلام ، ومن جيد تلك المعاني قوله :

الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء

---

(١) : الشوقيات ص ٣٤ وما بعدها .

الاشتراكيون أنت امامهـم
لولا دعاوى القوم والغلواء

داويت متئدا وداووا طفـرة
وأخف من بعض الدواء الداء

وفي قصيدته الجائية يقابل مولده بهذه الفرحة :

تجلى مولد الهادي وعمـت
بشائره البوادي والقصابـا

وأسدت للبرية بنت وهـب
يدا بيضاء طوقت الرقابـا

لقد وضعته وهاجا منـيرا
كما تلد السماوات الشهابـا

فقام على سماء البيت نورا
يضيء جبال مكـة والنقابا

بالرغم من أن شعراءنا تناولوا الى مثل هذه المعاني وهم يتحدثون عن فرحتهم بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، الا أن تناولهم تميز في كثير من الأحيان بعرض القضايا الوطنية والاجتماعية التي يعاني منها الشعب السوداني بصفة والشعب العربي الاسلامي بأسره .

كما سنرى من خلال تناول بعض القصائد التي تحدثت عن المولد ولعله من البديهي أن تناول كل النصوص أمر عسير يكاد يكون مستحيلا، لذا نكتفي من أشهر الشعراء الذين أحسن في تناولهم شيئا جيداً يميز الشعر السوداني في هـذا المضمار .

ومن الشعراء الذين احتفوا بذكرى المولد النبوى الشريف الشاعر عبد الله محمد عمر البنا فقد تحدث عن مولد الرسول وعن احتفال الناس به ، ووصف الاحتفال الذى يقام سنويا وأفاض فى وصف الزينات والمباهج التى تقام احتفاء بالمناسبة - ولعل أحسن ما قاله فى المولد قصيدته - تحية المولد .

ومن جيد قوله فيها فرحته بميلاد الرسول :

عيد النبى غدوت أشرف موسم
لهداية الغاوى وللمسترحم
لبست بك الأيام عرسا بعد أن
لاقت بك الاقدام أشأم مأتم
رفعت لك الأعلام أعلام الهدى
يا دين ماحى ويا خليقة فأعلمى
رفت كأجنحة الملائك حينما علمت
بأن وأد النبى الهاشمى (١)

ويتحدث عن الرسول ودعوته لتوحيد الله - حينما عبد الطغاة المجرمون الإيمان بآلهة متعددة ، وهو الذى شرع الهداية والتقى والدين الذى يعنى بالبائس الفقير - ويحفظ للغنى حقه الذى أباحه الشرع انه رسول الهداية الذى جعل الحكم شورى معتمدا فى ذلك على الله وحده .

يقول فى وصفه صلى الله عليه وسلم :

ناديت أن الله ربك وحده
وتعدد الأرباب دين المجرم
وشرعت ان البر والتقوى معا
خلق الى الروح الزكية ينتمى

---

(١) : البنا - ص ٦٣

فرضت للفقراء حظا وافـــرا
وضمنت للمثـرين أجـر المغـرم

لم تجعل الشورى عليك غضاضـة
هذا ورأيـك بالمهيمن يحتمـــى

ويربط الشاعر هذه القصيدة بما كان يجرى فى البلاد من أحداث سياسية يقودها نادي الخريجين بأم درمان ذلك النادى الذى حمل راية الدعوة لتحرير البلاد من الاستعمار . فهو يستغيث به صلى الله عليه وسلم ليوفق الله النادى فى رسالته وأن على أفراد هذا النادى حقا عليهم أن يؤدوه نحو رسولهم - وأن هم أدوا القليل فالرسول يقبل هذا القليل .

يا سيدا كان الوجود لأجلـــه
وهو الملاذ لكل راج منتمـــى

أسبل على النادى سحائب رحمة
تسمو بأسرة الاخاء المحكـم

أن يحتفل النادى بذكراك مـــرة
فلكم بذكرك فى الحطيم وزمـــزم

لكنه أدى القليل فانت مـــن
يجزى الجزيـل على قليل مقـدم (١)

والشاعر - عبد الله عبد الرحمن - يرى أن تلك الاسـراف الذى يضيع أموال المسلمين فى المولد كل عام ، يراه أمرا لا يتسم بسداد الرأى ، بل ان انفاق هذه الأموال فى وجوه المعروف الأخرى أولى وأفضل . ويضرب لذلك الامثال ، مثل كسوة الفقراء

---

(١) : نفسه ، ص ٥٤

وإطعام المساكين اليتامى ، وإن إحياء تلك الليالى بالعطايا والهبات أولى من إحيائها بهذه البهارج .

يقول فى قصيدة له بعنوان - الاسراف فى الموالد :

إلى السادات والسروات أزجى
قوافى ما أريد بها ثوابا
وألفتهم الى رأى سديد
ومولد أحمد اقترب اقترابا
إلى وجه من المعروف أولى
بهم أن ينهجوه علا ركابا
يمدون الموائد كل يوم
ويكسون المساكين الثيابا
ويحيون الليالى بالعطايا
وبالخيرات تنسكب انسكابا
قليل دراهم ممسحة جويبتهم
يسر الدار مسرعة جنابا
ويحيى أنفسا ويسد نقصا
ويغنى عن بعض الفقراء تابا (١)

ان تلك الأموال الضائعة فى هذه البهارج ، تجلب علينا العيب ، والعار ، ولا نملك جوابا مقنعا للرد على من ينقدنا فى صرفها على هذه المظاهر الفاتنة ، ان ردها على اليتامى أولى ، وانه من اللوم والعيب أن يمنع عطاء أولئك الفقراء .

---

(١) : عبد الله عبد الرحمن - الفجر الصادق ص ٥٠

ن قدر على اخراج الضباب الذى يحطيهم اياه .

يقول مخاطبا السادة الأغنياء :-

أقلوا من مظاهر عيش تجدى
ولا تخفى لفاقدنا جوابا

دريت بها مظاهر كاذبات
ولكن لست أدريها صوابا

فردوا فضل مالكم اليكم
وردوا عن أخى اليتم اكتئابا

فما فى الناس أقرب من ملام
لما نحسبها وقد ملئت النقابا (١)

هذه نظرة الشيخ عبد الله عبد الرحمن ، لم يدل فى هذه المناسبة الطالبة فى الهجرة ، ولعله ضمن أراؤه السياسية تحت تلك المناسبة ، واكتفى هنا بنقد هذه الجوانب غير الكريمة وكان بوسعه أن يوسع دائرة هذا النقد ، لطريقة الاحتفالات كما فعله غيره .

أما الشاعر عبد الرحمن شوقى ، فقد غلبت الحماسة الوطنية على احتفائه بالمولد النبوى ، تبدأ قصيدته بنغمة عارمة ، على تأخر يحس وطنه من تحقيق أمجاد مثل أمجاد المسلمين الأوائل بل ان الشاعر يرى ان انتماءه الدينى انتماء لأولئك الأجداد الذين ثوت عظامهم فى الجزيرة العربية .

وواضح انه لا يعنى هنا بالانتماء العرقى القائم على العصبية ، ولكنه انتماء فكرى لتلك الواشجة الثقافية التى

---

(١) : المرجع نفسه .

تمتد عبر القرون لتشمل كل أبناء الاسلام ، وليست من عاطفة عربية فقط كما يفهم من عبارة الدكتور محمد ابراهيم الشوش عندما يقول (ويفتخر بانتمائه للعرب) (١).

ويحس الأستاذ حسن نجيلة فهم الشاعر ـ واحساسه الدينى عندما يتحدث عن هذه القصيدة فيقول : (ويهيب الشاعر بالأمم الاسلامية بعد تذكيرها بمجدها الغابر ألا تيأس ، فلتتمسك بدينها ومثلها ولا بأس ما دام يسرى فيهم دم اولئك الآباء الشمم الأباة (٢) .

يبدأ الشاعر قصيدته فى احتفال نادى الخريجين فى المولد النبوى . بتلك الغضبة التى أشرت اليها فيقول مخاطبا سامعه :

أترضى أن أنام وأنت حسرى ... وتسمح أن تلين لهم قناتى ؟
أحدث عن بنى النيلين قوما ... بأدنى النيل او أعلى الفرات
بأنا ننتمى حسبا ومجدا ... الى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم تحيا واسنا ... مثالا للشجاعة والثبات
وألا يبصروا فى النيل قرنا ... ولا بطلا يعد من الكماة

---

(١) : محمد ابراهيم الشوش ـ الشعر الحديث فى السودان ص ٤٥

(٢) : حسن نجيلة ـ ملامح من المجتمع السودانى ص ٧٣

وأنه يؤثر في ذلك الفتى القرن أن يكون جوادا معطاء ولكنه لا يرضى له بالحد الأدنى للعطاء وهو بذل دريهمات للمحتاج وانما يريد له الدرجات العليا من العطاء ، وهي الجود بالدم في سبيل الله والوطن - يقول عن ذلك الفتى :-

يجود بنفسه للموت صبا
بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل دريهمات
لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد
ليحيا أهلها بعد الممات (1)

ويدافع في القصيدة عن الدين ، مفتخرا بمبادئه القائمة على الشورى ، والداعية الى ائتلاف المسلمين وجمع شتاتهم بعد نفرتهم .

يقول :-

فدين محمد دين لشتات
ودين مروءة والمكرمات
هو الدين الذي قد عم نفعا
وقام على المشورة والأناة
كفى فخرا به ائتلفت قلوب
وكانت قبله متفرقات
فأصبح من بمصر أخا كريما
لمن بالشام أو من بالفرات (2)

---

(1) : شعراء السودان ص ١٦٩ وما بعدها
(2) : شعراء السودان - ٢٠٠

يقول الأستاذ حسن نجيلة معلقا على هذه القصيدة التى كانت بحق معبرة عن شاعر الوطنية الدينية فى ذلك الزمان (تذكر أن مثل هذا الشعر قيل والاستعمار فى أوج سطوته وجبروته ، والمتعلمون قلة لا تذكر والشعب لم يستيقظ بعد ولكن هذه الحفنة من أبكار الخريجين كانت تعمل على بث الوعى وخلق الشعور الوطنى بمثل هذا الشعر الذى تنتهز له المناسبات الدينية (١) .

ومن القصائد التى يرتفع فيها صوت الدعوة الى التحرير وتوحيد الأمة الاسلامية قصيدة الشاعر عثمان هاشم بمناسبة المولد النبوى يؤرقه انتشار البدع والأهواء ، مع كبد الظلّام الذى أمات الشعور الدينى .

آه على الاسلام أصبح نائما
أودى به وأماته الظلّام
ظهرت به بدع الهوى وتعطلت
فى حقها أن تنفذ الأحكام
أدرك أبا الزهراء أمتك التى
أمست تدوس جلالها الأقدام

ويختم القصيدة بأمله فى تقوية أمة الاسلام ويدعوها الى الوحدة .

هذى الجزيرة وهى مالكة أسى
والهند تصلح حالها والشام
ومصر أقوام يحاسن بعضهم
بعضا فهم يتحاسن الأقوام (٢)

---

(١) : حسن نجيله ملامح من المجتمع السودانى ص ٧١
(٢) : مسده ميقاثل شعراء السودان

يا عترة قد تركوا بغير معونة

وهم الأولى حاطوا الثغور وحاموا

قد توجعوا في عقر دارهم التى

هى للخلافة مركــــز ووئـــام

الى أن يقول حاشا أمة الاسلام في ذكرى رسولها صلى الله عليه وسلم على الجهاد حتى يستردوا حقوقهم ، فكم ردت السيوف — الحقوق .

فالى متى هذا التخاذل بينكم

هبوا فكم ردّ الحقوق حسام

والشاعر محمد المهدى المجذوب ، احتفاء بالمولد النبوى ينحو فيه ، نفس المنحى الذى قابل به الاعوام الهجرية فهو رغم فرحه بهلال المولد النبوى الا أنه يبدو أسوان قلقا من الحال التى تعيش فيها البلاد ، فكم هو أرق لرضاء الناس باذلال المستعمرين ، وكم هو أرق لتلك الخلافات السياسية التى تمزق الأمة ، وكم تؤلمه تلك المناظر البذخة التى يحتفى بها بالمولد وينظر بعين ملؤها الأسى لأولئك الأطفال الصغار الذين لا يجدون من يعطف عليهم في مولد النبى الرحيم .

يقول في قصيدة له (ذكرى مولد الرسول ١٣٥٩) ، مخاطبا شباب النيل الذين يراهم أملا في اعادة مجد النيل ، وهذه مناسبة مولد الرسول لعلها خير مناسبة يدعوهم فيها الى تحرير النيل .

شباب النيل كيف نقى تأسى

تذوب به الكآبة لا السحاب

تساقط موجه يبسا وريحا
بوادى التيه ليس له إياب
أعيدوا شطه الثانى ورودا
سواقيه يدور بها الشراب (1)

ويعجب من شأن أولئك الذين يزعمون أنهم علماء الدين ثم يجارون الانجليز فيما أرادوا – بإصدار الفتاوى التى تحلل لهم كل حرام ويصف مثل هذا التفكير بأنه تفكير يخزى .

أيفتى الانجليز بما أرادوا
أخو دلس له نفسه عجاب
تعالى الله عن تفكير يخزى
تصابى فى كهولته الخضاب

ويعرض جوانب أخرى من المنكرات التى يراها سائدة فى مجتمعه آنذاك .

أينصحنا الشيوخ بلا عقول
فهل حسدوا الشبيبة حين شابوا
إذا شئنا الحياة بلا قيود
أخافهم التوجس والهياب
وإن شئنا العدالة وهى حق
يقول الأقرباء هى انتهاب
وإن شئنا المبادئ من وفاق
كفاهم ما تعيش به الذئاب

---

(1) : المنابر ص ٢٢ .

ويستغيث بالرسول صلى الله عليه وسلم لدفع هذا الخطر من كاهل أمته :

نبي الإله خصلة تشوي نفسي
علي أعق يا مرتقى الشباب
مدينة المسلمين رهم عشير
يوحدهم أذا تلى الكتاب
تسول النيل فرقة عدو
عليهي حضارته خراب (١)

وفي قصيدته مولد الرسول عام ١٣٤١ ، بدأها بالترحاب بهذه الذكرى العطرة ، ويعجب للشعراء الذين لا يعجبهم هذا الجمال فيبدأون قصائدهم فيها بالوقوف على الرسوم والأطلال .

أهلا بطيبة من حبيب زائر
وله الحفاوة من وفي ذاكر
لم يبصر الشعراء وجهك باهرا
يتساءلون على رسوم الغابر
يا صيحة الحق استفقت عليها
وسواك تغمر مسامع ويصابر (٢)

ويسخر من أولئك الشعراء الذين يقابلون الأهلة كل عام ولا يصاحبها القوم بشارات شواء تجلى هذا المستعمر هؤلاء القوم بين جبان يزين له جبنه أن الأمة في أمن وسكينة ،

---

(١) : نفس المرجع
(٢) : المنابر ص ١٠٥

بها تلك الأيام ، وهؤلاء بعض القوم يهادنون العدو فكأنهم خلقوا بغير ضمائر . فكأن الجاهلية عادت الى الوطن من جديد فها هي شريعة زعماء العشائر تفرق القوم شيعا ، وسماء القوم الذين استعبدهم فردون ، وهم عادة من غير مروءة ومن غير مآثر .

يتطلع الشعراء كل قصيدة
بأنها لا غارة ويوا شر
الحرب يركبها القوى فتنتهي
نصر العدو على عدو كاسر
أمن يريبه الجبان وعقبه
عنب قومهم في شأن الحاضر
أما الذين يهادنون عداتهم
أتراهم خلقوا بغير ضمائر
الجاهلية فرقة واباحة
عادت الى وطن شيوخ عشائر
وعبيد فردون رسالة فيلسه
عزوا بغير مروءة ومآثر (١)

ورغم ذلك فان الشاعر أملا في قومه فعسى الله أن يشفي نفوسهم بحب المصطفى (ص) فيلتقي القوم ببصائر وآراء مستوية كبصائر أهل بدر التي انتصر بها الدين الحنيف .

يقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) : نفس المرجع .

يا نور يا بدر الأحزان الساكن

أين الذي تنيس من تناى الشاعر

أجمل فؤادي يا محمد آيــــة

ومعاذة لي من دجى الساحـر

وأشعل النفوس عسى تعود وتلتقى

ببشائر بدرية وأوامر (١)

وفي قصيدته مولد الرسول في جامع الخليفة ١٩٤٣ يصرخ مستنكرا الطريقة التي يحتفى بها الناس بالمولد ولشد ما يؤلمه أن يرى مواكب الجهل والنفاق يعلو صوتها ، ويرى علم الانجليز ، وهو علم الصليبية مرفوعا الى جانب العلم الاسلامي علم الهلال ، ويؤرقه أن يرى الحكومة الانجليزية الكافرة ميوانسا يتيه فيه الشباب ، ويضحك فيه الكهول ، من فرط غبائهم .

يقول :

أهذا مولد النبي وذكراه

أم الجهل والنفاق الذليل (٢)

علم الكافر الصليبي مرفـوع

الى جنبه الهلال الوكيــل

أقحمونى للحكومة صـوان

عليه وقاحة وقبــــول

ناهض ناشرا جناحيه أحضانـا

راقصا على ذئاب تميـل

تاه فيه الشبــاب غفـلان

واستضحك فيه على الغباء الكهول

---

(١) المنابر ص ١٠٥

(٢) المنابر ص ١٣٧

ان القوم فى ذكرى ميلاد الرسول لا يطعمون اليتامى (١) والبائس لم يعرفوا مولد الهادى سوى أنه شهر بيغين الكسن القوم يحتفون بالزينة من عرائس ونحوها ، ومن ثريات وكؤوس والحاظ الغوانى الراقصات ، فهل هذه صورة الاحتفاء بمولد الرسول ؟

أطعم القوم زينة تكسوها
وثناً حوله الخيام تصول
الثريات والكؤوس وألحاظ
الغوانى تشابهت والشمول
هو ذا مولد الرسول اشتهاء
واغتيال تطن فيه الطبول
هو ذا مولد الرسول الذى طهر الأرض
خراب وظلمة لا تحول
يا رسول الهدى مديحك فى القرآن
تتلوه بكرة واصيل (١)

ويعقد الشاعر مقارنة بين هذه الصورة المشوهة للمولد وذكرى المولد أيام صباه فى موطنه . ذكرى الآذان ، والمديح والنساء العفيفات ومن يستحق المديح .

كم ذكرت الصبا لديه وقد أوسع
جيبى الصغير تمر وفول
كنت ألقاه طائرا سمع الفجر
تغنى به آذان بليل

(١) : المنابر ص ١٢٨

المديح الممدوح والسيرة الحسنى

وشيخى مسغاو ه والنحـــول

وورا ء الخيام نسوة خير

ساكنات محجبات مثول (١)

ان كل تلك الصور التى عرضها الشاعر ، والتى ملأت نفسه بالأسى لحال أمته غير المرضية ، يرى أنها لا تــزول الا باعمال السيوف فى رقاب الكفار ، حتى يتطهر الوطـــن من رجسهم .

ولا غرو فإن فى تاريخه صورا من البطولة واضحـــة ويعرض نموذجا حيا من جهاد المسلمين جهاد المهديق فى اعتداد وفخر ، انها صور للنصر الفائق الذى حققته العوالى بعد ما توضأت من دماء الكفار ، وهى صور لا تزال حية فـــى وجدان الأمة وان موتها مستحيل .

العوالى توضأت بدم الكفـــار

عندى شقوورها والفلـــول

الضحى جامح تخير به الرايات

حمرا غبارها والصليـــل

دفــق النصر فى الكريهة يرمى

النار تياره المخضب نيـــل

نشبت كل جنة فهى سكـــرى

ودماء المجاهدين شمـــول

صور أمس لا يطلقها التاريخ

فى الأمس ، موتها مستحيـــل (٢)

---

(١) : نفسه .

(٢) : منابر ١٤١

هذا هو المولد فى شعر المجذوب - صور تنطق بفرحتها بالرسول صلى الله عليه وسلم وبميلاده ، وتحرض فى صدق يأس حال الشاعر وهو ينظر الى وطنه يغرقهم المستعمر ، فيركن بعضهم الى خداعه ، ويرى بعض علمائهم يصدرون الفتاوى ليعطوا له ما يشتهى .

المناسبات الدينية الأخرى فى شعرهم

والى جانب الهجرة النبوية ، تناولوا أغراضا دينية أخرى - لعل أهمها - احتفاؤهم بالعيدين . ويمثل احتفاؤهم بهما ، الحديث عن الفرحة ، والابتهاج بالعيد كما تحدثوا عن كل عيد بما يناسبه ، من وصف الأحداث ففى عيد الأضحى تحدثوا ، عن الحجيج ومواكبهم الطائفة حول البيت الحرام وغيره من الشعائر .

يقول الشاعر أحمد محمد صالح فى قصيدة له بعنوان العيد الكبير ألقاها عام ١٩٢١ بنادى الخريجين .

عيد أغر محجل
والخير فيه أجزل

والناس فى شكر الاله
مكبر ومهلل

ماجت مواكبهم الى
أرض الحجاز تهرول

أرض بها البيت العتيق
الزاهر المتهلل (١)

---

(١) : أحمد محمد صالح - مع الاحرار ص ٥٠

انه يهفو الى تلك البلاد التى بها ثوى الرسول صلى الله عليه وسلم والتى يحمد ويجوء فيها جبريل بالوحى المنزل .

وبها ثوى خير الانام

الهاشمى المرسل (١)

فالروض يبسم عن أقاح

والرسى تتهلل

وملائك الرحمن تحط

بالدعاء وتنزل

ويختم القصيدة بالدعاء لنادى الخريجين الذى تعقد حوله آمال الخريجين فى أن يقودها الى تحرير البلاد .

يا خير من عند الشدائد

والنوائب يسأل

أشمل بلطفك جمعنا

يا رب فيمن تشمل

وأفض على نادى المدارس

طالحات تهطل

وأجعل بغطاء آله

فى نعمة لا ترحل (٢)

والشاعر محمد المهدى المجذوب نظرات للعيد شبيهه بنظراته لعيد الهجرة والمولد النبوى .

---

(١) : نفسه

(٢) : نفسه

فهو يربط بين احتفال الناس وفرحتهم بالعيد ، وبين حال البؤساء المحرومين ، الذين لم يلق الاغنياء عليهم نظرة تشاركهم في تخفيف بؤسهم ، ويربط ذكرى العيد بالحال التى تمر بها البلاد ، من آثار الاستعمار واذلاله للناس وقد ينتقد بعض العادات والتقاليد التى نمارسها فى احتفالنا بالعيد مثل زيارة القبور صبيحة العيد .

يقول متحدثا عن تجلد السودانيين وابتسامهم للعيد رغم معاقرة الحرمان ، مؤملين الخير فى الله رغم أن العيد ، عيد للأغنياء .

عيد الأغنياء باليسر لا التقوى
وعيدى من الأسى والرجاء
وتدنينا الصلاة ترجى الى الله
وفزنا براحة الأتقياء
واحتشمنا فما لبسنا جديدا
وسترنا افتقارنا بالحياء
وابتسمنا على التجمل داعين
بخير مؤمل فى الدعاء

نتلاقى على معاقرة الحرمان
يمحو عبوسه بالمقاء (١)

ومن المشاهد التى تؤرقه فى العيد مشاهد الفقراء وهم فى بؤسهم بجانب الأغنياء وهم فى ترفهم ، أتراهم قد التقوا فى الصلاة ، وقد سكنت نفوسهم لهذا التباين ؟ ..

---

(١) : محمد المهدى المجذوب - منابر ص ٤٦

ليت شعري بأي وجه يرى العيد وجوه العراة والبؤساء
أترى يلتقون شتى يطلون بصف موحد من رياء

فإن مما يؤرقه استغلال الأغنياء الفقراء

إن ذلك الظلم من المستغلين ومن المستعمرين وأعوانهم لا يزيله غير ثورة تسيل فيها الدماء ، لذا فهو يسخر من كل من يرجو أن يزول ذلك الظلم دون إراقة الدماء .

فتهبوا العامل الأجير بداءً تشكى (نشتكي) ضياعه العصماء ،
أيها المستجير كيف توسلت إلى عدلهم بغير الدماء (١)

ويناجي هلال العيد - شاكيا حال قومه وقد تبدلت السنون ولما تتبدل حالهم ، فهم هم أولئك الذين يستعبدهم المستعمرون ولم تبدلت الآلهة بأضوائها ، وما تزال وعود هؤلاء السادة تكذبنا .

يا هلال العيد هل تدري متى يحتال عيدي
هل تبصرت بشط النيل أوهام العبيد
وتغنوا حوله شاكين وضجوا بالنشيد
أو لم تشهد على ضوئك مكذوب الوعود
وتبسمت من الأعياء في الدهر الجهيد

إن هذه الحال التي يعيشها الشاعر يقاسمه أياها بنو شعبه . طوى الزمان عمرهم دون جدوى - يقول :

طوت الأيام أيامي من بيض وسود
لست وحدي نهب شجوي تاسيا من قيود

---

(١) : نفس المرجع

لست يجدى قولى الملهوف يا سعداى عودى (١)

رطبت سدى وأطلس نفضوا أهل الصعيد

والشاعر مع هذه الأنات الحزينة ، لا يسلم قياده أمره وأمر قومه لهذه الأنات الحزينة ، التى تبدد النفس حزنا ، ولكنه يضىء الطريق الى قومه الى الخروج من هذه الوهدة والسبيل اليها هو ما يبتغيه كل حر . هو الجهاد الذى يخرج السودان من هذا الجمود .

يقول مصورا هذا الجهاد :

لا تصبرنّى فان الصبر من شأن الخمود

العالم الحرّ من يحاربه تصف الرعود

الذى يبعث النار من الزند الصلود

الذى تحرسه القتلة فى ظل البنود

والذى يمحو به السودان من هذا الجمود (٢)

ويقبل العيد ، فاذا بالشاعر يراه كشيخ محنى الظهر من الكبر ليس فيه ما يستقبله ، بشاشة ، إنه منظر مؤرق أن يرى العيد بؤسا يتجسد فى ذلك الشيخ الضرير الذى يقوده صبية يعطيه الشاعر زكاة الفطر ، انه يصب جام غضبه على قومه الذين قنعوا بالواقع فلم يجاهدوا لتغيير ذلك الواقع الأليم .

يدق بابى عيد الفطر أبصره

متيد الخطو محنيا من الكبر

---

(١) : المرجع السابق نفسه ص ٢١

(٢) : نفسه .

أ[illegible] [illegible] عطانا تلود بسمة

صبية ، ومزجت الدمع بالعذر

من أين [illegible] وجه العيد في وطن

أيامه السود في سحق وفي بحر[illegible]

أراد ربي [illegible] قوما شقيت بهم

حتى [illegible] من الآمال بالخجر (١)

والشاعر ان عذر الجهلاء من قومه الذين لا يدركون شيئا فانه من غير ريب لا يجد عذرا للكتاب ، الذين يدبجون مقالات مدحهم . بأشعار كالسحر والسم تنخر جسم الأمة وعقلها .

يقول :

ان كنت أرحم جهلا لا نعذره

فليس عندي للكتاب من عذر

هل يحصدون سوى السودان من محن

تحيي الجماهير ألوانا من السعر

وكيف أرجو وأشعاري شقيت بها

نوت المنابر تستسقي بلا مطر (٢)

ويعجب الشاعر من قومه ، وعتابه من حكامهم ، يتصرفون عن الجد والكفاح ويهرعون الى زيارة (الزعيم) صبيحة العيد يبكون عند عهود لا تعيد لهم عزة ، ولا كرامة . ومتى كانت الخمر تنصر أمة ؛ إنها أحلام مخاطبة يعيش فيها الناس . وينسون وجبهم الأول وهو الجهاد والكفاح .

---

(١) : المرجع السابق ص ٨٥

(٢) : المرجع نفسه .

عجبت لهم يوم العيد قد خرجوا
مسارعين الى الأجداث في البكر
واحسرتاه على حيّ اذا ذهبت
فيه الحياة تضاءلت الى الصغر
أغاية الحسن أحلام نشاهدها
بأنفس تتوقى غيبة البصر ؟ (١)

ويصاب نفسه شجنا وأسى على بلاده التي غرقت في الجهل والتخلف ، والحالة من حولها تجد ، ويتذكر الأطفال التي ألفوها من قوم ألفوا زيارة القبور صباح العيد ، ومن أطفال أيتام يتفجعون لما فعله الزمان من حرمهم وخيرات بلادهم يستمتع بها الأجانب وأطفالهم يقول عن أولئك الذاهبين الى القبور صباح العيد :

يتجهون الى القبور ونهم الباكي تريبا
يبكون الموتى ما لهم على الذكرى نصيبا

هذه من جانب صورته ، ومن جانب آخر تؤرقه أيضا حال الصبية الذين يشقون وينعم بخيرات بلادهم الأجانب :

يا ويح أيتام اذا نحاه الصباح لهم نحيب
لا الثوب يحنو ولا ظفر يفانيهم خضيب
أرأيت صبيان الأجانب الغايسور لهم وثوب؟
يتبرجون من الغرور حياتهم سحل ولعب (٢)

وتقفز الى ذهنه من هذه الصورة المؤلمة صورة ناقما الشعب وبداوته ـ الاسلامية في كسرته .

---

(١) : المرجع السابق ص ٨٦

(٢) : المرجع السابق ص ١٠٢

حسبى من الدنيا ومن أحزانها وأسى ما يجب

أهواه ينتاشر العدالة يومها دام مصيب

ولدته فى كررى الدماء وشب ثائره الغضوب

ودم الخليفة منبع الأحرار ليس له نضوب

ويتذكر هذه الحادثة من تاريخ السودان وكفاحه المستمر عرفت ذكريات تلك الحرب ، ايطلب الانجليز الذين تعبوا تمثال شوارع الخرطوم ، تماثيل الغردون وكتشنر ايعلن لهم أن جيوش المهدية فعلت بهم ما فعلت من قتل رهيب .

يقول :-

أنظر الى غردون فعل به المصير كما يجوب

حيران يطرق مائلا تحتاله الساعى طيب

والغاوى المغرور كتشنر ماثمة تخيب (١)

متجهل يهوى سفينته تمزقها الثقوب

ان الشاعر مؤمن بأن الله قد خلق هذا الشعب السودانى حرا لا يرضى بقيد ، كان تلك العهود الزاهية من ماضيه الوطنى أليمته عهودا تتجدد ، تجمع السودان بأسره تحت راية واحدة شماله وجنوبه .

يا خالق السودانى حرا لا تقيده الخطوب

هذا تحرر ماضى من كل جانبه وجيبا

ابعث الجديد فانه (بأبا) وقد جمحت ربيب

عهدا يميز به الشمال كما يميز به الجنوب

---

(١) : محمد المهدى المجذوب ــ نار المجاذيب ١٣٢ وما بعدها .

ويختم هذه القصيدة بمناجاة جارة له لم يرد أن يسميها صراحة ، فقد تكون رمزا لأمانيه وقد تكون فى مصر ، ومهما يكن فانه يناجيها قائلا انه ان فاته أن يحتفل بالعيد فرحا وسرورا فحسبه أنه يرغب فى رضاءها ، وفى تدرك ان الأديب الحر يحيا يكابد العذاب فى بلده ، وهو قائد شعبه وعلى هدى ثورة الشعوب عزيزة .

يقول لها :

ان فاتنى العيد السعيد فجارتى عيد وطيب
حسبى رضاك لقد علمت بما يكابده الأديب
وعلى هدى الأدب الأبى وثورة تبغى الشعوب (1)

هذه هى نظرة محمد المهدى المجذوب للعيد ، لا نكاد نجده يلذ بالعيد ، وبلاده تعانى من الفقر، والتشتت ، ويفتقد فيه وضوح كل المظاهر غير الكريمة التى يمارسها الناس ، وبلاده تعانى من الاستعمار ، وفى هذا اشارة الى ما تلقته من قصص من هذه المناسبات الدينية وأثرها فى اذكاء الروح الوطنى والدعوة للجهاد والتحرير . والى جانب الهجرة والعيدين ، تناولوا فى شعر المناسبات الدينية موضوعات أخرى ، اختار منها مناسبة هامة هى افتتاح مسجد جوبا وكان ذلك عام ١٣٥٨هـ .

وتأتى أهمية هذا النص من تناوله وصف حال الاخوة المسلمين فى ذلك الجزء البعيد النائى من السودان ، وكأنه يشاطر شاعر الحسنة أحس بالأخطار التى تحدق بهم ، ومن حولهم أمم تغلب فيهم الدعوات التبشيرية المسيحية ، ويرى أن هؤلاء المسلمين يحتاجون لدعم اخوانهم المسلمين فى الشمال ، حتى

---

(1) : محمد المهدى المجذوب — منابر ١٢٣ وما بعدها

ترسخ عقيدتهم الاسلامية وحتى ينتشر الدين فى تلك البقاع .

فالمناسبة عنده ليست افتتاح مسجد وحسب ، وكم من المساجد فى الشمال قد فتحت ، ولم يثر افتتاحها فى ذهن الشاعر مثل هذه الخواطر الاسلامية التى صورها فى نونيته التى ألقاها بمناسبة افتتاح مسجد جوبا .

ان افتتاح هذا المسجد عنده فتح مبين ، أعز به الله الاسلام والمسلمين هناك ، والشاعر فرح لذلك التآخى وتلك المحبة التى ذاعت بين الناس :

يقـــول :

تحقق ما رجونا أن يكونـا فسموا فتحه الفتح المبينـــا
وقالوا الله اكبر كل شىء شعار المسلمين الظافرينـــا
أعز الله بالاسلام شعبـــا تقضى فى الضلال أحقابا سنينا
ألم تر الجنوب يشـــع فيه هدى الاسلام ابلـــج مستبينـا
تآخوا بعد فرقتهم وعـــادوا لغايتهم تقـــاة طاهرينا (١)

والابيات كما نرى صورت فرحة الشاعر بهذا الحدث الاسلامـــى فى ذلك الموقع البعيد من بلاد السودان ، وصورت كذلك ما تحمل الاسلام من مبادىء العدل والمساواة فالناس تآخوا بعد فرقة وشتات وعادوا لدين الاسلام وهو دين الفطرة عادوا له اتقياء طاهرى النفوس والقلوب .

وتمضى القصيدة فى شرح تعاليم الاسلام وتذكرته للناس انهم قوم يجمعهم توحيد الله ويؤســـون بيوت الله على التقـــوى .

---

(١) عبد الله عبد الرحمن ـ الفجر الصادق ٤٤

كما أسس الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد على التقوى ، وان هذا المسجد اسس في بلاد كان المسلمون فيها مظلومين مضطهدين والحمد لله ان نصرنا فأسسنا هذا المسجد وكان حقا على الله ان ينصرنا – ونحن المسلمون المؤمنون .

يقول :

وشدنا من بيوت الله بيتا
نوحد فيه رب العالمينا
على التقوى تأسس في بلاد
آخو الاسلام كان بها ضنينا
وأدينا الفروض وكان حقا
على الرحمن نصر المؤمنينا (١)

وتقوده هذه الخواطر الاسلامية الى مستقبل المسلمين في تلك البلاد – فيأمل أن ينصر الله دينه ويعم الاسلام كل الناس وان يخرج الله من اولئك المسلمين ذريات لا تدين لغير الله وتمضي في الارض تبشر بالاسلام وتنذر الضالين .

وتلك من الله نعمى يحمد الشاعر الله عليها :

يقول مخاطبا مدينة جوبا :

لنا الآمال يا جوبا كبارا
يعم الدين فيك القاطنينا
ويخرج من ظهورهم شبابا
لغير الله يأبى أن يدينا
ويحمل راية التوحيد يدعو
اليه مبشرين ومنذرينا
حمدت الله أيدنا بروح
فأصبحنا بذلك ظاهرينا (٢)

---

(١) : المرجع السابق نفسه
(٢) : نفس المرجع .

ومن خلال هذه النماذج التى عرضتها من شعر المناسبات الدينية ، بدا لى واضحا أن المناسبة الدينية ليست الا مدخلا - الشاعر يلج منه الى أهداف يرمى الى تحقيقها من خلال تلك المناسبة .

المديح النبوي في شعرهم :-

المديح أصل في الشعر العربي ، وهو لما يحدثه من نشوة وارتياح من أحدى وسائل الدعوة للخير (١)

وقد بلغ المديح درجة عالية في تجويد لفظه ومعانيه في العصرين الأموي والعباسي ، اهتم به الخلفاء والأمراء ، وأغدقوا على الشعراء المادحين العطايا والهبات ، ومن ثم عني الشعراء بصياغتهم وابتكروا الطريف من المعاني في المديح .

والى جانب وصف ممدوحيهم بالمروءة والشجاعة والكرم وما الى ذلك من حميد الصفات العربية ، بالغ بعضهم في وصف هؤلاء الممدوحين ، مبالغات ممقوتة ، جاوزوا بها المعقول : - مثل قول أبي نواس في المديح

وأخفت أهل الشرك حتى انــه

لتخافك النطف التي لم تخلق

هذه حال المديح عموما وقد بلغ شعراؤه درجة عالية من الفحولة (غير أن فحولة الشعر الحقة ما لبثت أن انتقلت بعد ذلك العصر الى شعراء الدين ، وقد بلغ البوصيري مبلغا عاليا في الشعر الديني ، وكان اذا تكلم في شئ آخر من أصناف الشعر غير المديح باخ نفسه ، فاذا أخذ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم اتصل بما الفصاحة والتفوق (٢)

---

(١) عبد الله الطيب - القصيدة المادحة ص ٨

(٢) المرجع السابق - ص ٢٥

وقد عرف الشعر العربي مدح الرسول منذ أوائل صدر الاسلام ، من ذلك قول الأعشى - متحدثا عن ناقته التي تحمله الى الرسول ، يحملها على السير لا يرثى لها حتى تبلغه محمدا - ذلك النبي الذي يرى ما لا يراه الناس ، وقد أغار ذكره في البلاد وأنجد ، وهو الكريم ذو النائل الذي لا يحجب عطاءه حاجب ، ان هذه الناقة متى وصلت الى بابه وجدت وجد صاحبها - منه يقول :-

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمري في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تغيب ونائل
وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

متى تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله الندى

وهذا شعر جيد اذا قيس بمعايير المعاني التي يمدح بها سادة العرب وكرماؤهم في ذلك الزمان ، الا أنه لا يعتبر نموذجا صادقا لشعر المديح النبوي الذي يميز بصدق العاطفة ، والايمان بالاسلام ، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولعلنا اذا استثنينا من هذه الأبيات قوله :-

(نبي يرى مالا ترون) ، لا نكاد نفرق بين مدح النبي ومدح ملوك العرب

ومدح سادتهم : ، ولعل ما يؤيد ذلك أن الأعشى لم يهتد نلبسه الى نور الاسلام ، فنكص على عقبيه ورجع الى الشرك مترديا فى ضلالته .

واشتهرت فى تلك الحقبة المتقدمة فى تاريخ العصر الاسلامى لامية كعب بن زهير .

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

متيم عندها لم يفد مكبول

وهى من جيد الشعر العربى فى المديح ، أضفى فيها الشاعر على الرسول وأصحابه كثيرا من معانى الشجاعة والمروءة . وقد طبقت شهرتها الآفاق وأولع بها كثير من الشعراء الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم فعارضوها .

ولكن رغم ذلك لا تعطينا أيضا النموذج الصادق فى مدحه صلى الله عليه وسلم . فليس فيها من المعانى التى اشتهرت بعد ذلك فى هذا الفن من التعلق بالدين ، والذود عنه والشوق والحنين الى الرسول .

ولعل سبب انشاء القصيدة كما هو معلوم لم يكن ليمكن الشاعر من النبوغ فى تلك المعانى التى أشرت اليها ، فالشاعر جاء خائفا ولائذا بالرسول ليحميه بعد أن أهدر دمه ، فلما استجاب الرسول بسماحته وحقن دمه ، كانت معظم معانيه التى تناولها تركزت فى الثناء عليه ردا لذلك الجميل .

ولعل بداية المديح النبوى الصادق تبدأ مع مدح حسان بن ثابت

للرسول صلى الله عليه وسلم : فكان حسان لسان المسلمين الذائد عن حرماتهم ، المذيع لمآثرهم وأمجادهم ، ويكفى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حثه على هجاء أعداء الله من المشركين حيث قال .

(أهجهم وروح القدس معك) .

ومن أشهر وأجود مدحه للرسول ودفاعه عنه همزيته التى مطلعها

عفت ذات الأصابع فالجواء

إلى عذراء منزلها خلاء

ومن جيد قوله أيضا - يهجو أبا سفيان ، ويدفع عن النبى ويفديه

هجوت محمدا فأجبت عنه

وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء ؟

فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركا برا حنيفا

أمين الله شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه وينصره سواء

فإن أبى ووالده وعرضى

لعرض محمد منكم وقاء

والفرق بين هذا الشعر ، والشعر الذى سبقه فى المدح النبوى واضح . ففيه تفدية الرسول بالوالدين والعرض وفيه - الرد على

أعداء الرسول بالهجاء المؤلم ، ابتغاء مرضاة الله ورجاء لثوابه ، وهذه معان كما يقول الدكتور زكى مبارك - قد فتحت الباب للمادحين ليترسموا فى مثل هذه المعانى بتناول الجديد من أساليب المديح مثل تفضيل الرسول بأخلاق ما يملكون (١)

ومن معانى المديح النبوى وصيغه التى سبق اليها حسان وقلده المادحون من بعده تسمية المدينة بطيبة ، وتسميته الرسول بالهادى . والدعوة لقبره صلى الله عليه وسلم بالخير والبركة ، ومدح تلك البقعة الطاهرة التى ثوى فيها جسده الطاهر ، ومن ذلك قوله :-

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحى الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادى الذى كان يصعد (٢)

(وهذه معانى كما نعلم أخذها شعراء السودان فى مدحهم النبوى متأثرين فيها بسيدنا حسان شاعر الرسول) .

وقد أخذ المديح النبوى فى العصر النبوى يتسم ببعض السمات السياسية ، حيث ربط الشعراء فى كثير من الأحيان بين حب الرسول

---

(١) زكى مبارك - المديح النبوى ص [illegible]

(٢) المرجع السابق ص ٣٧

والشوق اليه ، وبين تمجيد آل البيت ،

ولا ريب أن لتلك النكبات التى حلت بالشيعة أثرا واضحا فـــى هذا الاتجاه ، ومن ذلك قول الفرزدق يمدح عليا بن الحسين

هذا الذى تعرف البطحـاء وطأتـــه

والبيـــت يعرفـه والحـل والحـرم

هذا ابن خير عباد الله كلهـــم

هذا النقىّ التقىّ الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة ان كنت تجهلـــه

بجده أنبياء الله قـد ختمـــوا

وتتابع هذا الفيض من المدح النبوى ، حتى جاء عصر الشيخ البوصيرى فكان شعرا رائعا فى المدح النبوى احتذاه من بعده شعراء المديح النبوى فى كثير من بلاد المسلمين وأشهر مدحه النبوى قصيدته .. الميمية المسماة بالبردة .

أمن تذكر جيران بذى سلـــم

مزجت دمعا جرى من مقلة بـــدم

وفيها نسيب رقيق يدل على قلب مشوق للحبيب الصافى وفيها من جيّد المعانى التى مدح بها الرسول ، ما جعل الناس يتعلقون بها أيما تعلق يستظهرونها ، ويقرأونها للتبرك وينشدونها فى مواسمهم الدينية ومناسباتهم الأخرى ومن جيد ما فيها قولـــه .

دع ما ادعته النصارى فى نبيّهــــم

واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شـــرف

وانسب الى قدره ما شئت فى عظم

فإن فضل رسول الله ليس لـــــــه

حد فيعرب عنه ناطق بفـــــــم

ومن أشهر الذين أجادوا فى معارضة البوصيرى الشاعر أحمد شوقـــــى فى قصيدته نهج البردة التى مطلعها :-

ريم على القاع بين البـــان والعلــم

أحلّ سفك دمى فى الأشهر الحرم

ومن جيّد معانى شوقى فيها قوله فى الرد على أعداء الاسلام

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثـــوا

لقتل نفس ولا جاءوا لسفــك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسطـــــة

فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حســــب

تكفل السيف بالجهال والعمـــ

والشر ان تلقه بالخير ضقت بــــه

ذرعا وان تلقه بالشر ينحســـم (١)

---

(١) الشوقيات طبعة المكتبة التجارية ج ١ - ٢٠١

وقد لفت شوقي - وهو يباري صاحب البردة ، أنظار شعراء المديح الى ربط حالة أمتهم الاسلامية ، بما كانت عليه حال المسلمين الأوائل ، فتأسى على واقع المسلمين في عصره داعيا الله أن يعيد للأمة الاسلامية مجدها القديم ، وأحسب أن كثيرا من شعراء المديح النبوى في عصرنا الحديث نحوا هذا المنحى ، وسنرى ذلك في مختارات الشعر السوداني التي سنتناولها .

يقول شوقي في هذه المعاني :-

يا رب هبت شعوب من منيتهـا
واستيقظت أمم من رقدة العـدم

سعد ونحس وملك أنت مالكـه
تديل من نعم فيه ومن نقـم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمتـه
أكرم بوجهك من قاض ومنتقـم

فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسـم

يا رب أحسنت بدء المسلمين بـه
فتمم الفضل وامنح حسن مختتـم (١)

ولا تزال بردة البوصيري ، رائدة في هذا الفن - وقد تأثـر بها شعر المديح السوداني كما سنرى ، ورحم الله شوقيا اذ يقول في

---

(١) الشوقيات ١ - ٢٠٨

انصاف صاحب هذه البردة .

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم

مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم

الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم

إنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليك لا يذمم ولا يلم (١)

ومن قصائد البوصيرى التى قلدها شعراء المدائح فى العصر الحديث همزيته التى يقول فيها :-

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سناً منك دونهم وسناء

انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

ومن الذين أجادوا فى مجاراتها أيضا الشاعر أحمد شوقى فى همزيته التى يقول فيها .

---

(١) الشوقيات ١ - ٢٠٠

ولد الهدى فالكائنات ضيـــاء

وفم الزمان تبسـم وثنــاء

وكان شوقي رحمه الله ذا روح صافية عندما يتجه بشاعريته نحو المعاني الاسلامية ، وقد لاحظ هذه الملاحظة الدكتور عبد الله الطيب عندما رآه شاعرا اسلاميا حلقت به معاني الاسلام وصفته وسمت به فوق شواغب الوطنية الضيقة (١)

وله في هذه الهمزية روائع فتحت أذهان شعراء المدائح من بعده الى معاني رقيقة مثل قوله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلــم

لما دعوت الناس لبى عاقـــل

وأصم منك الجاهلين نـــداء

أبوا الخروج اليك من أوهامهـــم

والناس في أوهامهم سجنـــاء

ومن العقول جداول وجلامـــد

ومن النفوس حرائـر وإمــــاء

ويذود عن مبادئ الاسلام ، أمام دعاوى الطاعنين الباطلـــة . يقول عن تلك الحكومة الاسلامية وشريعتها وصاحب تلك الشريعة .

الله فوق الخلـق فيهـا وحـــده

والناس تحت لوائـه أكفـــاء

---

(١) عبد الله الطيب المرشد ، طبعة الدار السودانية ص ٢٤٧

والدين يسر والخلافة بيعـــة

والأمر شورى والحقوق قضـــاء

الاشتراكيـــون أنت إمامهـــم

لولا دعاوى القوم والغلـــواء

داويت متئدا وداووا طفـــرة

وأخف من بعض الدواء الـــداء

الحرب في حق لديك شريعـــة

ومن السموم الناقعـات دواء (١)

وغير هاتين القصيدتين . من شعر البوصيري فاح عدد مـــن القصائد قلدها وعارضها كثير من الشعراء ، ولعل أشهرها تلك القصيدة الحائيـة المشهورة .

أمدائح لي فيك أم تسبيـــح

لولاك ما غفر الذنوب مديـــح

وحدثت أن مدائحي في المصطفـــى

كفارة لي والحديث صحيـــح

وسنرى آثار كل هذه القصائد واضحة في شعر المدائح السودانـي ، وبطبيعة الحال لم يقفوا عند البوصيري ، فقد نظروا الى غيره مـــن المادحين ، ولعل أشهر أولئك الشعراء الشيخ عبد الرحيم البرعي :

---

(١) الشوقيـات ج ١ – ٣٨

لمحة عامة موجزة عن مسيرة المديح النبوى ، يبدأ بمدحه صلى الله عليه وسلم ووصفه بكريم الصفات ثم تأخذ طابع الشوق اليه والى بلاد الحجاز التى يحل بها ضريحه ، ويظهر فى هذه القصائد صدق العاطفة عند أغلب المادحين :

يقول الدكتور عبد الله الطيب منوها بمكانة قصيدة المديح النبوى فى الشعر العربى : ومؤرخو الأدب يغفلون عن قصيدة المديح النبوى وينسبون الى الفترة الطويلة التى ازدهرت فيها جمودا روحيا وشعريا وهى منه براء ، وانما غرّتهم فى هذا الباب ركاكة الشعر غير الدينى الجوهرى (١)

وهذا لا يعنى بطبيعة الحال أن كل المدائح النبوية كانت جيدة فى صياغتها صادقة فى عاطفتها ، غير أن عناصر الصدق فى القصيدة النبوية أوفر منها فى قصيدة المدح الأخرى لاسباب أهمها تعلق المسلمين برسولهم وحبهم له ، وشوقهم لزيارته بعد أداء مناسك حجهم ، والعاطفة الدينية قلما يعتريها النفاق الذى يصاحب عادة عواطف الدنيا .

والمادحون على كل حال كما يقول الدكتور عبد الله الطيب فى حديثه عن هذا الباب (وربما توسط قوم بين صناعة البديع ومدح الشخيخ) (٢)

---

(١) عبد الله الطيب القصيدة المادحة ص [illegible]
(٢) المرجع السابق

المديح النبوي في الشعر السوداني الفصيح في هذه الحقبة

لقد تأثر شعراء المديح في السودان بكل تلك النماذج من المديح النبوي ، فقد ظهرت في شعرهم آثار البوصيري والبرعي والنبهاني وغيرهم كما أثر الشعراء المتقدمون منهم في الشعراء المتأخرين فقد نظر الكثير من شعراء المديح المتأخرين ، الى مدائح الشيخ المجذوب ومجموعة المدائح المرغنية .

وقد لاحظت أن هؤلاء الشعراء الذين أتناول مدائحهم ينقسمون الى قسمين قسم ، أوقف شعره أو كاد يوقفه على الشعر الديني ومنه المدائح النبوية ، والقسم الثاني جاءت المدحة النبوية أحد أغراض شعرهم العام ، فقد غلب الطابع التصوفي على القسم الأول على حين أن القسم الثاني وهم متأخرون عن أولئك في الزمان رحلوا كثيرا المدحة النبوية بما يجري على أقلامهم من حين وآخر .

القسم الأول - من شعراء المدائح

من شعراء هذا القسم الذين كادوا يوقفون شعرهم على المديح الديني الشيخ قريب الله/أبو صالح ، وهو أحد شعراء الصوفية طريقته سمانية . له ديوان شعر في الالهيات والنبويات تبدو مشاعره وأحاسيسه الدينية فيه رقيقة شفافة وصياغته عذبة لأنها صيغت لتنشد في حلقات الذكر وقد أخذ المديح النبوي من ديوانه (رشفات المدام) قدرا كبيرا من قصائده .

وقد غلب الطابع الصوفى على مدائحه النبوية ، فقد تبدأ القصيدة عنده بالغزل الصوفى الرقيق الذى يرمز به الى الوصل بالذات الالهية أو يعنى فيه الوصول ، ثم تأتى الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ويغلب على استغاثاته الشين ترتيبا له رجاؤه فى الوصل بالله وقلما تتضمن استغاثاته دعوات للدنيا وما فيها من أعراض زائلة ، ومن ملامح الصوفية فى شعره أنه ربما ابتدأ القصيدة بذكر الله ثم مدح الرسول والاستغاثة به ، وربما فيختمها بحمد الله ، بل أن ختام القصيدة بحمد الله وشكره يكاد يكون ظاهرة عامة فى معظم قصائد مدحه النبوى ولا يخفى أثر التصوف فى ذلك .

ونقف فى الصفحات التالية على بعض قصائده النبوية التى تمثل خصائص مديحه النبوى :

فمن قصائده التى تبدأ بالغزل ، والتشوق الى الرسول قوله :

اليوم هبا برق الأحبة لاحـــــا

عند الصباح فأخجل الصباحــا

ملأ القلوب نضارة وبشـــــــارة

ومحا الهموم وجدد الأفراحـــا

وأهاج شوقا للأحبة كامنــــــا

وأثار دمعا لم يزل سحاحـــا

ماذا يحنى المشتاق وهو مقيـــد

الا اذا منح الالــه براحـــا

فانعم بخلك خاطرا بلزامــــح

مـا بدت أهدت اليك فلاحـــا

واعلق بربك أن يدوم نوالـــــه

بجواذب جذبت له الأرواحـــا

وتوسلت بالهاشمــى محمــــد

باب الاله ولم يــزل مفتاحـــا (١)

وتبدو صوفية الأبيات وعذوبتها واضحة ، ولعل فى حرف النداء فى البيت الأول ما يدل على هذه الصوفية ، وفى الأبيات من معانـــى الغزل الصوفى وأساليبه ، ما لا يخفى مثل ذلك البرق الذى يلـــوح فيخجل الصباح ، ومثل نضارته التى تملأ القلوب وتمحو الهمـــوم وتبدد الأغوال ..

وهو الذى يهيج أشواق القلوب ويثير الدمع السخى بل تبدو معانــى الصوفية أوضح فى مثل قوله

ماذا يهيج الصبتان وهو مقيــد

الا اذا منح الالـه براحـــا

وقولـــه :

وأعلق بربك أن يديم نوالــه

بجواذب جذبت له الأرواحـــا

ثم يمضى هذا الغزل الصوفى يأتى مدح الرسول ممتزجا باستغاثـة الشاعر به صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الشيخ عبد الله أبو صالح - رشفات المدام ص ٨٢ - ٨٣ .

يا أحمد ومحمد يا حامد
يا خير ساق أترع الأقداحا

يا عنصر الكون الذى لولاك لم
تهب النسائم عرفها الفواحا

عطفا على زمن تقضى عمره
لعبا ولهواً غدوة ورواحا

أنت الذى عم الوجود نوالكم
وبدا لنا بكم الرشاد صباحا

ولأنت أكرم موصل من ربنا
وبك المسئ ينال منه سماحا

ولك الاجابة عند ربك سرمدا
والاذن ألقيه لكم وأباحا (١)

وفى الأبيات يتضح ما أشرنا اليه من أن الشيخ قريب الله
يكثر فى استغاثاته من طلب الارشاد والتوجه والتقرب لله وقليلا ما
تشمل اغاثاته أمور الدنيا .

والمعانى الصوفية فى الأبيات جلية وواضحة ، فالرسول خير ساق أترع
أقداحهم بحب الله وحب رسوله ، وهو عنصر الكون الذى من أجله
خلقت الحياة وهبت نسائمها الفواحة الأريج .

---

(١) الشيخ قريب الله أبو صالح ـ رشفات المدام
ص ٨٢ وما بعدها .

وتزداد معالم هذه الصوفية وضوحا فى استغاثته فى قوله :-

واجمع بكم شمــلا تفرق وامنحـــن

وصلا وهب لى نورك الوضاحــــا

واجذب اليك عنان أمرى كلــــه

حتى تصير كآبتى أفراحـــــا

ويختم القصيدة كعادته بالصلاة على الرسول وحمده وشكره الله تعالى .
وهذا أيضا طبع صوفى ، لعله أقرب الى انشغاله فى حلقات الذكر ،
بذكر الله والصلاة على الرســول ويتضح هذا المعنى ويقوى اذا عرفنا
أن معظم هذه القصائد تنشد فى حلقات ذكرهم : يقول

وأدم صــلاتك والســلام على الــذى

أرسلتــه ومنتــه فتاحـــــا

بدوام ملكك يا كريــم وعــمّ مــــن

ولاه ما غنى الحمــام ونامـــا

والحمد والشكر الجميـل لذاتكــم

يامن لخلقك لـم تزل فتاحـــا

ومن نبويات الشيخ قريب الله التى تبدأ بالغزل الصوفى ثم تتخلص
الى الاستغاثة والمديح ، وتختم بالصلاة على الرسول والشكر لله رائيته
التى يحن فيها الى المدينة ، وفيها تتجلى أيضا ملامح الشعر الصوفى
يقــول :-

عرج على الحي وأسأل ساكنيه أمـــا
رأيتمو وفد قوم بـــا فـي السحر
فان أجابوك فاسأل أين مقصدهـــم
الى تهامة هم يمضون أم مضـــر ؟
الى المدينة حيث النور مشرقـــه
فان أجابوك جد السير في الأثر
واسأل من الله عونا تستمـد بـــه
واسفح دموعك بالأشواق كالمطـــر
وقل يهديك يا مولاي خـذ بيـــدي
الى الوصول وجنبني عــن الضــــرر
واقطع طريقـك في ذكر وهيللـــة
مع الصلاة على المختار مـن مضـــر (١)

ففيها من ملامح الوجد الصوفي ما يظهره ذلك التساؤل عــــن مسيرة الركب ، فإن بان له أنها الى المدينة حيث يشع النور المحمدي ، فما عليه الا أن يجد السير إثر أولئك الراحلين ومن هذه المعانـــي سفح الدموع على تلك الربا ،والاستغاثة بالرسول ، وقطع الطريق بذكر الله ، بلا اله الا الله ، والصلاة على المختار ، ثم طلب الوصـــل

---

(١) رشفات المدام - ص ٨٢ وما بعدها .

وفى القصيدة من ملامح الشعر الصوفى التأدب أمام مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتحيته بطرف فيه من الخشوع لله ما فيه .

فان وصلت فقم بالشكر معترفا
لله بالمنة العظمى على البشر
فادخل فديتك من باب السلام وقف
على وقار وآداب على حذر
وصلّ بالروضة الغراء تحيتها
وقم الى المصطفى خير الورى القمر
واقر السلام وقل يا خير من خلقت
لأجله الخلق أدركني فأنت حرى

وتختم القصيدة بالصلاة والشكر . شكرا على كل حال : وهذا معنى صوفى

يا رب صل على المختار سيدنا
والآل والصحب والأتباع للأثر
والحمد لله حمدا لا انفصام له
على كل حال وشكر غير منحصر (١)

وفى قصيدة أخرى يبدأها بالنسيب ، مستعينا على تشوقه بأداة الاستفهام التى تدل فى مثل هذه الأحوال على التشوق ولعله فى

---

(١) رشفات المدام ص ١٩١

ذلك يشار الى بداية البوصيرى الاستفتاحية

أمن تذكر جيران بذى سلـــــم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ؟

يقول الشيخ قريب الله

أمن طيبة لاحت بروقك أم سلــــع

ومن أحد أم من قبا جدت بالدمع ؟

أظن نسيمات الوصال لقد سـرت

اليك فهام القلب منها الى الربـع

فأصبح محزونا كئيبا لبعــــــده

وحبنا تسليه ملازمة القـــــرع

يؤمل عند الله وصلا مؤيـــــدا

بمن حباه الله بالوصل والجمـع

محمد المبعوث للخلق رحمـــــة

شفيع الأنام الطيب الأصل والفـرع (١)

ولعل فى ذكره تلك الأماكن ما يشير الى تبرك بذكرها وتلـذذه بترداد أسمائها ، وتلك سمة معروفة فى الشعر الصوفى ومن معانـــى الصوفية التى تدور فى هذه القصيدة ، قولـــه :-

---

(١) رشفات المدام ص ٢٢٥

دعانا الى الله المهيمن وحــــده
غلبته أرواح المحبين بالدمـــع

فكان شهود الحق منه جزاءهـــا
حياة وفى المعتبى تبارك ذو المعى

والاشارات الصوفية واضحة فى تلك الأرواح التى تلجئ بالدمـــع ، وفى شهودها الحق جزاء من الله .

وفى القصيدة سمة أخرى من سمات التصوف ، وهى التيقن مـــن القبول ، وهذه درجة عالية من درجات الايمان ، ومعلوم أننا معشـــر المسلمين أمرنا أن ندعو الله ونحن موقنون بالاجابة ،

يقول الشيخ فى هذا المعنى – متحدثا عن الرسول

ولكننى لما تعمدت رحابــــه
أتيت بها تقديمه كان فى وسعـــى

وأعلم أنى لم أرد بخيبـــــة
ولابد من يوم يدوم به جمعـــى

ألا يا رسول الله جئتك قاصـــدا
وتصدى لكم بالبر يستدعـــى

أروم بكم نجحى واصلاح حالـــتى
وأن أبيد المقصود سهلا على الطوع

فكم خيرات أتت ومواهـــب
وكم منكم آمنٌ جاء يذهب للـــروع (١)

---

(١) رشفات المدام ص ١٢٥

ومن شعره الذى يبدو فيه وجده حارا ، قوله يتشوق الى جمع شمله بأحبابه ، فاذا حقق الله له هذه الأمنية شكر المهيمن .

قل من الصب المشوق الصادى
من غادرته مشاعر الزهاد

سكب الدموع على الخدود تشوقا
لأحبة ذهبوا لدرب الوادى

وفى الأكف الى المهيمن راجيا
وهو الكريم مجيب كل منادى

فاذا البشارة نبأته فأصبحت
أفراحه بمناة كل منادى

شكر المهيمن حيث جمع شمله
بأهيله فى سبسب ووهاد

يا رب فاجز نبينا خير الجزا
فهو الشفيع هنا وفى الميعاد

صلى عليه الله جل جلاله
ما ساق عيسى العاشقين الحادى

والآل والصحب الكرام وتابع
ما قال حى على الكريم منادى (٢)

والأثر الصوفى فى الأبيات واضح ، فى حديثه عن ذلك الصب

---

(٢) رشفات المدام ٢٥

الذى غادرته الزهاد ، وفى شوقه لدرب الوادى وهو رمز صوفى كثير فى شعرهم ، ومن تعابيرهم ورود البشارة وشكر المهيمن ، وعلى كل فالأماكن الصوفية تلمح لها ولا تحصى احصاء دقيقا .

والشيخ قريب الله الى جانب هذه البدايات بالغزل له قصائد يبدأها بالحديث عن أشواقه للرسول ، حديثا مباشرا يستغنى فيه عن ذكر الأماكن وما فيها من رموز شوق صوفى بذكر أسماء الرسول وصفاته ، فالرسول شمس الهدى وصفة البارى ، وهو محمد فى الأرض ومحمود فى السماء وهو سحب الندى ، وغوث اللهيف الصادى ، وهو معطى العلا ، ولا ريب أن الترنم بهذه الأسماء والصفات يعوض الشاعر كثيرا عن المتعة الروحية التى يجدها فى تكرار ذكر أماكن الحجاز ، وفيها ما فيها من الرموز الصوفية التى يتلذذ بذكرها وتكرارها المتصوفة .

يقول :-

أصبحت أنشد والحجاز مرادى
وفؤادى بالعهد القديم فؤادى

لا زال مشتاقا لرؤية قبر من
دامت فضائله على الآباد

شمس الهدى يا صفوة البارى الذى
عم الورى بسنائه الوقاد

ومحمد المحمود فى أهل السمـــا

سحب الندى غوث اللهيف الصــادى

يا خير خلق الله يا مصطفى العطـا

أنت الذى قــد جئت بالإسعــاد (١)

وفى هذه القصيدة يصرّح الشيخ قريب الله بما يؤمله ويرجو مـــن استغاثاته ، فهو يرجّى من الرسول تارة تعينه على التوفيق فـــى العبادة لينال أقصى درجات العباد وهى الولاية التى يسمو لهـــا رجال الصوفية ، ثم يأمل أن يحشر فى المحشر هو وآله الى جـــوار المصطفى ، وتختم القصيدة بجناس لطيف يذكر فيه الشاعر اسمـــه يتلاءم مع الصلاة على النبى والحمد لله - يقول مخاطبا الرســـول

أنظر الىّ بعينكم يا سيــــدى

لأنال أقصى رتبــة العبّــاد

وأقوم يوم الحشر تحت لوائكــــم

من أسعد السعداء فى الميعاد

مع والدى وكل من ينتمــــى

بقرابة أو عشــرة بــــوداد

وأمنن على العبد القريب بتوبـــة

وانابة لله جـــل الهـــادى

---

(١) وشفاءات الصدام ص ٦١ .

ثم الصلاة مع السلام عليـــك مـــا
سال السحاب وسح منه الوادى
والحمد لله المهيمن وحـــــده
سبحانه هو عدتى وعتـــادى (١)

وقد تبدأ القصيدة النبوية عنده بتقريع النفس ولومها على التقاعس عن العبادة - ويرى غيره من أهل التقى العارفين يرقون ويصعدون ، وهذه إحدى سمات الورع الصوفى فهم يرون أنفسهم (تواضعا) أقل من العابدين ،وما يزالون يحتاجون الى الاكثار من الذكر والتبتل .

الى كم الى العليا تتوق وتصعـــد
وغيرك يا مسكين يرقى ويصعـــد
وعمرك فى هذا وهم قامتـــــه
وفى بك يا بطال هذا التـــردد
بلغت على التقريب ستين حجـــة
وما زلت فى لهو كأنك أمـــرد
الى كم بهذا البعد تحسب قـــوة
وغيرك بالأقبال يهنا ويسعـــد

ثم يصل بعد هذا التقريع المنيف لنفسه ،يصل الى الاستعانـــة

---

(١) رشفات المدام ص ١١٩

بالرسول والى مدحه : يقول مخاطبا نفسه

تضرع الى الله الكريم فإنـــــــه
مجيب لداعيــه وقل يا محمــد

أغثنا فأنت الغوث فى كل كربـــة
وأنت الذى يرجو نداك ويقصد

فلولاك ما جاء الوجود جميعـــه
وما وجد المولى الخلق موجد

بعثت لنا من ربنا محض رحمـــة
وأنت بنا بر رؤوف وسيـــــــد

ويختم القصيدة بالصلاة على النبى وأحبابه صلاة يحيى بها الوصل :

عليه صلاة الله ثـــم سلامـــــه
صلاة بها أحيى بها الوصل أحمد (١)

وله بدايات أخرى لقصائده ، فقد تبدأ القصيدة بحمدالله والصلاة على رسوله وتختم بذكر الله : مثل قوله

باسم الله البر ربى أبتـــــدى
والحمد والشكر الجميل السرمدى

---

(١) رشفات المدام ٩٤

وكذا الصلاة مع السلام على النبى
والآل من هم فى الخواطر مقصدى

مولاى أوصلنى كما وصل الألى
ساروا على قدم النبى محمد

واشدد عراى واغننى عن غيركم
بكمو وأسعدنى بحرمة أحمد

وتولنى فى كل حال خالقى
فأنا ضعيف ضارع يا سيدى

بحبيبكم وآله والملائكم
وأبيه آدم والكريم الأسعد (١)

الى أن تختم القصيدة بالصلاة على النبى وذكر الله
يقول فى ذلك

ما الخير بالشىء القليل لديكم
فامنن وارأف بالنبى الأمجد

صلى عليه الله جل جلاله
والآل ما دام المهيمن مسعدى (٢)

---

(١) رشفات المدام ١١٢

(٢) نفسه ص ١١٢

وقد تبدأ القصيدة بالاشارة الى أوائل التنزيل والصلاة على الرسول .

بأوائل التنزيل حسبك أبتدى
وكذا الصلاة على النبى محمد
والآل ما غنت مطوقة وما
حنّ المشوق الى زيارة أحمد

وتمضى القصيدة فى التوسل بالرسول وآل بيته حتى تختم بالصلاة والحمد لله .

وصلاة ربى دائما وسلامه
لشفيعنا خير الوجود محمد
والآل والأصحاب والأتباع ما
ماست غصون الورد بالزهر الندى (١)

وقد يجنح الشيخ رحمه الله قريب الى التكرار فقد يكرر كلمة أو يكرر جملة مثل قوله فى الاستغاثة

بالله بالله أهل الفضل لا تذروا
من لا له الاكم حلا ولا سفرا

---

(١) رشفات المدام ص ١٠٨

بالله بالله أهل الفضل فانتصروا
لمستغيث بكم يا خير من نصرا
بالله بالله أهل الفضل فاستمعوا
دعاء عبد دعته النفس فابتدرا
بالله بالله أهل الفضل نظرتكم
الى فقير لديا يا طالما نظرا
أنتم ذووالفضل والاحسان من قوم
وطالما كسر أقوام بكم جبرا
يا رب صل على المختار سيدنا
محمد خير من حج واعتمرا (١)

ولعل من أمثال هذا التكرار مع التبرك بذكر الله ، ما يقوى جرس الأبيات ، وكما يقول الدكتور عبد الله الطيب عن التكرار (ولا ينبغى أن ينسى) أن كل تكرار مهما يكن نوعه يستفاد منه زيادة فى النغم وتقوية للجرس (٢)

هذا بعض ملامح المديح النبوى عند الشيخ قريب الله ، وهو يشترك مع غيره فى كثير من خصائص المديح الصوفى ، مثل رقة الألفاظ

---

(١) رشفات المدام ص ١٥٩

(٢) عبد الله الطيب المرشد الى فهم أشعار العرب ٥٦٨

والتكنية والرمز للأحباب ، والاكثار من ذكر أسماء بلاد الحجاز والتأدب عندما يلم الركب بمداخل المدينة المنورة ، وذرف عبرات الحزن على ماضي العمر ، الى تلك الخصائص .

ومن شعراء المدائح الذين كادوا يوقفون شعرهم على المديـــح الديني : الشيخ عبدالعزيز الدباغ محمد عبد الماجد صاحب ديــوان نسمات الأسحار في بسمات الأفكار في مدح الاشعار بذكر النبي المختار والسادة الاخيار (١) وواضح من عنوان الديوان المعنى الصوفـــي الورع حيث أن الشاعر يعتقد أن مدائحه تتشرف بكونها نظمت فــــي النبي المختار والسادة الاخيار :

والشيخ الدباغ شاعر تغلب على مدائحه الرقة وعذوبة الصياغــــة مع مقدرة بيانية عالية ، تنم عن شغف وحب الرسول صلى الله عليــــه وسلم . ومن قصائده التي تظهر فيه هذه السمات : نونية له مطلعها

عجلاً على عيسى الهوى وجفونـــي

سر بي الى من سالموا وجفونــــي

ولعل في هذا المطلع دلالة على حسن صياغته ، ففي عيسى الهوى صورة شعرية سامية الخيال حيث تخيل أن للهوى عيساً ، فـــي مجانسته بين (جفوني وجفوني - جرس موسيقي جميل .

---

(١) للديوان مخطوطة بيد الشاعر لدى حفيده

ونسخة أخرى بدار الوثائق - ونسخة لدى الشيخ مصطفى طيب الاسماء

ومن المميزات التى سار عليها الشيخ الدباغ أنه يجعل الـــــو المصراع الأول من مطلع القصيدة يجعله شطرة ثانية فى آخر أبيـــات القصيدة ، ذلك منظور فيه الى التنغيم الموسيقى الذى بدأت بـــه القصيدة ، فهو يختم هذه القصيدة بقولـه :

وعليك صلى الله ما ســح الحيــا

وغدا النسيم مروحا بغصــون

أو أنشأ الدباغ من شوق بــــــه

عجلا على عيس الهوى وجفونى

وفى الأبيات بعد ذلك غناء جميل وترنم عذب يكرر فيه الشاعــر أسماء ديار أحبابه ، داعيا الى السير اليها فى رحل دءوب منذ السحر ، ومن تشوقه يصف له مناهى سيره بين تلك الربوع ومنعطفاتــــها بقـــول

وأرحل لهم سحرا فعلك أن تـــرى

بدر اللقا بلقائهم يشفيـــنى

واقصد يمين الحى ثم اعطف علـــى

بان اللوى وأراكه المكنـــون

واستوقف الاظعان عند بطاحــه

وشامه وغذامه بمكــــــون

وأبرز من الجزء الذى بصيلـه

أرج النسيم ونفحه النسرينى (١)

ويدعو الشاعر لهاتيك الربوع بالسقيا – بواكف هتون يسقى رباها وطلولها ، أن هاتيك الديار لا تزال تعيش فى وجدانه يرعى عهد أهلها .

يقـول :-

سقيا لهاتيك المعاهد والربا

وطلولها وربوعها بهتون

لم أنسها وأحبتى كانوا بها

الا يرى العهد طىّ يمينى (٢)

وهو لفرط أشواقه ، ولحبه يحيى أهلها فى ورع وتأدب وتلطف يحيى أولئك الأحباب متى ما ظهرت خيامهم وأشرقت أقمارهم – ولفرط الشوق يدعو كل زائر لتلك الديار ، أن يلثم ثراها ، وأن يلصق شفاه بتربها – كل ذلك كناية عن شدة الشوق .

يقـول – فى هذه المعانى .

---

(١) مخطوطة الديوان ص ٢١٥

(٢) نفسه ص ٢١٥ – وما بعدها .

فاذا بدا علم الخيام وأشرقـــت
أقماره فوق الغصون البـــون
فاقر السلام أهيل جزع المنحنى
بتأدب وتلطف عن لـــين
والثم ثرى وجنات أرض نعالهـــم
والصق خدك بتربها المعجون

ويزداد أوار هذا الشوق - عندما يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم مديحا صريحا ، فهو المخلص فى حبه له والمتخلص مـــن ذاك الحب من كل الاثم ، ويورد شوقا اليه عددا من أسمائه صلى اللـــه عليه وسلم متبركا ومتلذذا بذكر : هذه الأسماء والصفات .

أخلصت فى حبى له فخلصـــت من
أسر الشقا بمحمد المأمـــون
الطاهر الطهر الشفيع المرتضـــى
والمجتبى للصدق والتأمـــين
الساجد القوّام فى غسق الدجـــى
والناس بين تروق وأنـــين
الحامد المحمود فى أفعالـــه
والناصر المنصور خير أمـــين
رب المهابة والكياسة والتقـــى
والفصل فى جزل بقول مـــين

رب العطا ، رب البها ، رب الصفا
رب الوفا والصارم المسنـــون

هو عصمتى ، هو نعمتى ، هو وجهتى
هو قدوتى هو رحمتى هو دينى (١)

وفى نونية أخرى يتغنى الشيخ الدباغ عن حبه للنبى وتشوقه اليه بالحديث عن لمحات الأنس التى أحيته بلمحها وطابت أحيانه وأوقاتـــه بنسيمها العاطر ، يقول فى مطلعها .

لمحات أنس لمحها أحيانـــــــى
ونسيمها طابت به أحيانـــــى

وفى تكرار حرف الهاء فى مطلع هذه القصيدة جرس موسيقـــــى عذب ، وفى المجانسة بين كلمتى أحيانى ، براعة وحسن استهـلال :

ويمضى الشاعر متحدثا عن لمحات الأنس ، وأريجها العطـــر ، فهى تختال فى مشيتها فتدنى اليه الشذى الريحانى ، وتملأ نفســـه طربا وسرورا إن لحونها تنسى كل لحن غيرها .

تختال فى دورانهـــا بمعنــــبر
يدنى اليك لطائـف الريحـــان

---

(١) مخطوطة الديوان ص ٢١٥ – وما بعدهـــا .

حدقت به حدق الزهور نواضـــــرا
وتفتحت عن نرجس وسنـــــان

والورق من طرب يسرّ حديثـــــه
بلحون من أشجانه لحن ألحان

وعواطف الأغصان طبق تقـــادم
لثمت اليه شقائق النعمـــــان

وغدا نسيم الفوح من أنفـــــاسها
يبرى القلوب بريه الهتـــــان (١)

وينتهي به هذا النسيب الذي يطيله شيخ الدباغ اطالة واضحـــة ليصل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويغلب على مدحه النبوي استعمال الألفاظ ذات الاشارات والدلالات الصوفية مثل قوله

حسبي أرى كأس السرور يديـــره
قطب الوجود ونقطة القـــرآن

مشكاة نور الله أصل ضيائـــــه
وصباحه أيضا ونور بيـــــان

نور الهداية ومطلعه في حضـــرة
لمعت عليه جلائل الرضـــوان

---

(١) مخطوطة ديوان الدباغ ص ٢٢٠ - ومابعدها .

المصطفى سر الوجود بأسـره

نور الهدى وفريدة الأكـوان (١)

ولا يخفى ما فى الأبيات من اشارات صوفية واضحة مثل ـ قطب الوجود وأصل خباياه ، وساحة فى حضرة ، وسر الوجود الـذى وكعادة شيخ الدباغ فى ختام القصيدة يعيد المصراع الأول مـن المطلع

صلى عليك الله ماهبّ الصبـا

وزها الشقيق بوجنة النعمـان

والآل والأصحاب ما سح الحيـا

فوق الربا وأيمن الكثبـان

أوأنشد الدباغ فيه مولهـا (لمحات أنس لمحها أحيانى) (٢)

ومن الشعراء الذين أوقفوا دواوين شعرهم على المديح الديـنى الشيخ محمد الحبيب الأسماء ـ له ديوان شعر مخطوط عنوانه المتامـل الروية فى مدح خير البريـة (٢)

---

(١) مخطوطة ديوان الدباغ ص ٢٢٠ وما بعدها

(٢) نفسـه

(٣) توجد نسخة بخط يد الشاعر لدى ابنه الأستاذ مصطفى محمد الحبيب الأسماء ونسخة مصورة بدار الوثائق المركزيـة .

وأول ما يلاحظ على مدائح الشيخ طيب الأسماء ، أنها تبــــدأ غالبا بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتغزل غزلا رمزيــا ، يحن فيه الى الرسول وبلاد الحجاز ويتخلص بعد ذلك للثناء عليـــه ، وتغلب على افتتاحياته الغزلية الرقة فى الألفاظ والشجن والشوق الـــى الحبيب وله فى ذلك من اختيار العبارات الرقيقة الشفافة ما ينـــم عن وجد وشوق ، مثل الاكثار من أدوات الاستفهام وذكر أماكـــن الحجاز ، وتصغير تلك الأماكن أحيانا تشوقا فمن بداياته بالصـــلاة ثم التغزل قوله :

يا رب صل وسلم دائما أبـــدا

على شفيع الورى فى يوم حشرهـــم

ثم قولـــه :-

أكأس راح الصفا فى ألحان مشرقـة

على الندامى أديرت فى دجى الظلم

ولعله آثر البداية بالصلاة على الرسول تبركا ، ومراعاة لما تقتضيـه حاجة المادحين الى تكرار البيت الأول عقب كل بيت وهو يسمـــى (بالصلاة) ومن هذا النموذج قوله فى افتتاحياته بالصلاة

يا رب صل على النبى محمد . خير الكرام ابن الصفــوة

ثـم قولـه :-

كلفى بسكان العقيق وراســة . فى حبهم دمعى كهاطل ديمة

أو قولـــه

يا رب صل على النبى محمـــــد

خير البرية صفوة الأخيـــار

ثم قولـــه

قف بالبقيع منيرة يا ســــــارى

وأنـــخ ركابك عند تلك الآثار

وفى قصائد الشيخ طيب الاسماء تبدو ، رقة ألفاظه مع لمعاتـــه الصوفية فى اختيار الألفاظ ، والاشارات المعنويـــة لتلك الألفاظ .

ففى ميميته السابقة التى يجارى بها بردة الشيخ البوصيرى تظهر هذه السمات واضحة جلية يقول فيهــا .

أكأس راح الصفا فى الحان مشرقـــة

على الندامى أديرت فى دجى الظلم ؟

أم بارق الوصل فوق الأحلاك لاح لمن

قد جدّ فى السير نحو الحى من إضم

أم نور سلمى أضا من حسن طلعتها

فاضرم الوجد فى أحشاء مصطلـــم

أم نابطات شعر أنشدت سحـــرا

فى مدح خير الورى من عرب ومن عجم (١)

---

(١) محمد طيب الأسماء ـ مخطوط ديوان : المناهل الروية فى مدح خير البرية ص ـ ٥

ان تلك الكأس المشرقة هى كأس الصوفية ، وان بارق الوصل وأنوار سلمى ، ونسيمات السحر كل ذلك من اشاراتهم التى لا تخلو من عذوبة مع ما فيها من أسرار .

ويكرر الشيخ أبيب الأسماء اسم الرسول محمد فى أول الأبيات تبركا وتلذذا باسمه ، وكما أشرت من قبل ان التكرار لا يخلو من جرس موسيقى يطرب الأذن ، وان كان الاسم المكرر حبيبا للنفوس مثل اسمه صلى الله عليه وسلم ، فانه يطرب النفس أيضا .

يقول :-

محمد المصطفى المختار من مضر
من مدحه جاءنا فى نون والقلم
محمد عنصر المجد الرفيع ومن
بنوره نارت الدنيا من الظلم
محمد روح أرواح الوجود ومن
من سره ابتدا سر اللوح والقلم

فالرسول عنصر المجد الذى أنارت به الدنيا ، وهو روح الوجود وهو ابتداء سر اللوح والقلم ، وهذا بلا ريب قاموس شعراء الصوفية الذى يكثرون منه فى قصائدهم ويمتد هذا الفيض عند شيخ طيب الأسماء : فيقول عن الرسول .

كل الحقائق كانت من حقيقته
ونوره سابق فى حضرة القدم

وكل روح لها من روحه مـــدد
حيّاه بالفضل فضلا بارئ النســم

سبحانه من خصه فى كل مرتبـــة
بما تقاصر عنه كل مفتخــــم

ويختتم القصيدة بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم متلطفـــا ومتأدبا فى ذكر اسمه :

صلى الإله عليه دائما أبـــدا
ما دام صب مشوق القلب بالحرم

أو ما شدا طيب الأسماء ممتدحا
وسيلة الخلق عند الله ربهـــم

وفى قصيدة نونية يبدأ أيضا بالصلاة على الرسول ثم يعود الـــى نسيبه الرقيق ، وهذه القصيدة من أرق شعره وأكثره تشوقا الى الرسول والى دياره ، فالشاعر دنف القلب تذوب حشاشته شوقا لأحبابه ، يروعه (بُريق) لاح من تلقائهـــم ويهيج لواعج أشجانه ؛ وتسيل مدامعـــه كلما شدا الحادى بذكرهم الى آخر هذه المعانى التى يبدو منهـــا وجده ظاهرا ؛ يقـــول :-

يا رب صلى على النبى محمـــد
خير البرية صفوة الرحمـــان

لى فى هوى أهل الحمى قلب غدا
دنفا كئيبا دائم الأحـــزان
ومشاشة كادت تذوب لفرط مــا
لاقته من حرق ومن أشجـــان
فاذا (بريق) النار لاح أراعــنى
وأهاج لاعج لوعتى وسبــالتى
واذا حدا الحادى بذكر حديثهم
جاريته بسوافح الأجفــــــان (١)

وتمضى الأبيات على هذا النسق من سلاسة وجمال صياغة ووجــد ظاهر : الى أن يصل الشاعر الى مدح الرسول فنجد طابعـــه الصوفى بارزا بينا ، فيصفه بأنه عنصر الملأ الرفيع والنور الذى صيغــت منه الكائنات ، وهو سر الغيــب

يقـــول :-

هو عنصر الملأ الرفيع ونــل مــن
قد كان من جن ومن انســــان
كل الكوائن كونت من نـــوره
واللوح والقلم الرفيــع الشــــان
والعرش والكرسى والأفـــلاك
والأملاك والروح الأمــين الدانــى

---

(١) مخطوط ديوان المناهل الروية فى مدح خير البرية
ص ـ ٣٣ وما بعدهـا .

ومن سر غيب حقائق الملكـــوت
من أبدى غوامض مشكل القرآن

وعوالم الجبروت من أســـراره
امتدت وكل حقائق الأكـــوان (١)

وتشمل هذه القصيدة توسل الشاعر بالرسول صلى الله عليـــه وسلم ليشفع له - عند الله - يرجو به المغفرة ، وإصلاح دينه ودنياه .. يقــــول :

يا أكرم الرسل الكرام وخير مـــن
برأ الإله وخاتم الأديـــان

أرحم محمدا أرهقته ذنوبـــه
وانظر له في موقف المـــيزان

حقق له فيك الظنون ونجـــه
في حشره من ضيعة الخســـران

وتوله في هذه الدنيا مـــن
الأشرار أهل البغي والطغيـــان (٢)

وكعادته يختتم القصيدة بالصلاة على النبي ، تلك الصلاة المكررة . يقــــول :

---

(١) المخطوطة ديوان المناهل الروية في مدح خير البرية ص ٢٧ وما بعدها .

(٢) نفســـه ص [illegible]

صلى عليك الله يا خير الورى

والآل والأصحاب والأعوان

ما حن شاديب أو ترنم منشد

أو ناح طير فوق غصن البان

أو طيب الأسماء شنف سمع من

يهواكم بنغيمة الألحان

وقد يبدأ القصيدة بالنسيب مباشرة - مثل ما جاء في مطلع قصيدته الحائية - التى لعله تأثر فيها الى حائية البوصيرى المشهورة التى مطلعها .

أمدائح لى فيك أم تسبيح

لولاك ما غفر الذنوب مديح

حدثت أن مدائحى فى المصطفى

كفارة لى والحديث صحيح

- لقد جاءت حائية طيب الأسماء مفعمة بالشوق للرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤرقه فيها الشوق والسهاد ، ويقرن جفنه البكاء - كلما هبت نسائم الصبا النجدية - وهو الصب الدنف لا يشتفى الا اذا شاهد أنوار طيبة ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم - يقول :-

صب براه الشوق فهو طريح

وفؤاده بين القلوب جريح

قد أضرم الهجران نار العشق منـه
وجفنه كلم السهاد قريـــح

دنف يحن الى الأحبة دائمــــا
وضنٍ شواه الغـمّ والتبريـــح

لا يشتفى الا اذا من طيبـــة
قد شاهد الأنوار وهى تلوح

ورأى الرسول المصطفى من هاشم
من ذكره روح المشوق يريـــح

من نوره تمسخ الآلام وهديـــه
نسخ الضلال وصدره مشـروح (١)

ويسترسل الشاعر فى مديحه للرسول فيذكر سجاياه وتغلب علـــى تلك النعوت والسجايا - المعانى الصوفية فالرسول قد صيغ مـــــن نور الله تعالى ، وناجاه الله بسره قبل العالمين ، وبه فتحـــت المغاليق ، ومنه رموز أسرار العارفين -

يقول أبيه الأسماء فى هذه المعانى مادحا الرسول صلى اللـــه عليه وسلم .

من نور رب العرش ولم يكـــن
من قبله بشر ولم يك رق

---

(١) المخطوطة - ص ٥

ناجاه قبل العالمين بسره
وأتاه بالوحى الأمين المشرق

فتحت به أخلاق كل غريبة
من علمه للعالمين تلوح

وتفرقت أعراقه جدا بسره
من رمز العارفين وضوح

مشكاة سر الكون إذ من نوره
يبدو له الاصباح والتصحيح (١)

ومن الشعراء الذين اهتموا بالشعر الديني اهتماما كبيرا الشيخ مصطفى الطشم - له ديوان مخطوط - عنوانه الديوان الطشم (٢)

ومن جيّد مدائحه النبوية لاميته التى صيغت على وزن ورويّ لامية كعب بن زهير ، (بانت سعاد) افتتحها بمقدمة نسيب بزلة فيها شوق وحنين الى الرسول ودياره ، ويتجدد ذلك الحب كلما ذكرت تلك الديار يقول فى هذه المعانى :

حبل المحب بمن يهواه موصول
وقلبه بأذكار الحق مأهول

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) توجد مخطوطة ديوان الشاعر لدى الاستاذ عثمان محمد عبد الرحمن موجه التربية الاسلامية بوزارة التربية .

يظل يروى أحاديث الصبابة عن

أهل الهوى وله بالشوق تحديـــل

تهيج ان ذكروا سلعاً بلابلـــه

وكم له بحديث الجزع تعليـــــل

وان أتى خبر من نحو كاظمـــة

فنشره عاطل والجسم مهـــــزول

له بجيرانها فى دهره كلـــــف

بذكرهم وهو مشغوف ومشغـــول

... يأذن الله يوما فى زيارتهم

فضلا له فهو بالاسعاف مشمـــول (١)

ومن أجمل ما فى الأبيات أن جعل نفسه ذلك المحب الموصـــول بحبل محبته ، وأنه ذو قلب مأهول بأذكار حتى أحبابـــه .

والشيخ مصطفى الملثم من أوائل الذين تحدثوا عن وسائـــــل المواصلات الحديثة ، مشبها اياها بالناقة ، فان كان الله قد جعـــل النوق للعرب ظلالة ، فقد يسر لنا بفضله هذه المخترعات لتحملنـــا الى تلك البقاع الطاهـــرة .

ولذا فالشاعر يخاطب سيارته كما يخاطب ناقته العربى القديم فيطالـــب

---

(١) مخطوطة الديوان ص ٥

الى تلك السيارة وهي من (الفورد) أن تقف تأدبا ان وصلت الى طيبة حتى لا يلم بقبر الرسول راكبا وواضح هنا تأثره بما كان يجرى على ألسنة الشعراء القدماء فى هذا الضطار •

يقول الشاعر متحدثا عن تلك المخترعات العلمية الحديثة ومنها الطائرة •

فهل تجوب بى الأجواء طائـــرة

وكل ما يبتغى الربّان مبـــذول

للعرب من قبلنا نجب تبلّغهـــم

ما يقصدون هى النوق المراسيل

الله أيد لنا عنها بقدرتـــــه

ذوات (تنك) وللخلاق تبديـــل

قد جاء فى الذكر منصوصا ويخلـــق

مالا تعلمون ، وهذا منه تسهيـــل (١)

ويقول مخاطبا سيارته التى أقلته الى حرم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أدى مناسك الحج والعمرة

متى تسيرين نحو المدينة مـــن

زار لهم بحماها يبلغ الســـول

---

(١) مخطوطة ديوان الطشم ص ٥

من بعد تأديتي من مكة نسكا
إفاضتي منه /للاحرام تحليل

مع رفقة من خيار القوم دأبهم
حفظ الزميل فلا خالتهم غول

حتى اذا ما رأينا طيبة ظهرت
أنوارها هدا منها القناديل

(تقرطي) أنبا كي لا نلم بها
ركبا وفيها رسول الله منزول

محمد أفضل الخلق الكريم على
مولاه من خلقه والكل مفضول (١)

ومن جيد ما جاء في هذه اللامية ، في مدح الرسول وصفه بلطافة الخلق الذي يشبه نسائم الرياض رقة ولطافة ومداعبته لصحبه تطييبا لخواطرهم ، مزاحا يعلمهم به الحق ، ومنها صفحه عن كل جان ، ومن ذلك صفحه عن كعب بن زهير :

يقول في هذه المعاني :-

أخلاقه نسمات الروض إن عبقت
بها الصبا سحرا والروض مطلول

يداعب الصحب تطييبا لخاطرهم
يقول حقا فما في المزح تضليل

---

(١) مخطوطة ديوان الطشم ص ٥

يعفو ويصفح عن جان عليه فـــان
جلت جنايته فالعفو مأمــــول
من عفوه أن نجا كعب غداة تلا
(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) (١)

وقد تبدأ القصيدة عند الشيخ صالح الطشم بذكر ايبة - مباشرة دون البداية بالنسيب - مثل تائيته (أعلام طيبة) بدأها بذكــــر أعلام طيبة التي تلوح في خياله وتنأى وتبين عنه ربوعها - يبدأ القصيدة بجناس جميل - عندما يجانس بين كلمتي بانت بمعنى ظهرت ، وبانت بمعنى نأت - يقــول

أعلام طيبة في خيالي (بانـــت)
وربوعها نزحت وعني بانــــت (٢)

ثم يتحدث عن الدار التي حل بها النبي ويعيد ذكرها مكررا وهو تكرار فيه كما أشرت قبل ذلك - تقوية للجرس وفيه تلذذ وتبرك بذكر الاسم المكرر : يقــول

دار بها حل النبي محمـــــد
فمتى بها يقضي الكريم لبانـتي
دار سمت بنزول أكرم مرســـل
فضل البرية كلها وازدانـــت

---

(١) اشارة لعفو الرسول عن كعب بعد اهدار دمه .

(٢) المخطوطة - ص ١٥

وفى القصيدة عدد من الاشارات والمعانى الصوفية مثل حديثه عن سكر القوم بذكر هذه الدار ـ لكنه سكر من الشوق ، وليس بالخمر التى هى بنت الحانة .. يقول

سكرت بذكراها الكرام تشوقا

فيها نشاوى لا ببنت الحانة

ومن جميل ما جاء فى القصيدة مدحه لاصحاب الرسول رضوان الله عليهم ـ فهم الكرماء الذين ينسون نزيلهم بجودهم كل كريم ، وهم الذين يؤثرون على أنفسهم ، وهم الذين نصروا الرسول عندما خانت اليهود : يقول

قوم إذا حل النزيل بربعهم

أنسوا بجودهم أبا سفانة

فاقرأ ـ حديث ويؤثرون وحسبهم

ـ مدحا ـ بها يتلى بنقل ابانة

نصروا الرسول الله اذ عدت العدا

من مشركين ومن يهود خانت

ومن جيد مدحه فيها للرسول قوله يصفه بالقوة فى الدين والقوة فى الجسم ـ يشير فى قوة جسمه الى صرعه صلى الله عليه وسلم لأبى زكانة ثلاث مرات .

فى دينه والجسم أوتى قوة

أو ما علمت بأمر صرع زكانة ؟(١)

---

(١) كان فد صارع الرسول ثلاث مرات فصرعه الرسول

حسبي فلست موفيًا في مدحـــه

ولو اشتغلت بنظم كل جمانـــة

ومن دواوين الشعر التي زخرت بالقصائد الدينية . ديـــوان نبويات وأدبيات ، للشيخ أحمد عبدالماجد الصاوي، وهو يحذو حذو رفاقه في تصدير معظم قصائده بالنسيب ثم يتخلص للمديح ، وتغلـب على افتتاحياته المجانسة بين الألفاظ وتكرار الكلمات ذات الأجـــراس المتجانسة في أصواتها .

لعل في ذلك كما أشرت تنغيما وتطريبا يكسب الصياغة جرســـا عذبا ، ومع هذه العناية الفائقة بالصياغة لا تخلو افتتاحياته مـــن الوجد والشوق لمآتيك الديار ولساكنيها .

يقول في قصيدة تائية يجانس بين (عروضة) البيت الأول وقافيتـــه بين كلمة الذات ولذاتـي

آنس يذكرك دائما لذاتـــــي

كيف الصدود عن الهوى والذات ؟

كيف الصدود وفي هواه تذللـــي

وتدللـي وحياته وحياتـــــي

كيف التنكر والنهار مفنـــدى

وتنفس الصعداء بالزفـــرات

وتمالي بلعل زاد تعللـــي

ولواعجي للشوق والشقـــات

ملأ السهاد نواظرى ومحاجـــرى

والجسم مطروح على الجمـــرات

يا نفحة البانات هل من نفحـــة

أحيا بها يا نفحة البانـــات(١)

ولا تخفى المجانسة بين لذاتى والذات ، والتذلل والتدلل وتعللى وتملى ، ومن ضروب المحسنات اللفظية عنده اكثاره من ايراد ألفاظ القرآن الكريم ، ومثال ذلك حديثه عن أعداء الرسول ، الذين سيهلكون بالنازعات ، والذاريات والمرسلات والعاديات ، والموريات والصافنات .

يقول فى ذلك متوعدا من أنكروا بعثته صلى الله عليه وسلم .

أعداؤه باؤا بخزى دائـــم

يا ويح من عاداه للحســـرات

فى النازعات مثل فى نكلـــة

والذاريات عليه بالعصفـــات

هلا سمعت المرسلات جيوشـــه

والعاديات الموريات ثبـــات

والصافنات الوافيات أتت لـــه

والرعب جاء يشن للغـــارات

والله مولاه ورافع ذكـــره

وظهيره جبريل فى الغـــزوات

---

(١) الشيخ أحمد عبد الماجد الصاوى . نبويات وأدبيات ص ٢٠ وما بعدها

سحقا لقوم نازعوا فى بحثـــــه

هلا كفاهم واضح الحالات ؟ (١)

وفى ختام هذا القسم من عرض شعر المديح نتناول ديوان الشريف يوسف الهندى ، وعنوانه الشهر البراق فهو من حيث تناول المعانـى لا يخرج من دائرة شعراء المديح الدينى الذين يغلب عليهـــم الطابع الصوفى فالقصائد غالبا تبدأ بذكر الأحباب والتشوق اليهـــم والحديث عن أيامهم ومرابعهم وما تبع ذلك من أسماء الأماكـــن وريح الصبا ، ثم تخلص القصيدة للمديح وتختم بالصلاة غير أن الديوان يختلف فى صياغته ، فهو عبارة عن مخمسات تلتزم القافية فى الشطـر الخامس من كل مقطع ، والشاعر لا يتقيد كثيرا بالعامل الإعرابــى فى أواخر الكلم ، بل تكون بداية المقطع هى التى تحدد نهايـــة كل مقطع كيفما اتفق ، ولعل الديوان كتب لتنشده العامة من مريديه . مثـال : قولــه

أدر ذكرهم أهل المحبة والأنــــس

وذكرنى عهدا تصرم بالأمــــس

وغنى بأحوال الشبيبة والعــــرس

وزودنى من خمر زينب بالكــــأس

ومن ريقها الممزوج بالشهد واللعـــس

تناءت بها الأظعان فى منتهى البعـــد

---

(١) الشيخ أحمد عبدالماجد الصاوى : نبويات وأدبيات

وأسموا بذات البان والرند من نجــــد
وخانوا ولم يرعوا الزمــام ولا العهـــــد
وقد صرموا حبــل المــودة والعهـــــــد
وخلفتهم يوم الــوداع على حنـــــــس (١)

والطابع الصوفيــة واضحة فى التكنية عن أحبابه بذكر زينب ،
وكأسها الممزوجة بالشهد ، وتأبيها عن الأهـــل .

ويتضح ما أشرت اليه من عدم التزامه بقواعد النحو فى قولــــه
وخانوا ولم يرعوا الزمام ولا العهــــد
واضح أن كلمة العهد جاءت مجرورة دون جار لأن القافيـــــة
مجرورة ،

وفى ختام الأبيات يأتى مقاطع الصلاة على النبى .

عليه صلاة الله ما تيمت الخمــــــس
وما فاق كل الرسل فى المعنى والحــس
وما طاب فى الأجداد والفرع والجنـــس
وما نرتجى أمن القيامة والرمـــــــس
وبه شفاء دام ليوسـف باللمـــــــس (٢)

وواضح فى نهاية الأبيات انها لم تتقيد بضابط اعرابى فجاءت

---

(١) الشريف يوسف الهندى ـ النور البراق ص ٧
(٢) نفســــه ص ٧

كلمة الشمس مجرورة دون الجار وكان حقها الرفع . على حين أن بقيت الكلمات مجرورة .

ولعل أهم سمات شعراء هذا القسم صدق مشاعرهم الدينية ، حتى أن بعضهم رأى الا يشارك فى ديوانه أى غرض أخر غير الأغراض الدينية . وغلب عليهم كذلك تأثرهم بالمد الصوفى السائد فى عصرهم كما لاحظنا ذلك عند الشيخ قريب الله والشيخ الدباغ ،والشيخ محمد طيب الأسد . وغلب عليهم أيضا الاستئناس بالقرآن والحديث والسيرة النبوية فى كثير من المعانى التى تناولوها .

وفى الصفحات التالية سنتناول الشعراء الذين جاء المديح غرضا من أغراض شعرهم : فان منهم من رأى الا يخلو ديوانه من هذا الغرض .

القسم الثانى من شعراء المدائح :-

جاء المديح النبوى فى شعر هؤلاء - غرضا من أغراض شعرهم . لا تكاد قصائده تزيد على القصيدة أو القصيدتين فى أغلب دواوينهم : بعضهم يختتم به الديوان ، وبعضهم يصنفه مع الشعر الدينى فى الديوان .

ولم تخرج قصيدة المديح عندهم كثيرا عن المعانى التى تناولها سابقوهم ، فبعضهم بدأ بالتشبيب ،وتحدثوا عن معجزات الرسول وصفاته وشمائله ، واستغاثوا به لاصلاح أمر دينهم ودنياهم ،

وان كان ثمة جديد ، فقد ربط معظمهم - مدحه للرسول واستغاثته

به ، بحال المسلمين ، وشكا للرسول تلك الحال ، وشخص الداء الذى أدى بالمسلمين الى ماهم فيه من تردى ، حيث رأوا أن ذلك من بعد الناس عن الشريعة ، وعدم اتباعهم هدى الرسول ولعل عددا كبيرا منهم قد تأثر فى هذا المجال بأحمد شوقى ، وله فى هذا المضمون معان خالدات منها قوله الذى أشرت اليه آنفا

يا رب هبت شعوب من منامها
واستيقظت من رقدة العدم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يا رب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم(١)

ومن هذا اللون الذى تأثروا به قول شوقى

ظلموا شريعتك التى نلنا بها
ما لم ينل فى رومة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى
فى الدين والدنيا بها السعداء

---

(١) الشوقيات جـ ١ - ٢٠٨

أدعوك عن قومي الضعاف لأمــــة
في مثلها يلقى عليك رجــاء (١)

وكان لابد أن تتفاوت تجارب هؤلاء الشعراء في الصدق وجودة الصياغة ، وسأقف عند بعض النصوص التي أراها تمثل جيّد هذا الشعر :

ومن هؤلاء الشعراء الشيخ عبد الله محمد عمر البنا وقد أفــرد للمدائح النبوية بابا خاصا ممتاز به ديوانه من ذلك قصيدته الــتي شطّر بها بردة الامام البوصيري ، وقد جاء تشطيره دون نسج البوصيري سواء في ذلك صياغته ، وحرارة عاطفته ، ولا غرو ، فان التشطير يرهف القريحة ويحول دون تدفقها اذ الشاعر لا يجري على سجيتـــه ، يحوله في ذلك تقسيم فكره بين المعاني التي تدور بخلده ، ومعانــي الشاعر صاحب المنسج ، يقــول الشيــخ البوصــيري

أمن تذكر جيران بذي سلـــم
مزجت دمعـــا جرى من مقلة بـــدم

يشطر البنا هذا البيت فيقـول

أمن تذكر جيران بذي سلـــم
سهرت ليلك ترعى النجم في الظلـم

ولا يخفى ما في شطره من ضعف اذا قيس بشطر الامام البوصيري فان ذلك الدمع الذي يمتزج بدماء المشوق من لواعج الشوق ونـــار

---

(١) الشوقيات جـ ١ ص - ٤١

الفرقة ، ما يقاسى عنه ، سهر الليالى ورعى النجوم ، وتخفى هـــذه المقارنة على هذا الفضل من تقصير الفرع عن الأصل ، فمن ذلك قول البوصيرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم .

دع ما ادعته النصارى فى نبيهـــم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ويقـــول البنـــا :-

دع ما ادعته النصارى فى نبيهـــم
ونزه الله عن نسل وعن عقـــــم(١)

انى أحس أن شطرة البنا الثانية ، تكاد تخرج الى قضية أخرى ، هى تنزيه الله عن الولد ، على حين أن بيت البوصيرى انحصر كلـــه فى مدحه صلى الله عليه وسلم مدحا مباشرا حيث أطلق العنـــــان للقارئ ليتخيل ما يتخيل من صفات الكرم فانها كلها فى الرســـول موفورة ، وهكذا الشعر ارخاء للخيال دون قيد يحد منه .

على أن الشيخ عبد الله محمد عمر البنا . فى ديوانه قصائـــد أخرى فيها مدح جيد ، منها تائية فى أول قصائده النبوية ، وقـــد وصف هذه التائية بأنها أول شعره ، - وهى مع ذلك لا تخلو مـــن حسن فى المعانى . مثل وصفه لشريعة الرسول بأنها محت الضلالــــة

---

(١) ديوان البنـــا ص ٢٦ وما يليهـــا .

ومثل شفاعته التي تمحو ذنوب المخطئين ، ومثل كوثر هدايته التي
انفجرت من فيضه ، وآياته التي أعجزت كل ذي لسان فصيح يقـــول :

يا من شريعته كل الضلال محـــــت

ومن شفاعته للمذنبين نجحـــت

ومن كوثر الهدى من فيضه انفجـــت

وأعجز اللسن آيات له فصحـــت

ومن تخفه كرها عن خصمه صفحـــــت

مع أنها بجميع الذنوب قد رجحت (١)

وله قصيدة أخرى بعنوان الشمائــل النبويــة ـ مــن جيّــد معانيه
فيها ـ جعله الفضيلة معشوقة حسناء ـ يعشقها ويتحمل من أجلهـــا
ما يتحمله من الضنى لم ترها عينه لكنها في فؤاده مقيمة .

عشقت غانية بالفضل غائبـــــة

عن أن تحيط بها الأقوال والكلـــم

هي التي أوهنت جسمي وطال بها

همي وما ودها بالبين ينصـــــرم

لم ترها العين يوما وهي بـــارزة

لكنها في فؤاد الحر تحتكـــــم

وهي تملي عليه شروطها فيلبي ـ يقول متحدثا عن تلك الشـــروط

---

(١) ديوان البنا ـ ص ١

التي لا يخل بها

لها عليّ شروط لا أخل بها
وما قضى سيّد قامت به الخدم

طول التخافف على عيش الكفاف على
بر الضعاف على أن تستر الحرم

مع الأناة على حب الثقات على
طول الثبات على أن توصل الرحم

على الرضا بقضاء الله في محن
والله بالحق في الأكوان محتكم (١)

ونلاحظ أن الشاعر يجعل من المدحة النبوية وسيلة لنشر الخير والتحلي بالفضائل مثل الصبر على التحلي بالزهد ، والحرص على برّ الضعاف - وستر الحرمات ووصل الأرحام ،والرضاء بالقضاء والقدر ، كل هذه الموضوعات يدعو لها الشاعر دون اللجوء لأسلوب الحث المباشر (مثل افعل ولا تفعل) - وتتناول القصيدة بعد ذلك صفات الرسول الخلقية والخلقية وتختتم بالاستغاثة به والصلاة عليه ،ومن جيد وصفه للرسول فيها قوله

يا أحسن الناس في خلق وفي خلق
وأجود الناس صدرا طوؤه كرم

---

(١) ديوان البنا ص ٤٤ وما يليهما .

وأطهر الناس أبدانا بلى وألينهم
عريكة ، وهم أمضاهم اذا عزموا
وأصبح الناس أسخاهم وأطيبهم
نفسا وأعرفهم بالله خيرهم (١)

وفى قصيدة ميمية أخرى يبدأ بالنسيب ثم يتخلص منه الى المديح ـ ويقوده مدح الرسول صلى الله عليه وسلم الى عقد الموازنة بين حال المسلمين فى ماضيهم المشرق ، وحاضرهم المؤلم وهذه الظاهرة فى المديح النبوى كثيرة ـ وهى ترتبط بشكوى المادحين للرسول من هذه الحال ، ومن المعانى التى ذكرها فى هذه الأبيات شكواه من تفرق كلمة المسلمين واحترامهم للغرباء ـ يعنى المستعمرين وامتهانهم للأقارب ، ومن هذه العيوب نسيانهم شرع الرسول وأى تعاليمه بعيدا واتباعهم أهواءهم ، ومنها قعودهم عن الكفاح والجهاد والسعى ـ طقين بالعتاب واللوم على الدهر .

يقول الشاعر فى هذه المعانى

يا رسول الإله إن خطوبنا
ألصقت ركن مجدنا بالرغام
واحترام الغريب حل عرانا
وامتهان القريب رأى القدام (٢)

---

(١) المرجع ص ٤٧

(٢) القدم هو العيى قليل الفهم .

قد نسيناك وأطرحنا الوصايـــــا
ورعينا الوصي رعي اللئـــــام
وقعدنا نحاكي الدهر فينـــــا
ونرجي السقام كشـــف السقـــام (١)

ويؤكد الشاعر أن هذه حالة لا يحرز في دنياه نصر بل أنه لـــن يرث غير الذل والهوان .

يقـــول :-

غير بدع أن نفقد الأمن والفـــوز
ومحض الصلا وحسـن السـلام
من أضاع الايمان عاش ذليــــلا
لا يحل الذليـل فـوق السنـام
فعليك الصلاة يا خير هـــاد
وعليك السلام يا خير حـــام

ومن شعراء هذا القسم الشاعر : أحمد محمد صالح : لقـــد صدر ديوانه بقصيدة نبوية ـ عنوانها من وحي المدينة بدأها بالتضـرع لله ليغفر ذنوبه ـ وتلا ذلك مدح الرسول وختمها بالتضرع لله لغفـــران ذنوبـه : يقـول في مطلع القصيدة متأسيا على شبابه الذي ضـــاع في المعاصي طالبا غفران رب العالمين .

---

(١) المرجـع السابـق

لا تقل لي علام ؟ فيم التحيب ؟

أنا من أثقلت خطاه الذنوب

أنا من ضيع الشباب هباءً

فكأن لم يؤذن عليه رقيب

وعظ الشيب الموقظ ولداتي

فأنابوا ولم يعظني المشيب (١)

وقد طوّف الشاعر في عدد من البلاد هائما لم تلح له أنوار الهداية حتى رأى أعلام طيبة ، فحمد سراه وأخذ في مدحه صلى الله عليه وسلم .

لم أزل هائما أطوّف حتى

لاح في الافق طيبة والكثيب

فحمدت السرى وأنزلت رحلي

واحتواني الصدر الرحيم الرحيب

يا أبا القاسم المرجّى سلام

أنا أشكو وأنت أنت المجيب

وفي الأبيات كما نرى سلاسة وعذوبة ، ولعل في تجانس حروفها مثل تكرار الراء والحاء ، ما يوحي ويشعر بتلك السلاسة .

---

(١) أحمد محمد صالح مع الأحرار ص ١١

وفى هذه القصيدة ، تجديد فى شعر المديح النبوى حيث يعمد الشاعر الى عبادة الجمال الالهى المظهر فى النبى فالشاعر ، يعبد هذا الجمال يسبح الله الذى أبدعه ويلذ ويطيب له فيه التشبيب : يقول

ثم عبدت الجمال فيك وسبحت

الهوى وطاب فيك النسيب

فيك يستعذب التدله والوجد

ويحلو المديح والتشبيب (١)

وهذه معانى كما نرى فيها ملامح صوفية ، خاصة عبادة الجمال ، ويرى الأستاذ مصطفى طيب الأسماء أن أحمد محمد صالح أول من نحا هذا النحو فى المديح النبوى وخاصة فى قوله

ثم عبدت الجمال فيك وسبحت

الهوى وطاب فيك النسيب (٢)

وأحمد محمد صالح وإن كان أول من طرق هذه المعانى فى شعر المديح النبوى فى السودان ، الا أن الشاعر التجانى يوسف بشير قد سبقه الى تناول هذا المعنى فى عبادة الجمال : حيث يقول

وعبدناك ياجمال وصغنا

لك أنفاسنا حياة وحسا

---

(١) أحمد محمد صالح مع الاحرار

(٢) مصطفى طيب الاسماء ـ أحمد محمد صالح حياته وشعره مخطوطة بدار الوثائق القومية ص ـ ٧

ومن المعانى الجيّدة التى صورها أحمد محمد صالح فوده حسن الشريعة الاسلامية والتى جهلتها شعوبنا فضلت الطريق ، ولو وعوها لما شقوا بطغيان الطغاة بل لساد السلام ربوعهم : يقول عن تلك التعاليم :

ليتهم قدروا تعاليمك السمحة
واستوعبت هداك الشعوب
لو وعوها ما قام فى الأرض جبار
ولا عمّت فى البلاد الحروب
ولعاش السلام فى الأرض طرا
واستوى فى الحقوق شاة وذيب

ومن المعانى الجديدة التى فصلها دعوته لأصحابه ، فى تلك الأماكن الطاهرة ، وكان كثير من الشعراء يدعون بالغفران لهم ولآلهم وأصحابهم ، ولكن الشاعر خص صديقه السيد عبد الرحمن بذكر اسمه وطلب له شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وطلب له العون : والرضوان يقول :

يا رسولا له الشفاعة تتم
وله عند ربه التقريب
كن لعبد الرحمن درعا وحصنا
واكفه شر نائبات تنوب

وتقبل سلامه وارض عنـــــه

انه في هواك ضنى كئيـب

ومن معاني تشوقه لتلك الرحاب الطاهرة أنه وهو بالمدينة مشتاق اليها ، فهو ما فتأ يتابع أثر خطو الرسول في تلك البقاع عسى أن يلامسه فيسعد به ، ويمرغ في تربها لعله يجد بذلك القبول . وكله شوق وو له يقول مخاطبا فـؤاده

يا فؤادي لقيت سؤلك فأهنـأ

هذه يثرب وهذا الحبيـب

فتتبع مواقع الخطو منـه

تلك آثاره وهذي الـدروب

وتمرغ في تربـه وحصـاه

فلعل القبول منـك قريـب (١)

وكما بدأ القصيدة بالانابة الى الله راجيا غفرانه يختتمها : بإنابته اليـه ،

فهو باك يسعى بدموع حائرة وفؤاد مروّع مشتاق بقرع باب اللـه خاشعا راجيا رحمته وهو بقرب نبيه ، وما له من عمل مدخر سـوى الخطايا ، لكنها عند غفران رب العالمين هينة ، ومن يغفر الذنـوب غيره ! يقـول

---

(١) المرجـع الأخـير ص ٦٢

رب هل تقبل المسيء وتعفو

هل تقبل العثار هل تستجيب ؟

جئت أسعى ولى الدموع جوارى

وفؤادى مروع مسلوب

أقرع الباب فى خشوع وأرجو

رحمة الله والمزار قريب

لم أقدم سوى الخطايا فهل لى

يا الهى فى التائبين نصيب

فاغفر الذنب واقبل التوب يارب

ويا رب من سواك يجيب ؟ (١)

والشاعر أحمد محمد صالح فى هذه القصيدة يبدو كما رأينا قزما خائفا من الله لائذا به مستشفعا برسوله ، والقصيدة فيما يبدو أوبة لله بعد طول ترحال مع الدنيا وهى نظرة ثاقبة للآخرة واذا عرفنا أن هذه القصيدة نظمت عام ١٩٥٦ ـ لأدركنا أنه كتبها فى نهاية عمره ، ومعظم الشعراء فى هذه السن يؤوبون الى الله تعالى ، ومع ذلك فيها رقة فى الصياغة لعل مبعثها هذا الخوف وذاك الرجاء : والخوف والرجاء سمتان ظاهرتان فى شعر المدائح النبوية ، يردان فى الاستغاثة بالرسول ، لاصلاح الدين ، :

---

(١) المرجع الأحرار ١٢

ومن هؤلاء الشعراء ـ الدكتور عبد الله الطيب ، له في ديوانه أصداء النيل قصيدتان نبريتان ، نحا في إحداهما منحى التقليد الذي يبدأ شعراؤه بالنسيب ثم ينتقلون الى غرضهم الأساسي : ، فقد صدّرها الدكتور بنسيب نحا فيه منحى الجزالة وفخامة الألفاظ ، مثل قوله

أما الخليط فبانوا بعدما علقـا
منك الفؤاد هواها فاكتم الحرقـا
كأنها نخلة بالنيل مشرقـة
قد خضب البدر في أغصانها الأفقا
باتت وفي القلب ذكراها فشع بها
على الحشا موهنا من نورها ألقـا
لما تراءت بليليها لتحزنـني
ولا محالة أن يشتاق من عشقـا
وما إن ذكرت لها وجدا ولا ذكرت
وجدا سوى أننا نستنطق الحدقـا (١)

وهكذا تمضي الأبيات على هذا الرنين الجزل ، ومن جيد تصويره فيها ـ تشبيه صاحبته بالنخلة التي خالط أغصانها ضوء البدر ـ مع أشعة الأفق فمالت الى الاحمرار قليلا ، ومن جميل معانيه ذكراها التي تشع بالقلب نورا .

---

(١) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ص ٢٠٠

ويتنقل الشاعر من هذا التسبيب الشجن الجزل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذود عن الاسلام ، فيصلى على الرسول ويشكو له حال المسلمين الذين تنكبوا الجادة القويمة حتى الأزهر لم يعد علماؤه يهدون الناس الى التى هى أقوم ، بل أن الناس أصبحوا كالكفار يشاكونهم فى كل شئ وينافقون ، ويحرفون كلم القرآن عن مواضعه ليصلوا الى أغراضهم الدنيئة يقول فى هذه المعانى

صلى الاله على الهادى النبى كما
هدى وجازاه فضل السبق اذ سبقا

ونضّر المنبر الأسنى وعطر روضـات
المصلى وأسقاه الحيا غدقا

من مبلغ المصطفى ان قد هداهنا
عن الهدى ونحونا التيه والفسقا

لا الأزهر المرتجى ترجى هدايتـه
ولا الدعاة تراموا نحونا حزقا

وأشرب الناس طعم الكفر وارتكسوا
ينافقون وما ان يتقون تقى

وحرفوا/ القرآن ، كلم عن مواضعهم
الى الدنية يغشانا بها رهقا (١)

---

(١) عبد الله الطيب - أصداء النيل ص ٢٠٠

ويشكو الى الرسول جنوح العرب عن جادة السبيل ، فهم قد تماجنوا تاركين وراءهم اللسان العربى المبين الى ثقافات العجم ، وفى ذلك كيد للمسلمين غير خاف . ومن جنوحهم اهمالهم أمر الشورى وهى من أسس الحكم الاسلامى فصار أمر حكمهم الى الطاغوت الجبار ، يحكم بينهم غير بار ولا صادق : ومن جنوحهم تعصبهم ضد آل بيت الرسول واضعين الأحاديث لينصروا بها حججا باطلة ليفتنوا بها المسلمين .

يقول مخاطبا الرسول شاكيا اليه أمر العرب

تماجن العرب الأحرار واستبقوا

الى الخيانة وارتادوا لها طرقا

وكان أمرهم شورى فصار الى

من لا أبرّ ولا أوفى ولا صدقا

وآسفوا ابنتك الزهراء واحتلبوا

دم ابنك السبط لا يألونه حنقا

وقولوك أحاديثا ملفقة

يا خير من قال بالحسنى ومن نطقا

ليفتنونا بها عن نور هديك يا

نور الهدى وسراج الظلمة الألقا (١)

---

(١) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ص ٢٠٦

ومع هذه الشكوى المريرة فالشاعر غير منهزم ولا يائس من نـــور الهداية المحمدية الذى يشع وسط ظلام اليأس فيدده

يا وافد الله انا وافدون الـــى

سناك اذ شع وسط اليأس فانفلقا

ويحذو حذو شعراء المديح قبله فيختتم القصيدة بالاستغاثـــة بالرسول ، ولكنه لا يعنى نفسه هنا بشئ بل يدعو لنصرة أمة حـــار بها الدليل ، وفتك قيدها ورهنها ـ يلاذ ويستجار به عندالرســول :

يا هادى الخلق قد حار الدليل بنا

فقد دعوناك للخطب الذى طرقــا

أنت النبى وأنت المستجار وأنـــت

المرتجى لفكاك الرهن إن غلقـــا

صلى عليك النبى كلما هتفـــت

ورقاء وهاج شجاها الدمع واستبقا (١)

والقصيدة الثانية تبدأ بتحية الرسول مباشرة ، وهى أقرب الـــى أنفاس شعر المدائح الذائع فى زمنه من سابقتها ففيها التحيـــة ، التى أنفاسها أذكى من المسك وأطيبه وفيها ذكر طيبة وذلك مـــن ملامح القصيدة النبوية يقول فى صدر القصيدة

سلام على المختار ـ ساكن يثربـــا

نبى الاله أريحيا مهذبـــا

---

(١) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ، ٢٠

ونهدي له حر الثناء كأنــــه

شذى المسك أو يلفو من المسك أطيبا

نبي تبجناه على كل حالـــة

رغم الذى عادى ومن كان كـذبــا (١)

وفى القصيدة ردود شافية على مزاعم أعداء الاسلام الذين يوهمون ذوى النفوس الضعيفة ،بأن الاسلام دين ضلالة وأنه لا سبيل الــى الفلاح الا بتركه وراء الظهور ، يرد عليهم بأن ذلك محض كــذب ولا سبيل الى الفلاح الا باتباع هداه ، وأنه نور يهتدى به سالكــوه اذا دجا ليل الشكوك وحجب السالك يقــول :

يقولون ما الاسلام الا ضلالــة

وضلة ماض حبله قد تقضبـــا

ولن تفلحوا أو تتركوه وراءكـــم

وتلتمسوا عنه مناصا ومهربـــا

فتا الله لم نبصر سبيلا كمثلــه

أدل على قصد وأهدى وأقربــا

وأقمن الا يسلك الزيغ ركبهـا

اذا ما كسا الشك السالك غيهبـا

ويختتم القصيدة بمدح صريح للرسول من أجوده أنه صلى الله عليه وسلم أرغب الداعيين فى الله ، وأصدقهم حجة وأمضاهم ،وأكرمهـم

---

(١) عبد الله الطيب ـ أصداء النيل ١٤٦ وما يليها .

أعز به الله قوما كانوا أذلاء جار عليهم البغى والضلال فأذلهم .

لعل رسول الله أرغب من دعا

الى الله قلبا فى الأنام وأرهبا

وأصدقهم فى حجة الله لهجة

وأقطعهم إن صارم باتر نبا

وأكرمهم جودا وأكرمهم أبا

وأكرمهم خالا وعما ومنسبا

يحيى به الرحمن قوما أعزة

أذلهم جور عليهم تغلبا

عليه صلاة المولى سلام ورحمة

أخف من النكبا وأذكى من الكبا (١)

وللشاعر محمد سعيد قرشى الكبريجى مجموعة من القصائد الدينية منها استغاثات بالله وبالرسول والأنبياء والصالحين ولإعلاء شأنه فى الدارين ، ومنها قصائد مدح للرسول : ينحو فيها منحى الشعراء القدماء الذين تبدأ قصائدهم بالنسيب ، ثم مدح الرسول

من ذلك قوله

صحا القلب من خمر الهوى وتبددت

أمان تمليها على القلب زينب

---

(١) الكبا عود طيب الرائحة .

وفارقني بعد المشيب ثلاثـة

سروري ولهوي والشباب المحبب

متى تنجح الآمال أو تصدق المنى

ويأتي زمان بالذي أنا أطلب (١)

ومن أساليب تجديده وصفه الطائرة التي تحمله الى تلك الأماكن الطائرة ووصف الجو والنجوم : ومنها تشبيهات تدل على سمو في الخيال ـ يقول :ـ

على متن سيار اذا ارتاد موطنا

تخيلت منطادا الى الجو ينصب

يريك اذا ما الليل مد رواقـه

عيونا كأن النور منهن كوكب

كأن الدجى بحر وأن سحابـه

أواذيّ فيها النجم يطفو ويرسب

كأن نجوم الليل لما تلألأت

نثار نجوم أو جمان مثقب

كأن تمام البدر وهو طليحـة

بدا نصفه والنصف منه منقب

كأن ضياء الفجر لما بدا لنا

تجلي سراب أو زجاج مذوب

---

(١) محمد سعيد القرشي الكهربجي ـ ديوان الكهربجي ص ١٩٤ ومابعدها

ثم يتخلص بعد ذلك الوصف الى المدينة ، ومن جيّد قوله فيه

الى البلدة الفيحاء والروضة التي

شذاها من الفردوس بل هو أطيب

الى سيد سادات الملوك وسدّة

على بابها الأملاك تأتي وتذهب

مرابط جبريل مصاعد أحمد

مطالع نور نورها ليس يغرب (١)

ومن جيد قوله في الهدى المحمدي وشريعة الرسول السمحاء

شريعته نور الثقافة للورى

على الرغم والاسلام دين مهذب

وأمته رمز الحضارة فيكم

ولكنها الأيام والدهر قلب

تساوى به الأجناس والكل واحد

ولا فضل الا بالتي هي أقرب (٢)

وفي قصيدة أخرى بلا عنوان - يشكو الكهربجي للرسول أحوال أمته

---

(١) محمد سعيد القرشي الكهربجي - ديوان الكهربجي

(٢) نفس المرجع .

التى أودى تمزقها فى دينها بها ـ يقول

فى النبى الى لقاك وطلت

بقدومك الحنفاء والأبـــرار

ووقفت بين يدى رسول الله فى

ذاك المقام وحوله الأنصار

فاشرح له أحوال أمته التى

لذى المطامع باعها الفجار

لولا تمزقها بدينك ما غدت

بين الخلائق مالها مقدار (١)

وفى قصيدة أخرى بلا عنوان أيضا ـ يحمل الذاهبين الى ديار الرسول أشواقه ـ تلك الأشواق التى برحت به . يقول :

يا ساريا كالبرق يخترق الدجى

يطوى حزونا تارة وسهولا

تحدوه من صلب الحديد مطية

صماء تحدث ضجة وصهيلا

بالله إن جئت الحمى ونظرت من

ذاك المقام مشارفا ونخيلا

بلغ أهيل الحى عنى أننى

لا زلت من ألم النوى مخبولا (٢)

---

(١) ديوان الكهربجى ص ٣٠٥

(٢) نفس المرجع ص ٣١٣

والكهربجى كما نلاحظ يغلب على صياغته سهولة الألفاظ وبعدهـا من التعقيد - والقصيدة عنده قد تربو أبياتها على المائة بيت ، وأحسب أن هذه الاطالة قد قللت كثيرا من تجويد الصياغة .

هذه نماذج من شعر المديح النبوى فى هذه الحقبة ، - وهو كما لاحظنا - يأتى مبثوثا فى معظم شعرهم الدينى ، فما من مناسبـة يحثون فيها بالنبى الا وجهت نفوسهم للرسول صلى الله عليه وسلـم . يشكون اليه ويستغيثون به - ومن خلال تلك الشكوى والاستغاثة يأتى شعرهم اليه ومدحهم له .

والى جانب ذلك فقد خصص بعضهم قصائد فى المديح اتبعوا فيها سمات وخصائص المديح النبوى بل أن بعضهم كما لاحظنا أفرد دواوين كاملة للمديح الدينى وما يتبعه من شعر دينى تغلب عليه الموضوعات الإسلامية ، وكما لاحظنا كان عنصر الصدق والشوق عند هؤلاء يكاد يكون أوفى وأوفر من شعراء القسم الثانى - الذين جاءت المدحة النبوية فى شعرهم غرضا ثانويا يأتى غالبا فى ثنايا الديوان عندمـا يذهب الشاعر للحج أو يحج صاحبه ، ولعل بعضهم رأى أنه ليس من المستحسن أن يخلو ديوانه من هذا اللون من الشعر الدينى ومن ثم أرى أن عاطفة الحب عندهم أقل من غيرهم : غير أنهم أتوا بالجديد عندما ربطوا المدحة النبوية بما يجرى فى عصرهم من أحداث سياسية تؤثر على حياة المسلمين فى العالم الاسلامى .

وقد نشط خيال هؤلاء الشعراء مستفيدين من تطور الشعر العربي الحديث بعد البارودي ، فرأينا في شعرهم جزالة العبارة تنأى عن الركاكة - وسموا في الخيال - ولعل في نماذج الدكتور عبد الله الطيب ومحمد المهدي المجذوب - وأحمد محمد صالح ما يؤكد ذلك .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

أهم الخصائص المميزة لشعرهم

لغته ومعانيه - وأخيلته

لقد اهتم كثير من هؤلاء الشعراء بصياغتهم - ومن الاساليب التي جودت صياغتهم اسلوب الاقتباس - من القرآن والحديث ، والتراث العربي شعرا ونثرا ، ولعل الشاعر عبدالله عبدالرحمن كان اكثرهم ولوعا بالاقتباس من القرآن واكثرهم تأثرا به (١) .

ولقد جمال هذا الاقتباس دونه وتردى أسلوبه - ومن القصائد التي أكثر فيها من الاقتباس من القرآن الكريم نونيته في مدحه صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله :

نبي جاء يدعو الى الهدى * ومطاع عند ذي عرش مكين

ذلك مقتبس من قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) - ومن ذلك قوله

صاح بالاصنام في أقطارها * وعليها راغ ضربا باليمين

مقتبس من قوله تعالى : ~~(فعليهم راغ ضربا باليمين)~~ (فراغ عليهم ضربا باليمين)

ومن قوله :

أفلت أقوارهم لما بدا * نور طه لا أحب الآفلين

مقتبس من قوله تعالى (فلما افل قال لا أحب الآفلين)

---

(١) عبدالمجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٤٢ .

اما الشاعر محمد سعيد العباسي فانه لا يعتمد على الاقتباس من القرآن الكريم اعتماد عبدالله عبدالرحمن ، وهو يجيد الاقتباس ،ومن نماذجه في الاقتباس التي يجود بها صياغته قوله في الحث على دعم الترابط بين مصر والسودان والتحذير عن مغبة قطع هذه العلاقة ـ

ما قطع الوتين شر * وشر منه ان تقطعوا بمصر العلاقة

مقتبس من قوله تعالى (ثم لقطعنا منه الوتين)

ويلاحظ ما في بيت العباسي من قوة في المعنى والجرس حين جعل قطع العلاقة بمصر كقطع الوتين بل إن قطع مصر اشد خسوراً من قطع الوتين ، ولعل من مظاهر الجزالة في البيت الى جانب الصورة الشعرية التي تقدمت تكرار كلمة شرٌ ـ لتوكيد المعنى بتكرار اللفظ .

ومن قوله في الحديث عن شعر حافظ ابراهيم وقوة بيانه :

جلا الناس بالبوساء سحرا * فبذ به الكرام الكاتبينا

مقتبس من قوله تعالى " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " وقوله في القصيدة الطرابلسية

أولئك حزب الله بعد نبيه * الكرام اذا استولى على الانفس الذعر

مقتبس من قوله تعالى (اولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون) .

ومن قوله :

وقالوا ذاك ازكاهم طعاما * وذا اندى يصارفه يمينا

مأخوذ من قوله تعالى (فلينظر أيُّها ازكى طعاما)

وقوله :

فلا يسقى الأشقياء كأسا رحيقا

وسقانا حميما وغساقا

مقتبس من قوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) ، ومن الشعراء الذين اكثروا من الاقتباس من القرآن الكريم الشاعر الأهرمي : يقول في الاستغاثة بالله ورسوله واوليائه الصالحين :

بمن اشتريت نفوسهم وعدتهم * بمقامهم في الجنة الفيحاء

يقتبس من قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وقوله :

بالكاظمين الغيظ والعافين عن

زلة أهل الحقد والبغضاء

يشير فيه الى قوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)

ومن نماذجهم في الاقتباس من القرآن الكريم قول الشيخ مصطفى الملثم يتحدث عن وسائل النقل التي تنقل الحجيج الى مكة :

قد جاء في الذكر منصوصا ويخلق ما

لا تعلمون وهذا منه تسهيل

اشارة الى قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) .

والنماذج من اقتباسهم من القرآن الكريم كثيرة - والى جانب القرآن اقتبسوا من الحديث النبوي الشريف - وقد ورد ذلك في شواهد كثيرة مثل قول الشاعر محمد سعيد الكبريجي - في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

تساوت به الاخيار فالكل واحد

لا فضل الا بالتي هي أحسن

مأخوذ من الحديث (لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى) . ومثل ذلك قوله في مدحه أيضا :

تعلم ما قد كان او هو كائن

أدبه المولى فنعم المؤدب)

مقتبس من الحديث - (أدبني ربي فاحسن تأديبي) (١)

ولا ريب ان الاقتباس من الحديث - من أجود وسائل تجويد الصياغة وتقوية المعنى -

والى جانب القرآن والحديث ضمنوا شعرهم كثيرا من نصوص الشعراء الاقدمين - كالشطرة الكاملة - او الجملة .

من ذلك قول العباسي في الثناء على بيان حافظ ابراهيم

وصفته به الصبوح تتسى

(الا هي بصحنك فاصبحينا

(١) وجدت هذا الحديث في قائمة الاحاديث الضعيفة والموضوعة في كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة - لمحمد بن علي الشوكاني قال عنه لا يعرف له اسناد ثابت

والعبارة الثانية هي مطلع معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة.

ومن ذلك قوله - في توبيخ بعض أبناء عمومته - وانصرافهم عن الأمور الرفيعة وانشغالهم بسفاسف الأمور .

رمى الله البلاد بشر قوم * تنادوا في الغواية فاعصينا

أطالوا في التشدق وكانت هيبته

(تئن حجارة وتنوح طينا)

والعبارة الاخيرة من بيت لشاعر آخر في مرثيته يا ناعي الطالع المشهورة

ومن هذه النماذج قول الشاعر الشيخ مصطفى العلثم يضمن شطر بيت كعب بن زهير في لاميته - حيث يقول عن نجاة كعب بن زهير بعد ان عفى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم - بعد اهدار دمه .

من عفوه ان نجا كعب غداة تلا

(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)

والثاني مطلع لقصيدة الشاعر الشهيرة بانت سعاد .

وكان يقتبسون من الشعراء العبارة والعبارتين تقوية لبيانهم ومعانيهم ، وهو عندهم كثير لا يكاد يحصى وكان العباسي ذا باع طويل في هذا الميدان . وكانت مبالغته في كثير من الاحيان تضاهي العبارة القديمة التي اقتبس منها ان لم تفقها .

ومن ذلك قوله في الطرابلسية يسخر من الطليان - ويشيد بانتصارات المسلمين عليهم .

خذوها بني الطليان بكرا فانهـــا

لعمركمو في بابها الفتكة البكـــر

وعبارة (الفتكة البكر) مأخوذة من قول أبي الطيب :

فلا تحسبن المجد زقا وقينة * فما المجد الا السيف والفتكة البكر

ومنه قوله ينظر الى بيت شوقي في الخمر

رمضان ولى هاتها يا ساقي * مشتاقة تسعى الى مشتاق

فيقول العباسي في ذكرياته في مصر

وسمير يحي النفوس ومشتاق * ظريف يسعى بها مشتاقـه

وقد ينظر العباسي الى معاني الاقدمين دون التقيد الدقيق بعباراتهم

ومن ذلك قوله في الطرابلسية يسخر من الرمسنتي الايطالي

فقد سلبته الحرب نطفة وجهـه * كما سلب المشتاق نضرته الهجر

ولعله استفاد من عبارة ابي تمام في صدر بيته الذي يقول :

فتى سلبته الخيل وهو حمى لها * وبذته نار الحرب وهو لها جمر

واذا كانت هذا النماذج من الشعر تدل على براعة في الصياغة وقدرة علــى مجاراة النص المقتبس منه في قوة عبارته ، فلم تكن كــل اقتباساتهم بهذا المستوى في جودة الصياغة اذ أن بعض اقتباسهم جاءت ضعيفة .

ومن الوان الاقتباس التي جاءت صياغتها ركيكة دون مستـــوى الشاعر الذي اقتبس منه - قول الشاعر عبدالله عبدالرحمن . فـــي

قناة السويس - مشبها يوم التأميم بيوم وقعة عمورية - محاكيا ابا تمام في الفاظه ومعانيه .

يا يوم عمورية اختلفــــت * منك المنى في موكب ضخم

والفرق شاسع بين هذا وقول أبي تمام

يا يوم وقعة عمورية انصرفـــت * عنك المنى حفلا معسولة الحلـب

ان عبارة عبدالله عبدالرحمن - في موكب ضخم : فيها كثير من الجفاف وعدم العذوبة اذا ما قورنت بعبارة ابي تمام (حفلا معسولــة الحلــب).

ومثل ذلك قوله يقتبس الفاظ ابي تمام ومعانيه - فيقول

السيف أصدق حكمة سبقـــت * وانى بها التأميم لليــــوم

وهذا ليس بشيء اذا قورن ببيت ابي تمام الذائع

السيف أصدق انباء من الكتـــب * في حده الحد بين الجد واللعب

وفي قصيدة اخرى يتحدث عن العلاقة بين مصر والسودان - مستنكرا محاولات بعضهم الفصل بين القطرين محاولا أن يحاكي أبــا الطيب في كلمة مشهورة فيقول :

يا ليت شعري ما الذي * ألقى العيون على الحواجب

أين النواطير الـــتي * نامت على قفر الثعالــب

وواضح انه حاول ان يسمو بالصياغة ابي الطيب في قوله

نامت نواطير مصر عن ثعالبهـــا

وقد بشمن وما تفنى العناقيــد

ومن الوان التضمين التى لم يوفق اصحابها فى الاخذ من شعر غيرهم من الشعراء اخذا يقوى بيانهم - بعض محاولات الدكتور احمد عبدالله سامى - يقول فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

بسم الهلال فهل رأيت محمـــدا

يسرى /فوق ليشرب متن ضامــــــــر

صدق العزائم ان تكون كما ارى

هم توثب فى الزمان الثائـــر (١)

وواضح ان الشاعر فى بيته الثانى ينظر الى قول المتنبى

جهد الصبابة ان تكون كمــا أرى

عين مسهدة وقلب يخفـــــق

ويبدو لى ان المعنى فى الشطرين - فيه من التكلف - مالا يقارب معنى أبى الطيب ، الذى يكفيه من الصبابة أن يراه الرائى ساهدا وقلبا يخفق أسى وشجنا وسهدا الخ ....

وفى قصيدة اخرى يقتبس من قول شوقى فى البائية الشهيرة فى مدح الرسول . فيقول ..

لحاك الله يا وطنى أتنســى * نبيا قد قضى الدنيا غلابــا

ومع انه نظـر الى قول شوقى - (ولكن تؤخذ الدنيا غلابا)) الا ان التكلف عنده واضح ، فل ترى أن وطنه حقا نسى الرســول حتى يدعو عليه بقوله لحاك الله ، على أن وصف النبى بأنه قضـى الدنيا غلابا ليس وصفا جميلا ، ولكنه قضاها عزما وصبرا على المكاره ...

---

(١) احمد عبدالله سامى الرسالة الخالدة ص ١٠٥ .

وأحس في البيت كثيرا من عقوق الوطن ورحم الله الشاعر الدرير محمد جماع اذ يقول في الدعاء لوطنه لا عليه :

وقاك الله شرا يا بـــــــلادي

سرت نيرانه لحصاد عمـــــري

وسامي يعتمد على بائية شوقي المشار اليها كثيرا - يقول

أيا ركب النبي أراك تمشـــي

سريع الخطو تقتاد السحـــــاب

وجملة تقتاد السحاب - أخذها من شوقي حيث يقول فـــــي مدح الرسول (ص) :

[illegible] المالكين فزدت قـــدرا

فحين مدحتك اقتدت السحابـــــا

هذا معنى متسق يعني بلغ في مدح المالكين درجة ، وبمدح الرسول علا فوق السحاب . ولكن كيف كان ركب النبي يقتاد السحاب

وتمضي هذه النماذج في شعرهم الى حد يجعل من العسير استقصاءها ، وحسبنا ان نشير مرة اخرى الى ان اقتباسهم من هـــذه النصوص القديمة أضفى على صياغة معظمهم من قوة اللفظ وجمـــال الجرس اذ أن الصيغ التي يقتبسون منها غالبا ذات مستوى رفيـــع في الصياغة والمعاني ، وهم في سبيل تقوية جرسهم عنوا بالمجانسة التي لا تكلف فيها .. ومن جميل جناسهم ان يجعل الشاعر آخــر كلمة في الشطر الاول - هي نفس الكلمة في الشطر الثاني فـــي مطلع القصيدة مع اختلاف في معنى الكلمتين :

ومن هذا اللون قول الشيخ عبدالعزيز الدباغ فى قصيدة نبوية

لمحات انس لمحها أحيانـــى * ونسيمها طابت به أحيانــــى

وواضح انه جانس بين كلمة أحيانى فى الشطر الاول من الحياة واحيان فى الشطر الثانى جمع حين : وهو جناس تام

ومثله قوله فى مطلع قصيدة نبوية اخرى

عجلاً على حيســى الهوى وجُفُونـــى

ســر بى الى من سالموا وجَفَوْنـــى

فهو يجانس بين جفونى فى الشطر الاول جمع جفن ، وجفونى فى الشطر الثانى من الجفاء .

ومن هذه اللون من الجناس الذى يقع فى صدر القصيدة قول الشيخ مصطفى الطشم فى احدى نبوياته .

اعلام طيبة فى خيالى بانــت

وربوعها نزحت وعنى بانـــت

حيث يجانس بين بانت فى الشطر الاول بمعنى لاحت وظهرت وبانت فى الشطر الثانى بمعنى نأت وارتحلت ،ولعلهم عنـــوا بالمجانسة فى صدر القصيدة طلبا لتقوية الجرس الذى تبدأ به القصيدة من براعة الاستهلال بتقوية النغم .

وبطبيعة الحال عنوا بالوان أخرى من الجناس ، وهو الغالـب فى شعرهم وهو لا يلتزم بنهاية الشطر بل يرد فى خلال البيـت

وأمثلة ذلك كثيرة منها قول الشيخ عبدالله محمد عمر البنا - يناجي هلال الهجرة

طلعت كالنون لا تنفك في صغر

طفلا وقد شاهدت ذا النون

المجانسة بين كلمتي النون في الشطر الأول بمعنى الحرف العربي المعروف والنون في الشطر الثاني بمعنى الحوت :

ومن ذلك اللون من الجناس قول الشيخ محمد طيب الاسماء في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

من عرف من طاب الوجود بطيبه

وسما سناه فعم كل مكان

فواضح انه يجانس مجانسة غير تامة بين طاب - وطيبه

ومثله قوله في قصيدة أخرى . في المديح النبوي يصف الرسول . فيقول

قد صيغ من نور العرش قالبه

وقلبه مقارنتي في ذروة القمم

والمجانسة واضحة بين قالبه - وقلبه .

ومن ذلك قول الشاعر الدكتور مصطفى عوض الكريم عن مجانبة المسلمين طريق الهداية واستسلامهم للمستعمرين

واستسلموا للاجنبي وجانبوا

سنن النبي وخالفوا الجبار

والمجانسة واضحة - بين الاجنبى و جانبوا - الى جانب الطباق بين استسلموا - وخالفوا - .

وتقوية لجرسهم عنى هؤلاء الشعراء بالتكرار - يقول الدكتور عبدالله الطيب عن اثر التكرار فى تقوية الجرس - (غير ان هذه الاصوات صارت اداة صالحة عند فحول الشعراء يزيدون بها رنة الوزن ويقوون بها جرس الالفاظ ويقول عن التكرار عند المتنبى (وهو يضفى على شعره لونا موسيقيا جليلا) (١) .

ومن الوان التكرار فى القرآن - قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها). وقوله -(ومكروا ومكر الله). وقوله تعالى (يخادعون الله وهو خادعهم) وهذا تكرار كما نرى يقوى الجرس والمعنى ومثله فى القرآن الكريم لا يكاد يحصر . وفى الشعر الجاهلى استشهدوا بقول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسأختار هنا بعض الوان التكرار التى أراها تقوى جرسهم منها قول الشاعر محمد سعيد العباسى - يكرر ضمير المخاطبة (أنت) يخاطب مصر :

أنت للقلب سلوان وللعين جمال

يفرى وللفهم طاقة

أنت عندى أنت الحنيفة

ما أسمال دينا وما أجل اهتنائه

---

(١) عبدالله الطيب ص ٥٢٠ .

أنت ذكرتني ولست بناسي

من قدر رضعت منك فواقه

والتكرار أكسب الابيات رنينا جميلا الى جانب حسن التقسيم في البيت الأول .

وقد يكررون صيغة فعل - مثل تكرار الشاعر احمد محمد صالح صيغة فعل الامر علمّ - يقول مخاطبا الشاعر الجارم

علم شباب الوادي يمين — للافق الرحال الاشد

علمهم ان الخنوع مذلة — والدين يردى

علمهم ان الحياة تسير — في جزر ومد

علمهم ان التمسح — بالفرنجة غير مجدى

وابن لهم ان العروبة — وطن اعزاز ومجد

وقد اشتهر شعراء المدائح بحرصهم على هذا التكرار لقد استعذبوا تكرار اسم الرسول ، واسم بعض بلاد الحجاز وما يتصل بذلك من أسماء ، وقد يكررون اسم الله تعالى ، مع اشارة للرسول صلى الله عليه وسلم - مثل اشارة الشيخ قريب الله (يا اهل الفضل) - حيث يقول :

بالله بالله أهل الفضل لا تذروا

من لا له غيركم حلا ولا سفرا

بالله بالله أهل الفضل فابتدروا

الى امرئ من سواكم قد لقى ضجرا

يالله بالله أهل الفضل فاستمعوا

الى دعاء عبد دعته النفس فابتدرا

وشبيه بهذا التكرار التنفيسي الذى يتلذذ صاحبه بذكر اسم الرسول قول الشيخ قريب الله ايضا فى مدح الرسول ـ مكررا اسم محمد

ومناك أم الانبيا	والمرسلين محمد
وسرور أملاك السما	لما أتاها محمد
ومقالها أهلا به جاء	الرسول محمد
صلى عليه الله ما	الكون قال محمد

ومن هذا اللون من التكرار قول الشيخ عبدالله محمد عمر البنا يكرر اسم الموصول (من)ـ يعني به الرسول

يا من شريعته كل الضلال نحت

ومن شفاعته للمذنبين نجت

ومن كؤوس الهدى من فيضه طفحت

وأعجز الناس آيات له وضحت

وقد يكررون اسما يدل على مأوى الرسول ـ مثل داره بقول الشيخ مصطفى الطشم : مكررا كلمة (دار)

دار بها القرآن يتلى مثلما
نزل الأمين به برغم الشانت
دار بها الصحب الكرام أولو التقى
فلكم بها من ناسك او قانت
دار بها قوم كرام يا لهم
من معشر سعدوا بصفو كنانة

ومن الوان التكرار المقوى لانغامهم - تكرار المصراع الاول من مطلع القصيدة فى آخر بيت فى شطره الثانى .. وقد اشرت الى ذلك عند الشيخ الدباغ - ومنه قوله

(عجلا على عبس الهوى وجفونى)
سر بى الى من سالموا وجفونى

ويختم القصيدة بقوله

أو ما غدا الدباغ من شوق به
(عجلا على عبس الهوى وجفونى)

ومنه قوله

لمحات أنس لمحها أحيانى
وتسيمها طابت به أحيانى

بتكرار الشطرة الثانية فيقول

او ما شدا الدباغ فيا مولها * (لمحات أنس لمحها أحيانى)

ومن ذلك قول الشيخ قريب الله فى احدى قصائده النبوية

(عطّر بذكر الكمبتين فـــــؤادى)

مع المروتين مع النقا وجيــــاد

ويختم القصيدة مكرر الشطر الثانى قائلا

أو ما قريب الله قال مذكـــــــرا

(عطّر بذكر الكمبتين فؤادى

وقد يعمدون الى لون آخر من التكرار المقوى للنغم . فيكررون صيغة بعينها مثل قول الدكتور عبدالله الطيب مكررا صيغة (افعل) فى مدحه للرسول (ص) .

لعل رسول الله أرغب من دعـــا

الى الله قلبا فى الانام وارحبـــا

وأصدقهم فى حجة الله لهجـــة

وأقطعهم ان صارم باترتبـــــــا

وأكرمهم جدا واكرمهم أبــــــا

وأكرمهم خالا وعما ومنسبـــــا

يمين به الرحمن قوما أعـــــزة

اذلهم جور عليهم تغلبـــــــا

وواضح التكرار وما فيه من قوة جرس وبخاصة تكراره الكرم - ومـــن التكرار قول الشيخ الدباغ يكرر فعل الامر افعل - وهـــو تكرار عنى به تقوية الجرس ، وحث المخاطب على الحرص . فى تنفيـــذ

ما نصحه به وارشده اليه . من افعال فيها له كل الخير .

وأرسل لهم سحرا فحلاك ان تسرى

نشر اللقا بلقائهم يشفينى

واقصد يمين الحق ثم اعطف على

بان اللوا وأراكه المكنون

واستوقف الاظعان عند بطاحه

وبشامه وخزامه بسكون

واجز من الجزع الذى بيمينه

أرج النسيم ونفحه النسرين

وقد يعمد بعضهم الى تكرار صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم مثل تكرار الدكتور عبدالله الطيب لاسم الفاعل من الفعل الثلاثى المعرف بالالف واللام - اذ يقول

والواهب الكوم الفا يندفعن من الوادى

يخال بهن السيل منبعقا

والناصر الخصم بالحق المبين وبالرمح

السنين وبالهندى ممتشقا

والجامع الناس أشتاتا يؤلفهم

على المحبة حتى أقبلوا عنقا

وشبيه بهذا اللون من التكرار قول الشيخ عبدالعزيز الدباغ يكرر اسم الفاعل واسم المفعول - فى وصفه للرسول يقول :

أخلصت في حبي له فخلصت من

أسر الشقا بمحمد المأمون

الطاهر الطهر الشفيع المرتضى

والمجتبى للصدق والتأمين

الساجد القوام في غسق الدجى

والناس بين تروح وأنين

الحامد المحمود في أفعاله

والناصر المنصور خير أمين

وهذه النماذج من التكرار في هذا الشعر ، اكتفي بهذا القدر منها

وهذه النماذج من التكرار كما لاحظت تساعد على تقوية الجرس وتقوية المعاني - وتمتع الأذن بتكرار حروف متجانسات في الغالب في تكرار نوع من الموسيقى الداخلية التي ترتاح لها النفس - الى جانب ما يخيل اليه الشاعر من تكرار الأسماء المحببه اليه .

والى جانب آخر من جوانب صياغتهم تراهم أولعوا بالتصغير فقد صغروا كثيرا في مدائحهم النبوية ومن اغراض التصغير في النحو العربي - التمليح - وأغلب تصغيرهم في هذه المدائح جاء من هذا المعنى ، لقد صغروا الاسماء والظروف ، ومن نماذج التصغير في مديحهم النبوي قول الشيخ محمد طيب الاسماء :

قف بالبقيع هنية يا ساري * وانخ ركابك عند تي الاثار

واقر السلام أهيلها عن مغرم * دنف كئيب واله محتار

والتصغير كما هو واضح فى كلمتى هنيهة - بمعنى البرهة الصغيرة وأهيل بمعنى أهـــل (١) .

وله قصيـــدة اخرى يقول فيها :

ارحم (عُبيدا) اوثقته ذنوبـــــــه

وانظـر له فـى موقـف المـــيزان

يصغر عبد علـى عبيــد - ومثله قوله :

واذا النســيم ســرى (سحيراً) منهم

ناجيته بفـؤاد صـب عانـــــى

فهو يصغر سـحر على سـحير - لعله الى جانب ما فى التصغير من ملاحة وعذوبة يقصـد أن ذلك النسيم جرى فى الجزء الأخــــير من وقت الســـحر .

والشــيخ قريب الله أبوصالح له ألوان عذبة من التصغير مثــــل قوله فى الاســـتغاثة :-

وقـد أبتليت وأنت أدرى ســـيدى

(بحُويلـتى) هـلا فككت براحـــــــا

فهـو يصغر حالة على حُويلة لاظهـــار الضعف وطلب الرحمة ، ويقول

ان لم أكن أهــلا لما قدمتــــــه

(فوُسـيع) جاهك لا يضيق براحـــا

وتصغير وسـع هنا قصـد به تعظيم ذلك الجـــاه .

---

(١) ولعله نظر فى هذا الحديث للسيد جعفر المرغنى فى مدح السيده خديجة رضى الله عنها
قل بالحجون (سويعة) ياحادى - وأقرئه السلام (أُهيله) ذلك الوادى

وإضفاء الحلاوة على الصياغة ما لا يخفى ، الى جانب أنه يمكن الشاعر من ابراز المعانى التى يود ترسيخها فى ذهن السامع مثل التعظيم والتمليح ، واظهار الضعف الى غير ذلك من المعانى .

كلمة عامة عن صياغتهم ومعانيهم

مجمل القول عن صياغة هؤلاء الشعراء ومعانيهم ، أن صياغتهم غلب عليها طابع محاكاة الأقدمين فى كثير من تعابيرهم وتراكيبهم اللغوية ولعل إطالة نظرهم فى موضوعات ذات صلة بالتراث العربى الإسلامى جعلتهم يعنون كثيرا بهذه الصياغة ورأينا كيف أنهم أولعوا بالاقتباس والجناس والتضمين وما الى ذلك من الفنون التى يقصد بها تقوية الصياغة أما معانيهم فقد صيغت غالبا فى صور وتشبيهات قلدوا فيها صور وتشبيهات القدماء .

وسأتحدث فى هذه الخلاصة عن ظواهر الجزالة والسلاسة فى شعرهم وسأعرض بقدر المستطاع الى صورهم الشعرية .

لقد اشتهر جماعة منهم بتجويد صياغتهم ، ولعله من العسير جدا على المرء ان يقف عند كل صوت جزل فى شعرهم ,لذا سأكتفى ببعض النماذج المشهورة فى الجزالة وفى السلاسة والعذوبة .

إن من اشهر هؤلاء الشعراء ان لم يكن اشهرهم فى جزالة العبارة الشاعر محمد سعيد العباسى ، واذا كان شعره غلبت عليه هذه الصبغة فقد وجد شعره العربى الاسلامى هذا أوفر من هذه

الجزالة لمن الموضوعات نفسها ساعدته على ذلك ومن أصواتـــــه الجزله قوله في النابلسية

الا يا بني الاسلام وهذا الحماكـــم
وهذا نور الحق في ضوئه فاســـروا

ولا تدعو في الصود لينا لغامـــز
كثير الرزايا في سبيل العلا نـــذر

فاني أرى الأيام تبدو كأنـــــا
لها منكم في كل شارقة وتـــــر

أبيح حماكم واستبيح حريمكـــــم
وأقوت ديار العز واستبدل البشـــر

ولا بد أن لم تجعلوا السيف حاكما
تدور بكم في كل آونة قـــــدر

وحسب القارئ ان ينصت الى تكرار اسم الإشارة هذا في البيــت الأول مع الراءات التي يملأ جرسها أذنه رنينا قويا وفي بناء هـــذه الافعال الى المجهول تهويل وارعاب لا يخفى ما فيه من قـــوة الصياغة .

وأما الصور فيها نور الحق الذي يسرون في ضيائه والكناية اللطيفة في الصود الذي لا يدعون فيه لينا لغامز يعني به قوة وصلابـــة القوم التي يجب الا تلين وتخضع ويبلغ الكناية روعتها في الصــورة التي رسمها لتغير الاحوال وتبدلها بهم وتشبيهها بالقدر الــتي

تفور بهم ان هم تهاونوا في رد كيد الكافرين .

والعباسي مع هذه الجزالة ففي ديوانه أصوات عذبة سلسة تشابه انغامها العذاب موضوعاتها التي اختارها لها من المعاني التي لا خشونة فيها :

من ذلك حديثه عن ذكرياته في مصر :

رعى الله مصر فكم للأديب

بها من عيشة راضية

وأحبب بأيامها الزاهيات

على ما بها وعلى ما بيه

قضينا بها غفلات الشباب

بأحلى مذاق من العافية

تولت سراعا فيا ليتها

تعود لنا مرّة ثانية

فيا قبلة الخير لا تبعدي

وحييت زاهرة زاهية

والرقة في الابيات بادية ظاهرة ايقاع خفيف ومفردات عذبة مثل عيشة راضية . تعبير قرآني عذب - أحبب بأيامها الزاهيات - بأحلى مذاق العافية - وزاهرة زاهية . كل هذه التعابير رشيقة خفيفة على السمع ومن صوره منها تخيله أن للعافية مذاقا حلوا ، وتشبيهه لمصر بقبلة

الخير وهى تبدو فى حلل زاهرة زاهية .

وثمة شاعر آخر له جرس قوى ذلكم هو الشاعر عبدالله الطيب
ونقرأ له فى اهداء النيل هذه الابيات من قصيدة نبرية يقول
فى مطلعها :

اما الخليط فبانوا بعد ما علقا
منك الفؤاد هواها فاكتم الحرقا
كأنها نخلة بالشط مشرقة
قد خضب البدر فى اغصانها الأفقا
بانت وفى القلب ذكراها تشع بها
على الحشا موهنا من نورها ألقا
لما تراءت بليتها لتحزننى
ولا محالة إن يشتاق من عشقا
ما ان ذكرت لها وجدا ولا ذكرت
وجدا سوى أننا نستنطق الحدقا

هذا كلام فيه من جزالة العبارة ما لا يحتاج الى بيان وحسب
القارئ أن يلاحظ تكرار هذه القافات والكافات وما يحدثانه فى
سمعه من صوت جزل قوى .

وفى البيت الثالث رنين قوى تحمل صمته تكرار الشين والهاء
واما تصويره ففيه من دقة التصوير ما لا يتأتى الا لشاعر فحل : ولا سيما
بيته الثانى - الذى تخيل فيه صاحبته كنخلة ثم صرف الحديث الى تلك

وفى قصيدته البائية فى مدح الرسول تكرار جميل لصيغ أفعل التفضيل بمدح الرسول بصفات حميده

لفضل رسول الله أرغب من دعا
الى الله قلبا فى الانام وارغبا
وأصدقهم فى حجة الله لهجة
وأقطعهم ان صارم باتر نبا
وأكرمهم جدا وأكرمهم أبا
وأكرمهم خالا وعما ومنصبا
يدين به الرحمن قوما أعزة
أذلهم جور عليهم تغلبا

والأبيات كما ترى تتوالى فيها نغمات جزلة لعل مبعثها صيغة أفعل التفضيل . وهذه الجزالة أوضح ما تكون فى البيت الذى يكرر فيه افعل التفضيل اكرم - وتختتم القصيدة بقوله

(عليك من المولى سلام ورحمة)
أخف من النكبا وأذكى من الكبا

الشطر الأول كما أشار هو فى هامش الديوان للشيخ المجذوب وفى الشطر الثانى للبيت يتكرر حرف الكاف تكرارا فيه جزالة واضحة .

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالجزالة الشاعر محمد محمد على وبخاصة فى ديوانه الأول (ألحان وأشجان) - ومن جزل شعره فيه قصيدة بعنوان ذكرى الهجرة :

لذكرك يا خير النبيين روعة
يصاحبها نور الهدى وتصاحبه

هو الغيث إن ضن السحاب بغيثه
أفاضت أياديه وأخصب ساكبه

يحيل جديب الأرض جنات رحمة
وقد كان مقفارا تروع سباسبه

رياض هي الايمان والأمن والهدى
وبر عميم لا تغيب مواهبه

من مظاهر الجزالة في الأبيات تكرار الفعل الماضي في البيت الثاني ومنها تكرار الميم والنون في البيت الأخير ، ومنها صورة ذلك الغيث الذى تفيض اياديه ويخصب ساكبه ، ومن صوره الجميلة التي شوت الصياغة تلك الرياض من الإيمان والأمن .

وقد يسلك محمد محمد علي للجزالة اسلوبا آخر . وهو تكرار جملة بعينها مثل جملة (ولم أر كالهادى) النبي مجاهدا . اذ يقول

ولم أر كالهادى النبي مجاهدا
تسير على هول الخطوب ركائبه

ولم ار كالهادى النبي مجاهدا
تنير عمايات الضلال تجاربه

ولم ار كالهادى النبي مجاهدا
اقام منار الحق ضخما مناكبه

وصور الشاعر قوية ورائعة ، ولاسيما تلك الركائب التى تسير على هول الخطوب ، وتلك التجارب التى تنير عمايات الضلال ، وأحسب أن كلمة ضخما فى البيت الاخير قد قللت من روعة ذلك البيان ، ولعل الكلمة كثر استعمالها حتى كادت تبتذل والابيات فى عمومها جيدة الصياغة جزلة .

ومن الشعراء الذين اشتهروا بجزالة العبارة الشاعر الناصر قريب الله فى ديوانه الناصريات فرائد جزلة نختار منها هذه القافية فى فلسطين : ويقول فى مطلعها :

دمع بأنفاس الرجاء يجف

ما باله بمنى الرجا اذ يذرف

أنى علمت الدمع يجريه الأسى

ويكفه سوء ل الرجاء الملحف

الا دموع المبتلى فى أرضه

بالناصب الجانى فكيف تكفكف؟

والى فلسطين القضاء يحاسب

من ناره فى كل يوم يقذف

واجتاحها جيش اليهود مهززا

بقوى تهد كما تشاء وتنسف

وهذه القافية الفائيه من صعبات القوافى التى لا يجود النظم فيها الا الشعراء المتلكون ناصية البيان ، والإيقاع الجزل وذلك

ظاهر فى صياغة الناصر فيها .

ولعل فى هذه الفاءات والكافات فى البيتين الثانى والثالث ما يعطى هذا الجرس الجزل الذى تحدثنا عنه .

ومن صوره الجميلة ذلك الدمع الذى تكفكفه أنفاس الرجاء والدمع الذى يفيض الرجاء ويذرفه ، وصورة ذلك الغاصب الذى والى فلسطين بنيرانه ، وصورة جيوش اليهود تجتاح فلسطين تهد حينا وتنسف حينا آخر كما يشاء لها طغيانها .

ونموذج آخر من نماذج صياغة الناصر فيه صفاء العبارة وجرس عذب يطرب الأذن قوامه موسيقى داخلية منشأوها تكرار بعض الحروف : يقول مخاطبا الامة الإسلامية

يا أمة الضاد جد الامر فاستبقى
مجدا فما المجد الا حظ مستبق

قد أعملت فى تراقيك المدى زمر
ترى دماءك من ماء الثرى الغدق

وحان ان تخرجى للناس حاملة
رسالة منك ملقاة على العنق

ما أعظم الشرق لولا ذل طائعه
أكرم بأهليه لولا ذلة الملق

وصوتنى من الدين درعا تحتمين به
أليس فى الدين أسمى كل معتنق ؟

بلى إن فى الدين اسمى مثل حتنتق ؟ ويجيبنى الى جانب هذا الاستفهام صورة الشمرية مثل اشارته لاعتداء الأعداء باعمال المدى فى التراقى ، وتلك الرسالة التى تحملها الامة على اعناقها اعلاء لشأنها .

ومن الشعراء الذين عنوا بصياغتهم - عنايتهم بصورهم الشاعر محمد المهدى المجذوب - يقول فى احدى قصائد الهجرة النبوية

الله اكبر وافى عرشه بشـــر
به تكييف مشهود ومستتر

تكبيرة صدحت فى الغيب سابقة
وجود آدم فى الصلصال ينتظر

رأى وما زاغ منه السمع والبصر
مهاجر زاده التوحيد والسور

الله اكبر فالاصنام هاويـــة
والنار بين عبيد النار تنتحـــر

تحرر الناس اخوانا سواسيـــة
كما تحرر فى الواته الزهـــــر

لعل فى هذه التكبيرة المجلجلة فى أول الابيات ما يشير الى جزالة الشاعر وقوة صوته - وان صوره تساند صياغته ، ومن روعة صوره - صورة آدم ينتظر فى صلصاله - وقد سبقته الى ذلك الصلصال

هذه الصيحة المدوية (الله أكبر) ومنها صورة الرسول (ص) المهاجر وزاده توحيده وصور قرآنه ، وصور أصنام الكفر هاوية ، ونار المجوس تنتحر وما انتحارها الا كناية عن اندحار قومهم ، وموت ضلالهم ، ومن صوره الزاهية تخيله أن الدين حرر الناس من عبودية الفرد ، والوثنية كما يتحرر الزهر في أوانه .

وللمجذوب صور جميلة صيغت في تراكيب عربية جزلة ومن تلك الصور الجميلة - قوله عن الاخوان المسلمين في سجون مصر إبان محنتهم في الخمسينات .

ايها المشرقون في ظلمة السجن سلام ورحمة واقتداء
من دجون السجون لا سرة الفجر تشع الحياة والأضواء
أنتم اللؤلؤ اليتيم لدى القاع سينجاب عنه الخفاء

انها صور رائعة منها - تخيله لهم ، وهم يشرقون في ظلام السجون ، صورة ضياء الحياة التي يشع فجرها من تلك السجون التي تحوي في غياهبها المجاهدين ،

ومن الشعراء الذين لا تخلو أذنك عذوبة شعرهم العربي الإسلامي وسمو خيالهم ودقة معانيهم - الشاعر التجاني يوسف بشير وقد اتهمه بعض النقاد بغموض عبارته التي تقصر في بعض الأحيان عن معانيه ، ومن هؤلاء النقاد الناقد محمد محمد علي .. فهو يقول : في شعر المرحوم التجاني غموض محبب الى نفوس الكثيرين

من قرائه المعجبين به - فهم لا ينفذون يتكلفون له التأويل والتفسير يسلله بعضهم بعمق التصور ودقة التخيل وشمائل العبقرية : وهو يرى أن التيجاني شاعر متميز تلمس الاصالة فى معظم آثاره ، ويرى انه لو امتدت به الايام لجافاه الغموض (١) .

وبالرغم من أن هذا الكاتب يرى فى شعر التيجانى غموضا واضحا الا أن فى قوله شاعر متميز تلمس الاصالة فى معظم آثاره تعبير منصف - فهو بحق متميز فى شعره تلمس صور البعيدة وتحس عذوبة صياغته فى معظم آثاره . واحسب أن اطلاق عبارة الغموض على كل شعر التيجانى - عبارة غير دقيقة ، فقد يوجد فى شعره غموض - غير انك فى كثير من آثاره تحس عذوبة وترى عمقا فى الخيال - ودقة وسموا فى معانيه ، وقليل من الشعراء من يتصف بكل هذه الصفات .

وسأقف عند بعض نماذج شعره العربى الاسلامى . مختارا منها نماذج ذات طابع صوفى وهذا لون من التعبير برع فيه التيجانى ومن هذه النماذج قصيدته - الله يقول فيها

قيل لى عنه ^فى الرعاة^ أو حدثت به فى سريرة الأنباء

إنه النور خافقا فى جبين الفجر والليل دافقا فى المساء

منه رعدا مجلجلا فى السماوات وصوتا مدويا فى الفضاء

او هدوء او رقة او صفاء او صدى للعواصف الهوجاء

هو إن شئت نار ونور وهو إن شئت محض برد وماء

---

(١) محمد محمد على - محاولات فى النقد ص ٧١ .

الأبيات كما نرى شعر عذب لا غموض فيه يرى الشاعر ويحس الله تعالى فى هذه المخلوقات الدالة على قدرته ، فى النور وفى الفجر والليل والرعد والهدوء والعواصف - وهو نار ونور وهو برد وسناء .

وعبر الشاعر عن هذه المعانى تعبيرا غنيا عذبا فى صور مشرقة فهو النور الخافق فى جبين الفجر ،وفى جبين الفجر استعارة لا يخفى جمالها - وكذلك تخيل ذلك الليل الدافق فى المساء ومن خلاله تبدو قدرة الله ،ومن معانيه ذلك الرعد المجلجل والصوت المدوى وفى البيت كما ترى حركة يقابلها فى البيت الثانى ذلك الهدوء الذى يضفيه الله على الاكوان - وهكذا تتوالى الصور ومن مجموعها يحس الشاعر الله فى كل حركة من حركات هذا الكون .

ومنها قوله يصف قرب الله من نفوس عباده وقلوبهم

نحن مجلى علاه فى كل دان

من مراقى الوجود أو كل نـاء

كان أدنى الدنو فى قربه منك

واقصى ما شئت من عليـاء

وادن بالجانح المشط وهد

بالخيال المسوم العـداء

وتوغل بين الظنون ونفرها

خيالا واقصد على الجـزاء

تلقه فى الحياة أدنى الى نفســك

منبــا اليـك فـى الأصفـــــاء

لا نزيد فى ابراز هذه المعانى بأن ان الله قريـب من نفوس عباده يحسونه فى كل حركة - ولكن فى الابيات تصويرا جميـلا عماده هذه الصور الشعرية المجنحة وبخاصة تخيله للخيال بانه مشطا صاعدا عداء لكأنه الخيل المسومة السراب ، وفى تخيله الكون عوالم ممتدة يمكن للخيال ان يتوغل فى حجبها الكثيفة ، ويبحث فيها خيالا وعباراته جميلة اذ يقول ونضرها خيالا - ليصل بهـذه الصورة المجنحة الى انك مهما ابعدت بخيالك باحثا عن مجلـى قدراته ستجده أدنى وأقرب الى عقلك تصغى لقدراته فى كل نبضة من نبضاتك ومن حركات الكون حولك : سبحانه تعالى عما يصفون.

وقصيدته الصوفى المعذب حافلة بمثل هذه الصور العميقة المجنحة الخيال مع عذوبة فى الصياغة ،وكثير من الناس يبهرهم حديثه عـن الذرة

هذه الذرة كم تحمل فى العالم سرا

قف لديها وامتزج فى ذاتها عمقا وغورا

وانطلق فى جوها الصلوء إيمانا وبـــرا

وتنقل بين كبرى فى الذرات وصغرى

تر الكون لا يفتر تسبيحا وذكـــرا

بانك مع هذه العذوبة في الصياغة لا ترى قصورا في الفكرة ولا تصوير المعاني .

ومن الشعراء الذين احسست في شعرهم الاسلامي عذوبة في انغامهم مع سلاسة واضحة الشاعر الدكتور سعد الدين فوزي يقول في مدح الرسول (ص) من قصيدة له من وحي الهجرة

هو النبي سرى في قلب بادية
يضاعف الهول فيها كل منحدر
فكيف يعبد اصناما تزخرفها
يد الخيال وتعليها على الصور
الى الغيوب مضى بالروح منطلقا
موزع القلب بين السمع والبصر
هنا الجلال على الصحراء منسكب
وفي البطاح جمال الظل والشجر
وفي الظلال يمر الله منتشرا
وفي الصباح يرى ما صاغ من صور

ومن الصور التي تلفت النظر لبعد الخيال عنده صورة ذلك الهول الذي يضاعفه كل منحدر من الأرض ، وتلك الاصنام التي زخرفها مخرفوها بالباطل ، ولم يثن ذلك الرسول عن عبادة الله الواحد . وصورة الرسول يمضي بين الغيوب وكأنها جسم

يشقه – وذلك الجلال الذى ينسكب على الصحراء وتلك البطاح التى يجملها الليل والشمس ، واحساسه بقوة الله وقدرته منتشرة فى كل مكان .

واختم هذا الحديث عن العذوبة والسلاسة فى شعرهم ببعض النماذج من شعراء المديح الصوفى ، ويبدو أن استغراقهم فى ذلك الوجد يرتقى أفئدتهم ويتبع ذلك رقة فى صياغتهم من ذلك قول الشيخ عبدالعزيز الدباغ :

حسبى أرى كأس الوجود بديره
قطب الوجود ونقطة القرآن
مشكاة نور الله أصل ضيائه
وصباحه الوضاء ونور بيان
نور الهدى وسماحة فى حضرة
خلعت عليه جلالة الرضوان
المصطفى سر الوجود بأسره
نور الهدى وفريدة الأكوان

والأبيات بعد سلاستها – مشرقة بالصور الصوفية فالرسول قطب الوجود ونقطة القرآن ، وهو مشكاة نور الهدى ونور البيان وسر الوجود .

ومن ذلك الشعر العذب قول الشيخ قريب الله أبو صالح فى مدحه صلى الله عليه وسلم .

شمس الهدى بل صفوة البارى الذى

عم الورى بيناعـه الوقـــاد

ومحمد المحمود فى أهـل السمـا

بحر الندى غوث اللهيف الصادى

يا خير خلق الله يا معطى العطا

أنت الذى قد جئت بالاسعاد

وفى الأبيات عذوبة لعل مبعثها هذا التكرار العذب مثل محمد المحمود ويا معطى العطا ـ الى جانب الصور الشعرية التى تملأ النفس بهجة مثل السنا الوقاد ـ وبحر الندى ـ ومن أصوات الشيخ قريب الله العذبة قوله فى إحدى حائياته فى المديح النبوى .

اليوم ما برق الأحبة لاحـا

عند الصباح فأخجل المصباحا

ملأ القلوب نضارة وبشاشة

ومحا الهموم وبدد الأتراحا

وأهاج شوقا للأحبة كامنـا

وأثار دمعا لم يزل سحاحا

ما يصنع المشتاق وهو متيـم

الا إذا منح الآله براحا

ومنها قوله :

يا أحمد ومحمد يا حامد

يا خير من أشرع الأقداحا

يا عندر الكون الـــــــــذى

لولاه لم تهب النسائم عرفها الفواحا

ومن أبرز اصوات العذوبة فى الأبيات هذه الحاءات وبخاصــــة فى بيته الأول :

اليوم هذا برق الأحبة لاحـــــا

عند الصباح فاشعل المصباحـــــا

وفى شطره الاول من قوله :

يا احمد محمد يا حامد - بل ان معانيه نفسها عذبة مثال ذلـك قوله فى البيت الثانـــى :

ملأ القلوب نضارة وبشاشــــــة

ومحا الهموم وجدد الأفراحـــــــا

إن تلك الأسماء المتآلفة كلها تدل على الفرح والبهجة. وإذا كانت النماذج التى قدمتها - من جيد شعرهم ، نعطى القارئ فكرة عن مستوى شعرهم من حيث صياغته واغراضه ، وقربه الــى أى حد كان البيان العربى فى شعر الكثيرين منهم ناصعا وجميلا . فـإن ثمة شعراء منهم ضعفت عندهم العبارة - ومن هؤلاء قول أحمد محمــــد صالح فى قصيدة له عن الهجرة -

مات حدث عن الصحابة لمـــا

ملكوا الارض من جميع الجهـــات

كم جيوش لقيصــر فرقوهـــــــا

وجموع للفـرس منتظمـــــــــات

طلعوا كالنجوم في افق العالم

فضاءت ربوعه مشرقات

هذا شعر أحسبه يفتقر الى الطلاوة التي تلحقه بالنماذج المتقدمة من شعرهم ، بل من النماذج التي قدمتها للشاعر أحمد محمد صالح نفسه ، وبخاصة قصيدتيه (فينوس) والبائية التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان قوله من جميع الجهات - يكاد يكون نثرا عاديا - وكلمة مشرقات في البيت الثاني لا تكاد تضيف جديدا ذا بال لعل القافية أجبرته عليها . ويقول في القصيدة نفسها عن أصحاب الرسول في فتوحاتهم الاسلامية :

سحبوا علمهم الى كل قطر

فتحوه فضاض بالخيرات

وحقوق الانسان سطرها ربي

قديما في محكم الآيات

لا سواد ولا بياض ولكن

قسمة في الحقوق والواجبات

واضح ضعف التعبير في قوله سحبوا علمهم - ولعل اراد حملوا العلم الى تلك البلاد التي أضاءت بعلومهم الاسلامية .

ويبدو لي أنه تأثر الى بعض التعابير التي تجري عند اهل السياسة - مثل حقوق الانسان ، والحقوق والواجبات. لذا جاء

ترتيب الابيات يشبه ذلك الاسلوب السياسى .

هذا شعر ضعيف العبارة يكاد يخلو من الصورة المشرقة إن هـــذا الشعر لا يرقـــى الى ما قاله الشاعر نفسه فى مدح الرسول (ص)

الديانات عند دينك تحبـــو

والحضارات تنطوى وتـــذوب

جئتنا بالجديد فى عالم الـــروح

فخفـــت الى لقاك القلـــــوب

فـى كتاب حوى الفضائل طـــــرا

فيه ســـر الحياة والتهذيـــــب (١)

ومن الشعراء الذين فى بعض قصائدهم ضعـــف ـ الشـــــاعر مبارك المغربى فقد تضطره القافية لأن يخالف ما جرى عليه القيـــاس الصرفى مضطرا فى جمعه كلمة كامن ـ على كوامن ـ صفة للمذكـــور العاقلـين ـ والقياس أن تجمع صيغة فاعل ـ على فاعلين . أما فواعـل فإنها جمع لفاعلة ـ مثل صاحبة وصواحب وشذ عندهم شــــــاهد ـ وشواهد وفارس وفوارس ـ وقد خطأ النحاة الفرزدق فى قوله :

واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهـــــم

خضع الرقاب نواكـــس الأبصـــــار (٢)

---

(١) أحمد محمد صالح مع الأخضـــرار ص [illegible]

(٢) شرح الأشمونى ـ باب جمع التكسير ـ عند شرح البيت فواعل لفوعل وفاعل ـ وفاعلاء مع نحو كاهل .

ومن نماذج ضعف صياغته قوله في قصيدة أخرى ـ للهجــــرة

يا غرة الشام قمين من مفاخرنا ـ أنــا الى مجدنا انفاء تزويـــد

واعتقد ان قوله انفاء تزويد خفي الدلالة على ما يريـــد

وقد تأتي القافية عنده حشوا لا يضيف معنى جديدا مثل :

من كل شهم تعالت منه صيحته * يوم الجهاد ومن نادى ومن نودى

فإن قوله ومن نادى ومن نودى يدخل ضمنا في قوله من كـــل

شهم ومثل قوله في استبسال الصحابة وبلائهم الحسن في الجهـــاد

في يوم بدر :

في يوم بدر أحالوا البيد مجـــزرة

وجندلوا في ثراها كل صنديـــد

أعتقد ان في كلمة مجزرة قبحا لا يخفى ـ وقد أخذت الكلمة

في الاستعمال الحديث معنى القتل على ايدى ظلمة قساة ، وقــد

كان الجهاد في الاسلام تحكمه نظم للجهاد معروفة .

ومن ألفاظه غير الجميلة قوله ـ عن هؤلاء الرجال الأبطال :

هذه مصاحف أملتها بطولتهــــم

وأفردت بعضها للخرد الغيــــد

أحسب ان عبارة الخرد الغيد ـ لا تليق بهذا المقام السامــي

من البطولة والفداء من اجل قيم رفيعــة .

وقد تأتــي العبارة عنده ـ غير واضحة الدلالة على معناهــا

الا بتأويــل ـ مثـل قولــه :

لسنا نتوق الى عز ومكرمة

ما دام في شرقنا شعب لمطرود

ان اسناد الشعب للمطرود غير واضح الدلالة ، ولعله أراد

ما دام في أرضنا شعب غير محرر ، شرد أهله وطردوا

ومن الشعراء الذين رأيت في شعرهم الإسلامي ضعفا في

الصياغة الشاعر الدكتور أحمد عبدالله سامي - مثل قوله في قصيدة

له بعنوان الدام المسحوق :

عمر يا رسول الله وأمن بأرضهم

أثر الضلال العبقرى الفاجر

وما أحسب أن وصف الضلال بالعبقرى - وصف جميل ومنها

قوله يخاطب الرسول :

وأجمع قلوبا قد تنافر ودها

لتعيش في كون بحبك عامر

يبدو لها الاسلام غضا فاتنا

كالبدر يشرق بالجلال الساحر

ما أحسب أن وصف الاسلام بالغض الفاتن - وصف يليق بجلال

الاسلام - ومن هذه القصيدة قوله :

الله أكبر إن دين محمد

يبقى ويسطع كالهلال الباهر

الذي نعرفه جميعا - أن الهلال لا يبقى طويلا حتى يشبه

ببقائه بقاء الاسلام ، وأن الهلال لايسطع ، ولكن يسطع البدر

وفى قصيدته تحية العام التى يجارى بها شوقى فى بائيته كثير من التكلف ، وقسر الألفاظ قسرا لتؤدى ما يريده من المعانى مثل قوله يدعو أمة الإسلام - لترقى ولتحيى اجيالها

ويكتب فيه تاريخا نقيا

مهيأ مشرق بزهو كتابا

تدرس الأجيال منه كل درس

فترقى للعلا سببا سبابا

لم يحدد ماهى تلك السبع الصعاب .

وشبيه بهذا الشيخ عبدالله عبدالرحمن فى ديوانه الثانى (ديوان العروبة) يقول فى قصيدة بعنوان تأميم القناة :

مصر من السودان والسودان من مصر على علم

هذا الكلام يكاد يكون نثرا عاديا ليس فيه عاطفة شاعر تملى عليه جيد القول - يقول فى الدعوة للوحدة العربية

أنا من يقول النيل باسمه

تلبيت قضايانا على الضيم

وأقول ان العرب ملكة

والقائمون بها اولوالعزم

هذا كلام لا يكاد يكون شعرا - والفرق جد شاسع فى المعانى والصياغة بين هذا الكلام وقوله فى الفجر الصادق .

وما بلدى الا الحنيف وأهلـــه

بنفسى آباء به وجـــدود ودا

هو الدار لا دار سواها لقاطـــن

ولا غير واديها يطيب ورودا

هم العرب ان العرب أكرم معشـــر

وأصلب فى أيدى الحوادث عودا

هم القوم ما دانوا لغير الههـــم

وما القوا الا اليه سجـــودا

واختتم الحديث عن مظاهر ضعف الصياغة فى شعر بعضهـــم بوقفة مع الشاعر حسن طه - صاحب ديوان (هتاف الجماهير)، مـــن عيوب صياغته قلق قوافيه وقسرها قسرا مثل قوله فى قصيدة بعنوان الإسلام يصفه بانه شعلة بددت دياجى الأباطيل .

شعلة بددت دياجى الأباطيـــل

وقد عبدت طريق الخلـــود

والشعلة الأنسب أن توصف بانها تضيء ، ولا تعبد .

ومثل قوله :

صاغها الله فى الكتاب وقـــال

اليوم أكملته للوجود وجـــودى

لقد اعتمد على معنى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فاختصر كل هذه المعانى اختصارا غير وافٍ فى هذا البيت وما اعتقد ان كلمة وجودى فى نهاية البيت إضافة جديد بل ان العبارة كلهـــا

غير واضحة الدلالـــة .

ويقول في نفس القصيدة :

لكم دينكم فيبوا سراعـــــا

والبسوا منه زاهيات البـــــرود

واستمدوا قواكم منه بالتوحيـــد

في كل ركعـــة وسجـــــود

ان قلق القافية واضح ـ فليس في لباس زاهيات البرود من قوة المعاني ما يناسب ما في الشطرة الأولـى ـ في قوله هبوا سراعـا وعبارة في كل ركعة وسجود لا تضيف معنى قويا بعد التوحيـد . وكذلك قوله عن مبدأ الاســلام

يا لـه من مبدأ يوحد هذا الكون رغم السلاح والتجنيـــد

مبـــدأ خالـد وروح قوى الصـــلاح للتشييـــــد

إن عبارة رغم السلاح والتجنيد عبارة لا معنى لها هنا كان الدين يوحد الكون رغم دعوات الكفر الباطلة وكذلك البيت الثاني ان السلاح لا يشيد ولا يبني وانما الذي يبني هو عزم الرجال ـ وهو سواعـــم الفتية القوية .

وله قصيدة رائية ليست باحسن من سابقتها هذه لاحظت فيها ضعفا في الصياغة وقلقا في القوافي مثل قوله ـ في الحديث عن الشـــرق الذي شهد حضارة الاسلام ـ يقول

كم رأى مسلما يبايع في اللـــه
بأمواله فلا يتحســر
ورأى قانتا يسوم النفـــس
جهدا لربها او ينــذر
ساير الدعوة الحنيفية حتى
ادرك المشركون الله اكبر

الأبيات مع ما فيها من ركاكة في الصياغة لم تصور حسني كبيرا يتحدث عن ما شهده هذا الشرق من أمجاد المسلمين ، التي تخطت المبايعة في الله - الى التضحية والفداء في سبيل الله ، حتى أشرق هذا الشرق بل والغرب بنور الاسلام ، وشهد الناس من عداي الإسلام ما شهدوا ولا ادل على قلق قوافيه - من البيت الأخير ، حيث يقول ادرك المشركون (الله أكبر) فهل المشركون هم الذين ادركوا الله اكبر أم ان الله اكبر هي التي ادركت المشركين ، وبددت جهلهم وطيشهم .

ولعل الأبيات التالية أدل على ضعف صياغته ، حيث تراه يكثر من تكرار الفاء تكرارا يذكرنا بلغة النثر العادي التي كثيرا ما يكثر كتابها من هذه الفاءات فيقول :

ديننا واضح كل من ســار
على هديه فلن يتعثــر
وبلوناه في الجهاد فقــال
الحق للسيف طالما هو مشهر

فشهرنا سيوفنا فدحض

الباطل نراه في الارض باهر

هذه بعض النماذج التي تدلل على ضعف الصياغة عند بعضهم – وهي نماذج قليلة لا تساوي تلك الكثرة الغالبة من جيد شعرهم .

الخاتمـــــة

أختتم هذه الدراسة بخلاصة موجزة لأهم النتائج التى توصلت اليها من خلال دراستى لعنصر الاسلام والعروبة فى السودان فى الفـــترة التى تقع بين عامى ١٨٢١ - ١٩٥٦ للميلاد فقد مهدت لهذه الدراسة بممهدات أهمها :-

تحديد معنى كلمة (السودان) التى وضح لى أنها كانـــت تطلق على الشعوب السوداء التى تسكن غرب البحر الأحمر ،ثم حـددت فى العهد التركى - بالقوم الذين يسكنون جمهورية السودان بحدودها الجغرافية الحاليـة ،

وتحدثت بعد ذلك عن الهجرات العربية الى السودان منذ الجاهلية، ولاحظت أن الهجرات العربية فى الجاهلية لم يكن لها أثر أدبـــى فى الحياة الادبيـة فـى السـودان .

وأشرت الى أن أهم الهجرات التى أثرت فى الحياة الأدبية فـــى السودان هى الهجرة التى تمت عن طريق مصر فى عهد الخلفـــاء الراشدين - عقب اتفاقية البقط المشهورة - وظل المد العربى الاسلامى يتوالى عن طريق مصر ،حتى تمكن العرب المسلمون من اقامة دولـــة الفونج ذات الطابع والسمات الاسلامية ، وقد أشرت الى صلات ملوكها بالأزهر وعلمائه - ولعل أول أثر أدبى يدل على الثقافة العربيــــة الاسلامية - قد ألف فى عهد الفونج وهو كتاب الطبقات للشيخ محمد نور ود ضيف الله الفضلى : الذى تحدث فيه عن المعارف والعلـــوم

الاسلامية فى السودان ، وهو يؤرخ للأولياء والصالحين فى مملكة الفونج .

ومن خلال النماذج الأدبية التى عرضها الشيخ ود ضيف الله لاحظت أن الشعر العربى فى تلك الحقبة كانت تغلب على أساليبه اللهجة الدارجة . التى ظلت سائدة الى أن أخذ الشعر ينحو نحو الفصيح من التعابير ، وقد لاحظت أنه بدأ التخلص من سيادة الدارجة فى عصر الأتراك .. وكانت الموضوعات التى تناولها شعراء العروبة والاسلام فى العصر التركى موضوعات تقليدية طالما خاض فيها شعراء العربية فى العالم العربى مثل المديح والحديث عن المناسبات الدينية ، وظلت الحال على ما هى عليه حتى جاءت الثورة المهدية بطابعها الاسلامى ، لقد كان لشخصية الامام المهدى الدينية أثرها الواضح فى اذكاء الحماسة الاسلامية ، فكتبوا شعرا جيدا فى أساليبه قويا فى معانيه حثوا الناس فيه على التمسك بالاسلام كما حثوا المجاهدين على الجهاد .

وأشرت الى أن هذا الشعر العربى الاسلامى فى المهدية كان النواة الأولى لشعر الوطنية فى السودان بعد هذه الحقبة وتحدثت فى هذه المهدات عن أهم المؤثرات السياسية والثقافية التى مهدت لشعر العروبة والاسلام فى الحقبة التى أدرس شعرها ـ تحدثت عن العلوم الدينية والعربية ، وعن النهضة الأدبية التى كان تيارها يتدفق من مصر ، كما تحدثت عن الأثر الذى خلفته الأفكار التى كان يدعو لها المصلح جمال الدين الأفغانى ، من توحيد للمسلمين تحت

راية الجامعة الاسلامية » ، وأوضحت أن دعوتى القومية العربية والقومية السودانية لم تخلفا فى تراك أثر فى هذا الشعر الا أن منابعهما تعالج ما يدعو له الدين من نبذ التعصب .

فقد رأينا أن الشعراء فى هذه الحقبة دعوا الوحدة العربيــــة الاسلامية ، بعد أن جعلتهم دعا ـ لأن يكون وطن المسلم هو عقيدته ـ وهذا واضح فى صور نماذج الشيخ عبد الله عبد الرحمن فى ديوانه الأول (الفجر الصادق) وشبيه بهذا ما جاء فى شعر العباسى .

وتحدثت عن أهم القيم والأخلاق الاسلامية فى شعرهم مثل الصدق ، والثبات والتوكل على الله والعزم ، وأوردت نماذج كثيرة فى هذا الشأن لعل أهمها نماذج الشيخ محمد سعيد العباسى .

وفى الحديث عن مصر فى شعرهم ركزت على حرصهم على تأكيد تدعيم أواصر العلائق العربية الاسلامية ، التى تربط بين البلديـــن ، وتحدثت عن حرصهم على تأكيد وترابط الفكر والأدب ، إذ أن ذلــك هو الرباط الباقى كما يرى البعض منهم وتحدثت عن صدق دعوتهم هذه ، وأشرت الى عتابهم لمصر كلما أحسوا أن قادتها حادوا عن طريق الاسلام والعروبة أو اطمأنوا لكيد المستعمرين .

وتحدثت بعد ذلك عن شعر المناسبات الدينية وأثبت أن تلـــك المناسبات ما كانت دروبا من واقعهم كما كان يرى بعض النقاد بل هى أشبه بالسيوف التى امتشقوها للدفاع عن ماضى الاسلام ،وعن حاضــره ، وربط أمتهم بذلك التراث حتى يحيوه ويعيدوا مجده من جديــد .

وفي المدائح النبوية في شعرهم تحدثت عن صدق حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحدثت عن ربط المدحة النبوية بواقع المسلمين ، والشكوى للرسول عن تقاعس المسلمين عن نصرة دينهم ، ورأيت أن القصيدة النبوية فيها ملامح وطنية اذ انها أيضا تدعو لاعزاز المسلمين أسوة بالاوائل منهم ، وتدعو للثورة ضد المستعمرين ، مثل تائية محمد المهدي المجذوب.

وتحدثت في ختام البحث عن أهم الخصائص الفنية لشعرهم الاسلامي عامة - فأوضحت أن أغلبهم عنوا بتجويد صياغتهم ، وساروا على طريق الشعراء الاقدمين في استعاراتهم وتشبيهاتهم ، وفي الاقتباس من القرآن والحديث والشعر القديم لأن ذلك تجويد لهذا الشعر .

وتحدثت عن الجزالة في شعرهم ووضحت كيف أنهم استفادوا من تقليد الاساليب العربية في تجويد هذه الصياغة الجزلة وعرضت بعض الامثلة من شعر العباسي وعبدالله الطيب ومحمد المهدي المجذوب ، ومحمد محمد علي في ديوانه ألحان وأشجان وغيرهم

وتحدثت أخيرا عن مظاهر الضعف في أساليب بعضهم ومثلت لذلك بيعقوب النادي موضحا مظاهر الضعف فيها .

آمل في ختام هذا البحث أن أكون قد وفقت في تقديم بحث ذي قيمة علمية ، يشير الى أهمية هذا العنصر الحربي الاسلامي ، ويوضح دوره في الحياة السياسية ، وفي مسيرة الكيان الحربي الاسلامي في السودان .

والله الموفق والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الزوراني الحاج عبدالمجيد الفكي علي

================

المراجع

المؤلف	الكتاب	المطبعة أو دار النشر
١ . ابن حجر	فتح الباري في شرح البخاري	
٢ . ابراهيم الحردلو	الريادة الثقافية بين مصر والسودان	طبعة أولى /
٣ . أحمد أمين	زعماء الإصلاح في العصر الحديث	طبعة أولى /
٤ . الدرديري محمد عثمان	مذكرات الدرديري	طبعة أولى / لم يذكر المطبعة
٥ . الطاهر محمد علي البشير	الأدب الصوفي في السودان	طبعة أولى / الدار السودانية
٦ . القاضي عياض	الشفاء	طبعة أولى /
٧ . جمال الدين الافغاني	العروة الوثقى	طبعة أولى / دار العربي بيروت
٨ . حسن نجيلة	ملامح من المجتمع السوداني	طبعة رابعة / الدار السودانية
٩ . زكي مبارك	المدائح النبوية في الشعر العربي	طبعة أولى / مطبعة مصطفى البابي
١٠ . سيد قطب	دراسات اسلامية	طبعة رابعة
١١ . ساطع الحصري	مقدمة في القومية العربية	طبعة أولى / دار العلم بيروت
١٢ . سعد ميخائيل	شعراء السودان	طبعة أولى / لم يذكر المطبعة
١٣ . صلاح الدين المليك	شعر الوطنية في السودان	دار النشر جامعة الخرطوم

١٤ ضرار صالح ضرار — تاريخ السودان الحديث — طبعة ثانية ـ مكتبة الحياة

١٥ عبد المجيد أبو القاسم هاشم — تاريخ الشيخ أبو القاسم هاشم — طبعة أولى

١٦ عبد المجيد عابدين — تاريخ الثقافة العربية فى السودان — طبعة ثانية

١٧ عبد المجيد عابدين — دراسات سودانية — طبعة ثانية ـ دار النشر جامعة الخرطوم

١٨ عباس محمود العقاد — ساعات بين الكتب — طبعة ثانية ـ دار الكتاب العربى

١٩ عبده بدوى — الشعر الحديث فى السودان — طبعة أولى المجلس الأعلى لرعاية الآداب

٢٠ عبد الله الطيب — المرشد الى فهم أشعار العرب — طبعة ثانية ـ بيروت

٢١ عبد الله الطيب — القصيدة المادحة — طبعة أولى ـ دار النشر جامعة الخرطوم

٢٢ محمد عوض — السودان الشمالى سكانه وقبائله — طبعة أولى

٢٣ محمد محمد على — الشعر السودانى فى المعارك السياسية — طبعة أولى ـ مكتبة الكليات الأزهرية

٢٤ محمد محمد على — محاولات فى النقد — طبعة أولى ـ وزارة الثقافة

٢٥ محمد ابراهيم أبو سليم — الحركة الفكرية فى المهدية

٢٦ محمد ابراهيم أبو سليم — منشورات المهدى — طبعة أولى لم يذكر المطبعة

٢٧ محمد ابراهيم الشوش — الشعر الحديث فى السودان — طبعة ثانية ـ دار النشر جامعة الخرطوم

٢٨ محمد أحمد محجوب — نحو الغد — طبعة أولى - دار النشر جامعة الخرطوم

٢٩ محمد المكي أبراهيم — الفكر السوداني أصوله وتطوره — وزارة الثقافة والاعلام

٣٠ محمد مصطفى هداره — تيارات الشعر الحديث في السودان — طبعة أولى

٣١ محمد عمر بشير — تطور التعليم في السودان — طبعة أولى - دار الثقافة بيروت

٣٢ محمد عبد الرحيم — نفثات اليراع — الجزء الأول - طبعة أولى

٣٣ محمد عبد الغني محمد عوض الدياب — جغرافية السودان

٣٤ محمد نورين ضيف الله — الطبقات - تحقيق يوسف فضل حسن — طبعة ثانية دار الثقافة بيروت

٣٥ نعوم شقير — جغرافية وتاريخ السودان — طبعة دار الثقافة بيروت

٣٦ مكي شبيكة — السودان عبر القرون — طبعة ثانية دار الثقافة بيروت

٣٧ يوسف فضل حسن — دراسات في تاريخ السودان — طبعة أولى - دار النشر جامعة الخرطوم

المخطوطات

٣٨ مصطفى طيبه الاسماء — أحمد محمد صالح حياته وشعره — نسخة بدار الوثائق ونسخة لدى الكاتب

رسائل جامعية

٣٩ المعتصم أحمد الجعلى الخلاوى فى السودان رسالة ماجستير جامعة أم درمان الاسلامية

٤٠ سعاد أبراهيم أحمد التعليم غير الحكومى فى السودان الشمالى رسالة ماجستير جامعة الخرطوم

دواوين الشعـــر

المؤلـــف	الشاعـــر	المطبعة او دار النشر
ابو طراف النميرى	الينابيـــع	طبعة اولى / م. ابسح المصـــرى
ابراهيم محمد عبد المعطى	الســرادق	طبعة اولى / القاهرة ١٦٣٤
احمد محمد صالح	مع الاحـــرار	طبعة اولـــى بيروت
احمد عبد المجيد الصاوى	نبرات وانبيات	طبعة اولـــى
احمد شوقـــى	الشوقيات جزء (أ)	مطبعة الاستقامـــة القاهرة
احمد عبد الله سامى	الرمال الدافئة	طبعة ثانيـــة الدار السودانية
ادريس محمد جماع	لحظات باقية	طبعة اولـى القاهرة
التجانى يوسف بشير	اشراقـــة	طبعة رابعة - مطبعة التمدن
الشريف يوسف الهندى	النور البراق	طبعة اولى مكتبـــة وهبـــة
الناصر قريب الله	الناصريـــات	طبعة اولـــى - وزارة الارشاد الخرطوم
جعفر حامد البشير	حرية وجمال	طبعة اولـــى مطبعة الصراحة
حسين عثمان منصور	الشاطىء الصخرى	طبعة اولـــى
عبد الله الطيب	اصداء النيل	طبعة ثالثـــة بيروت
عبد الله الطيب	بانات رامـه	طبعة اولى - الدار السودانية
عبد الله الطيب	سقط الزند الجديد	طبعة اولـــى دار الفكر العربى

المؤلف	العنوان	بيانات النشر
عبد الله عبد الرحمن	الفجر الصادق	طبعة اولى - لم يذكر مطبعة
عبد الله عبد الرحمن	ديوان العروبة	طبعة اولى دار الفكر العربي
عبد الله محمد عمر البنا	ديوان البنا	طبعة ثانية دار النشر جامعة الخرطوم
قريب الله ابو صالح	رشفات المدام	
محمد المهدي المجذوب	نار المجاذيب	طبعة اولى - وزارة الاعلام
محمد المهدي المجذوب	المنابر	طبعة اولى - دار الجيل - بيروت
محمد محمد علي	الحان واشجان	طبعة اولى - مطبعة التمدن
محمد سعيد العباسي	ديوان العباسي	
محمد سعيد الكمرجي	ديوان الكمرجي	طبعة اولى - دار الوثائق المركزية

مخطوطات دواوين

المؤلف	العنوان	مكان النسخة
عبد العزيز الدباغ	مخطوطة ديوان الدباغ	نسخة بدار الوثائق ونسخه لدى مصطفى طيب الاسماء
محمد طيب الاسماء	المناظر الروية في على [illegible] سير البرية	نسخة بدار الوثائق ونسخه لدى مصطفى طيب الاسماء
مصطفى الطشم	ديوان الطشم	نسخه لدى عثمان محمد عبد الرحمن - بحلفاية الملوك

محتويات البحث